

مشروع الإسلام السياسي في التطور التاريخي والمعاصر

تأليف

الدكتور عبد الوهاب العقاب





دار رسلان

مشروع الاسلام السياسي في التطور التاريخي و المعاصر

تاليف

الدكتور عبد الوهاب العقاب

تصوير

أحمد ياسين

مشروع الاسلام السياسي في التطور التاريخي و المعاصر

تاليف: د. عبد الوهاب العقاب

الطبعة الاولى: 2011.

عدد النسخ: 1000 نسخة.

الترميز الدولي (ISBN) : 978 – 9933 – 439 – 87 –3

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار ومؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا دمشق جرمانا

هاتف: 00963 11 5627060

فاكس: 00963 11 5632860

ص. ب: 259 جرمانا

اهـداء

الى اللذين يامرون بالمعروف

وينهون عن المنكر بالعقل المتدبر

لاحكام الشريعة الاسلامية

وبالتي هي احسن

بسم الـلـه الرحمن الرحيم

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ امَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * الَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

(هود 118:119)

مقدمـة

في منتصف القرن 19م كانت الدولة العثمانية على مشارف الشيخوخة، وكـان وضـعها قد بدا واضحا للعيان، اذ لم تستطع وقف الزحف الاسـتعماري الاوربي عـلى اجنحـة العـالم العربي، وبدا الاستعمار بتسويق حضارته الى العالم الاسلامي وفقـا لمخطـطٍ تبشـيري اراد ان يكون منفذوه من ابناء العالم العربي والاسلامي.

وتاثر بهذا الاتجاه الاوربي حاكم مصر محمد علي باشا(1805-1849م) الذي اتسـمت جهوده بالخروج عن التكوين السياسي والفكـري العـثماني، والاتجـاه نحـو فرنسـا. نلاحـظ ذلك الاسراف في التوجه السياسي والفكري لابنائه الذين حكمـوا مصر مـن بعـده (1849-1952م)، وكان نصيب فرنسا من البعثـات المصريـة الى اوروبـا في عهـد محمـد عـلي باشـا وابنائه النصيب الاكبر. كانت المقـدمات لـذلك التوجـه هـو قيـام فرنسـا بغـزو مصر عـام 1798م، واحدث الغزو هزةً عنيفةً في عقول ابنـاء مصر، وكـان (رفاعـة رافـع الطهطـاوي) الذي ذهب الى فرنسا كامام لبعثةٍ مصرية تتلقى تعليمها عـام (1826-1831م) وعـبر عـن رحلته التي فرضـت عليـه البقـاء في فرنسـا خمـس سـنوات في كتابـه "تخلـيص الابريـز في تلخيص باريز"، وقد القى بنفسه في خضم الدراسة بحماس ونجاح، فتعلم اللغة الفرنسية وقرا كتبا كثيرة في التاريخ والفلسفة الاغريقية، والجغرافيا، والرياضـيات، والمنطـق، واطلـع على سيرة نابليون وبعض الشعر الفرنسي، كما اطلع على مؤلفات فولتير، وكونديياك، وكذلك كتاب العقد الاجتماعي "لروسو" ومؤلفات "مونتسكيو" وترك عصر التنوير الفرنسي بصماته عليه، واشـار في كتابه الى الابداع الذي انبهر به ، فالفرنسيون، كما يقـول " يتقنـون صـناعتهم ومـن طبـائعهم التطلـع للاشـياء الجديـدة وحـب التغيـير والتبـديل في كـل الامـور.. ويوجـه الطهطـاوي نقـدا

لاذعا للحياة الاجتماعية الفرنسية فهو يقول ان الرجال عندهم عبيد النساء، ومن خصالهم الرديئة قلة عفاف كثير من نسائهم وانعدام الغيرة في رجالهم، وكانه اراد ان يصيغ مشروعا حضاريا يقوم على مسوغ فكري حديث وجديد ياخذ من الحضارة الاوربية ما هو مقبول، ما لم يتعارض مع نصوص الشريعة الاسلامية في سبيل نهضة عربية جديدة.

وعلى الرغم من ان محمد علي باشا قد انتهج سياسة تعليمية نهضوية تتوافق مع اغراض السياسة التوسعية، فقد قام بانشاء مدارس ابتدائية ومتوسطة الا ان هذه المدارس قد الغي معظمها في اواخر عهده، وبمجيء عباس الاول ابن ابراهيم باشا اغلق المزيد منها وخاصة المدارس الفنية الثانوية، وجاء من بعده محمد سعيد باشا واغلق المزيد من المدارس، مما اوجد فراغا ادى الى اندفاع المدارس التبشيرية الفرنسية والبريطانية والامريكية المجانية، والحرة، والدولية، اضف الى ذلك المدارس اليونانية والايطالية، واليهودية، والارمنية، اندفعت لملئه ابتداء من اوائل عهد اسماعيل باشا، وكانت هذه المدارس تحتكم الى انظمة بلدانها والتدريس بلغتها، وانشئت مدارس ابتدائية وثانوية بدعم من المسيحيين المصريين.. واصبح التعليم شبيها بالتعليم الغربي.

لقد كان مبرر الدولة العثمانية في انحطاطها هو عدم الاخذ بالفكر العلمي والثقافي الاوربي، وكانت الازمة التي تعرضت لها الدولة العثمانية والتي سميت بالازمة الشرقية في عام 1875 – 1878م، وتهديد جيوش اوربا في التوغل في قلب الدولة العثمانية دون القدرة على صدها الا بتهديد من دولة اخرى وكان من نتيجة ذلك احتلال فرنسا لتونس عام 1881م واحتلال بريطانيا لمصر عام 1882م وبدات النخب المثقفة التركية ترى ضرورة الاحتكام لدستور فعال في البلاد على غرار ما هو قائم في اوربا. وقام مدحت باشا رجل الدولة التركية بانقلاب استبدل به عبدالعزيز بابن اخيه

مراد الخامس، ثم اختل عقل السلطان مراد فاستبدل بابن اخ له هو عبد الحميد الثاني.. وفي خريف عام 1876م اعلن عن دستور عثماني ينص على وزارة مسؤولة ومجلس للنواب. وكان للدستور اعداؤه وهم العلماء والمحافظون والسلطان نفسه على الرغم من ان السلطان كان قد سلم بالدستور بضغط من الدول الكبرى.

ونتيجة الصدام المسلح بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية، اصدر السلطان قرارا بحل البرلمان لاجل غير مسمى، وعلق الدستور ولم يلغه، وكان السلطان قد اعاد مدحت باشا من المنفى الا انه اتهم بقتل السلطان عبدالعزيز -الذي انتحر- وحكم عليه بالاعدام. ثم استبدل هذا الحكم بالاقامة الجبرية في الحجاز حيث قتل بلا ضجة بعد سنوات قليلة. في تلك الفترة كان الحديث عن جمال الدين الافغاني (1739-1897م) قد استفحل وخاصة حديثه عن الوحدة الاسلامية.. كان الافغاني صفحة مفتوحة للملا وظهر على مسرح الحياة العامة كشاب يطوف الهند ويستزيد فيها من علوم اوربا الحديثة.

وينتقل الى افغانستان فيلعب دورا سياسيا ينجح في بعض ادواره، ويقصد اسطنبول عن طريق مصر وتعرف في الفترة القصيرة التي قضاها فيها بالشاب الازهري "محمد عبده" وفي اسطنبول وجد في علي باشا "الصدر الاعظم" رجل الاصلاح نصيرا قويا. ثم عاد الى مصر مرة اخرى اخرى في عام 1871م، وبقي بها ثماني سنوات، ولعب دورا هاما في الحياة المصرية مع فريق من الشباب كان من بينهم، محمد عبده، وسعد زغلول، وكان يلقى عليهم محاضرات، في رايه انها الاسلام الصحيح شارحا لهم علم الكلام والفقه والتصوف والفلسفة.. كما نبه الى خطر التدخل الاوربي والحاجة الى الوحدة الوطنية لمقاومته والسعي الى وحدة اوسع للشعوب الاسلامية، والمطالبة بدستور يحد من سلطة الحاكم.

كذلك شجعهم على العمل من خلال اصدار الصحف لتكوين راي عام مساند لارائهم.. وعندما اتى للحكم توفيق باشا ابن اسماعيل نفي الافغاني الى الهند، وفي الهند قيدت حريته بامر من السلطان عندما احتل البريطانيون مصر عام 1882م.. وفي عام 1884م ذهب الى باريس والتحق به "محمد عبده" وعملا معا في مشروع نهضوي يرعى شؤون الامة الاسلامية، واسسا مجلة "العروة الوثقى" ونشرا منها ثمانية عشر مجلدا.. تناولت معظم صفحاتها دور سياسة الدول الكبرى في العالم الاسلامي وخاصة سياسة بريطانيا في مصر والسودان.. وعالجا في مشروعهما النهضوي موضوع ضعف الاسلام الداخلي وكيفية معالجته.. ومنع توزيع هذه المجلة داخل المناطق العربية الواقعة تحت النفوذ البريطاني.

اما الشيخ محمد عبده (1849-1905م) فقد اختلف مع استاذه الافغاني في طبيعة المنهج السياسي، فالافغاني يدعو الى اقامة جامعة اسلامية تضم ممثلين عن كل اقليم اسلامي، ويكونون مظلة يستظل تحتها العالم الاسلامي كله، وتكون لغة القران الكريم هي اللغة الرسمية، وحذر الافغاني من تحدي السماح للانقسامات السياسية والمصالح المتعلقة بالحكام ان تحول دون الوحدة الاسلامية.. بينما "محمد عبده" راى رايا اخر تمثل بثورة تربوية... فالتربية هي قوام الحياة الاجتماعية والسياسية.

في عام 1899م عين مفتيا لمصر وتمكن من خلال عمله هذا من اقامة مشروع نهضوي يقوم على اصلاح المحاكم الدينية، وادارة الاوقاف، كما ساعدت فتاويه في الشؤونه العامة على تفسير الشريعة الاسلامية تفسيرا يتفق مع حاجات العصر.. وفي العام نفسه عين عضوا في المجلس التشريعي الذي نشا في عام 1883م كهيئة صغيرة تقتصر مهمتها على المناقشة وابداء الراي... وتتكون من ثلاثين عضوا جزء منهم بالتعيين والاخرون بالانتخاب.

وساهم في تاسيس جمعية اسلامية خيرية هدفها انشاء المدارس الخاصة.. وفي عام 1895م اقنع الخديوي بتاسيس مجلس اداري للازهر.. واتجه تفكير الامام محمد عبده من قضية الانحطاط الداخلي الي الحاجة الى مشروع اسلامي مستنير.

وكان الخطر يتمثل بالتوجهات الفكرية الاوربية بترسيخ العلمانية في المجتمع العربي خاصة. فقد كان يرى ان القوانين العلمانية المزروعة في غير ارضها لا تؤتي الثمر نفسه، لا بل قد تفسده، وكان في مصر نوعان من المدارس هي : (المدارس الدينية القديمة وعلى راسها الازهر، والمدارس العصرية الاوربية التي انشاتها الارساليات والحكومة) وكان كلا النوعين غير صالحين، فالمدارس الدينية كان يسودها الجمود والتقليد، فهي تدرس القضايا الدينية لكنها لا تدرس العلوم الضرورية للعيش في العالم الحديث، اما المدارس والارساليات فهي تقوم بتلقين الطلاب الثقافة الغربية، وبلغة اجنبية، اما المدارس التابعة للدولة فقد جمعت بين عيوب النوعين معا. فقد كانت مجرد تقليد للمدارس الاجنبية، بينما لم تعن مدارس الحكومة بتعليم الدين الا شكليا، اضف الى ذلك انصرافها عن تعليم الفضائل الاجتماعية والسياسية.. وكانت النتيجة وجود طبقتين مختلفتين من المثقفين في مصر لكل منها عقليتها الخاصة: "العقلية الاسلامية التقليدية المقاومة لكل تغيير، وعقلية الاجيال الطالعة القابلة لكل تغيير ولكل افكار اوربا الحديثة". لذلك اهتم محمد عبده في فلسفته التربوية ان يكون التعليم يقوم على مبادئ الدين الحنيف الحقيقية التي جاء بها نبينا محمد .

ويرى محمد عبده ان التقليد الاعمى ابتعد كثيرا عن الاسلام الحقيقي، وبالتالي فسدت العقيدة وساءت التربية و ادى ذلك الى اختلال التوازن بين العقل والوحي واهمال العلوم العقلية، وهكذا افسد الحكام الاسلام، فانتشرت الفوضى الفكرية بين المسلمين برعاية الحكام الجهلاء، وبما ان

اصلاح الشريعة لا يكون فعالا ما لم يكن هناك فقهاء مدربون على تفسيرها وتطبيقها، لذلك فالضرورة تقتضي اعادة النظر بالنظم التربوية الدينية.

وكان العالم الاسلامي بشكل عام يعاني من صراعات بينية كالصراع بين العثمانيين والصفويين والانتفاضات الثورية في مناطق الدولة العثمانية مثل اليمن عندما اعلن الائمة الزيدية الجهاد ضد العثمانيين.. في هذه الاجواء ولد محمد بن علي الشوكاني في عام 1173هـ بمنطقة هجرة شوكان احدى قبائل خولان.

عاش الشوكاني في الفترة من 1173-1250هـ وامتاز عصره باحداث هامة، عاصر الشوكاني اربعة ائمة هم :ا لمهدي عباس (1161-1189هـ) 1748-1775م وتقلد الحكم من بعده المنصور (1775-1809م) وابنه المتوكل احمد (1809-1816م) ثم الامام المهدي عبدالله (1816-1835م) وكان الصراع على اشده بين الائمة.. وبينما كان المنهج الزيدي لا يعترف بوراثة العرش، الا انه من الملاحظ ان كل الائمة يمهدون لابنائهم في الخلافة من بعدهم، وهم كغيرهم من الخلفاء العباسيين والامويين في توريث الخلافة، وتم في عهد الشوكاني احتلال الانجليز لجزيرتي ميون وبريم على مضيق باب المندب اثر احتلال نابليون بونابرت لمصر.

تصدر الامام الشوكاني للافتاء وهو في العشرين من عمره، وتولى القضاء وهو لم يتعد سن السادسة والثلاثين من عمره عام 1209هـ ثم عين قاضي القضاة.. وقد وظف حقه في الراي في مشروعه النهضوي الاصلاحي، ولكنه يختلف عن الاصلاحيين في مصر او الشام او المغرب العربي والذين احتكوا بالتعالم الاوربية، ولذلك كانت افكارهم وليدة احتكاك حضاري، بينما الشوكاني كان يرى تقويم الفكر المذهبي الزيدي وفقا لقناعته الفكرية الاجتهادية.. وحاول الشوكاني تشخيص امراض المجتمع اليمني، فقد كان الجهل سائدا وكذا فساد الادارة مع ضعفِ في مركزية

الدولة وسلطانها. لذلك عمل على تاسيس منهج فقهي جديد يقوم على تحريم التقليد والدعوة الى الاجتهاد وتحقيق علم اصول الفقه.. ذلك كان منهجه الفكري.

وبسيطرة الاستعمار الانجليزي والفرنسي على معظم اقطار الوطن العربي.. وفي غيبة الوعي العربي بدا التبشير بحركة علمانية تشريعية وسياسية من منطلق قومي.. واخذ البعد القومي مفهوما علمانيا.. وانتصر له كثير من الكتاب العرب.. وكان من نتائج الحرب العالمية الاولى تقاسم الوطن العربي بين انجلترا وفرنسا وفقا لمعاهدة تحالف ثنائي بين فرنسا وبريطانيا والتي اطلق عليها معاهدة "سايكس بيكو 1916م" والتي استهدفت تمزيق الوطن العربي الى اقاليم.. وقد ساعد على ذلك "ثورة الشريف حسين" في مكة المكرمة ضد الدولة العثمانية 1916م بمباركة بريطانيا له. وفي عام 1917م حدثت الثورة البلشفية الشيوعية في روسيا.. وفي اطار الانتداب الاجنبي للاقاليم العربية، وضع الانجليز والفرنسيون خطوط الحدود بين اقليم واخر، لتبقى بؤر الخلاف دائمة بين الاجزاء المتجزئة.

في عام 1917م اعلن بلفور وزير خارجية بريطانيا منح فلسطين لليهود، والتزمت بريطانيا بوعدها، وسلمت فلسطين لليهود في عام 1948م، وانشات لهم دولة.. وكان من مهام التوجه الحركي النهضوي الاسلامي ان تقاوم هذا المتغير الدولي الجديد.

وعندما جمع العرب رايهم على صد العدوان الاسرائيلي عام 1948م كانت في مقدمة ذلك الاتجاهات الاسلامية، ونشط الحراك الاسلامي داخل فلسطين.. الا ان العرب والمسلمين لم يقدموا لهم غير العزاء.. ويناقش البحث.. المشاريع النهضوية الاسلامية من منظور الجماعات الاسلامية في الوطن العربي والاسلامي الاسيوي.. والتعرف على ازمة الفكر السياسي الاسلامي في تصور الجماعات الاسلامية، وكذلك علاقة الجماعات الاسلامية ببعضها

باختلاف الاتجاهات والاجتهادات الفقهية، ويخضع هذا البحث لمنهج تفسير المتغيرات الاجتماعية، منهج البناء الفلسفي للحراك التاريخي.. ويستعين الباحث بالتفسير الديني للحركات الاسلامية المعاصرة، والتفسير الاقتصادي كعامل من عوامل تنوير التجمعات المعارضة في الاتجاه الاسلامي.

ويتناول البحث تمهيدا يناقش الاوضاع السياسية في الوطن العربي والاسلامي من (1798-1928م) ويتناول الفصل الاول التكوين الحركي للجماعات الاسلامية (1928-1981م). كما يتناول الفصل الثاني الغرب والعالم الاسلامي (1979-1992م).. ويوضح الفصل الثالث اشكاليات التوجهات النخبوية للجماعات الاسلامية.. كما يتناول الفصل الرابع الملامح الجديدة لمشروع النهضة الاسلامية.

والله ولي التوفيق،،،

تمهيد

الاوضاع السياسية في الوطن العربي والاسلامي

1798-1928م

- اطلالة على القرن 19م والدولة العثمانية.
- حركة التتريك والتوجه القومي العربي.
- جمال الدين الافغاني ودوره السياسي.
- عوامل ضعف الدولة العثمانية.. مقدمات ونتائج.
- الدولة العثمانية والحرب العالمية الاولى.
- دور العرب في الحرب العالمية الاولى.
- نتائج الحرب العالمية الاولى في المناطق العربية.

تمهيد

الاوضاع السياسية في الوطن العربي والاسلامي 1798 - 1928م

حمل القرن التاسع عشر معه جرس انذار للعالم الاسلامي.. وكان التوجه الاستعماري الاوربي يعتمد عامل تفتيت الدولة العثمانية وتقسيمها بين الطامعين في اجزائها.. واذا كان القرن 16م مصدر الاصلاح الديني في الغرب، فقد كانت نهايته بداية اتصال الغرب المسيحي بالشرق الاسلامي[1] وتمثل ذلك في دور الغرب في كشف موارد الثروة في الشرق، واستغلالها ونقلها الى الغرب في صورة تبادل اقتصادي.. واستمر الاتصال بين الشرق والغرب ينمو حتى بلغ نفوذ الغرب المسيحي اوجه في الشرق واصبح يمارس التوجه السياسي في الشرق الاسلامي، وزاد هذا النفوذ الى ان وصل في منتصف القرن 19م حتى الربع الاول من القرن العشرين منتهى ما يصل اليه نفوذه القوي.

بدا الاستعمار يعمل على اختيار وسائل عديدة منها اختراق الفكر الاسلامي والعمل على اضعافه وادخل فكرة التقدم والتخلف في الشرق.. ومن المسؤول عنه؟.. ويتساءل هل هو الاسلام؟ ام القائمون عليه؟.. وبدات الدراسات تعمل على البحث عن اسباب تقدم الغرب المسيحي وتخلف الشرق الاسلامي.. وعلى اساس ذلك اوجد الاستعمار شخصيات تقوم بالدور المطلوب، كحركة "احمد خان بهادور"[2] في الهند..

---

1) د. محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، بيروت، دار الفكر، ط5، 1970، ص20.

2) ولد "أحمد خان" في 17 أكتوبر 1817م، وتوفي في عام 1898م.. ومن مؤلفاته : "حياة محمد" 1870م، وتفسير القرآن الكريم 1880م –1895م إلى سورة الكهف.. وتفسير الإنجيل وسماه "تبيان الكلام" عام 1862م [نقلاً عن : د. محمد البهي.. مرجع سابق، ص40].

كانت بريطانيا قد القت بحبالها الاستعمارية على الهند، وشدت وثاق شعبها شدا قويا، وكان للاسلام فيها دور مؤثر، من اثار السلطنة التيمورية - نسبة الى تيمور لنك مؤسس دولة المغول في القرن 16م- في ذلك الحين كان يوجد ما يقارب من ستين مليونا من المسلمين، وهؤلاء متصلون بملايين المسلمين في العالم.. صحيح انهم توجسوا خيفة من الاستعمار، الا ان المبادئ الاسلامية عملت على تضميد جرحهم من زوال سلطانهم من ارضهم.. وبدا الانجليز يعملون على التقليل من شان المبادئ والافكار الاسلامية من خلال نشرات، وكتب تقوم بالطعن في الديانة الاسلامية مفعمة بالشتائم لصاحب الشريعة الاسلامية.

وانتصر للاتجاه الانجليزي "احمد خان بهادور" وبدا يبحث عن مكان بين الانجليز، فقام بتفسير الانجيل ليتقرب منهم، وحاول ان يثبت برايه صحة التوراة والانجيل وانهما ليسا محرفين ولا مبدلين. وبالتالي لفت انتباه الانجليز اليه، فاقامت بريطانيا له مدرسة في "عليكره" وسموها مدرسة المحمديين لتكون مقر تجمع للسياق الفكري الجديد الذي بدا تاسيسه "احمد خان بهادور" وانشا جريدة "تهذيب الاخلاق" لا ينشر فيها الا ما يقلل من شان الاسلام والمسلمين. ثم نادى برفض الاديان على اعتبار انها سبب تخلف المتمسكين بها، وان اوروبا لم تنجح الا بالخروج من الارتباط بكهنوتية دينها المسيحي.

واتجه احمد خان نحو مبدا العلم الطبيعي والافتتان به، والحضارة الغربية المادية، ونهج في تفسيره للقران الكريم على تطبيق اياته على اساس طبيعي "مما يناقض تماما القول بالمعجزات وخوارق العادات"[1]، ولهذا جعل النبوة

1) د. محمد البهي : مرجع سابق، ص44.

غاية تحصل وتكتسب عن طريق الرياضة النفسية، فهي غاية انسانية طبيعية وطريقها طريق انساني غير خارق للعادة[1].

وامتدادا للنشاط الاستعماري البريطاني في مواجهة الاسلام، احتضنت بريطانيا شخصية اخرى هو "ميرزا غلام احمد القادياني"[2]، وسجل مذهبه رسميا في عام 1900م وله انصار في البنجاب وافغانستان وايران، والف كتابا سماه "براهين الاحمدية" وله اراء غريبة موغلة في الخرافة من ذلك قوله ان عيسى هاجر بعد ان بعث من موته الظاهري الى كشمير في الهند، ليقوم بالدعوة هناك وانه توفي وقد بلغ من العمر مائةً وعشرين عاما، وقبره لم يزل موجودا هناك. وادعى ميرزا غلام انه (المهدي) (وانه حل فيه عيسى ومحمد على السواء فهو نبي) [3]. وقد فسر الجهاد بانه وسيلة اقناع لا حرب، وقد صرح ميرزا غلام في رسالة بعث بها للحكومة البريطانية في الهند يقول فيها : (لقد قضيت معظم عمري في تاييد الحكومة الانجليزية ونصرتها وقد الفت في منع الجهاد ووجوب طاعة اولى الامر الانجليز من الكتب والنشرات ما لو جمع بعضه الى بعض لملا خمسين خزانة)[4]

والحقيقة الغائبة ان العلوم التجريبية التي وجدت في اوربا كانت وليدة صراع العقل والتجربة مع الدين والايمان، ومع ان الدين يعتبر التفكير فريضة دينية في النظر للكون والحياة، الا ان التجربة العلمية عندما ظهرت في اوربا اعترضها القساوسة ابان النهضة الاوربية واشتد النزاع بين رجال الدين ورجال العلم التجريبي، واقيم لذلك "محاكم التفتيش" لمحاكمة علماء

---

1) المرجع نفسه، ص44.

2) من منطقة قاديان بإقليم البنجاب.. وقد توفي عام 1908م.

3) د. محمد البهي، مرجع سابق، ص47.

4) من كتاب ترياق القلوب، ص15 : تأليف : ميرزا غلام أحمد القادياني (نقلاً عن : د. البهي، مرجع سابق، ص49).

البحث العلمي التجريبي، وعوقبوا عقابا شديدا، وتم التنكيل بكبار العلماء بـدون رحمـة.. ومع ذلك فقد بقيت جـذوة الصراع لصـالح العلـم الى ان سـيطر فكـر الحركـة العلميـة في البلاد.. وذهب تيار الحركة العلمية الاوربية باقتلاع السلطة الدينية.

ومع مطلع القرن 19م بلغت النزعة المادية منتهاها على يـد مجموعـة مـن الفلاسـفة الاوروبيين مثل (فوغـت) و (بـوخنر) و (زولبـي) و(كومـت) و(مولشـات) ومـن هـم عـلى شاكلتهم من الفلاسفة وانكروا وجود كل شيء ما خلا المادة وخصائصـها.. وقـام (Millمـل) باشاعة المذهب التجريبي والمذهب النفعـي في الاخـلاق.. وعـرض سـبنسر Spencer بكـل قوة وشدة (النظرية القائلة بحدوث هذا الكون بـدون خـالق، وبظهـور هـذه الحيـاة مـن تلقاء نفسها.. وجاءت موجة الاكتشافات العلمية في مختلف العلوم والفنون كعلوم الحياة Biology، والعضويات Physiology، والحيوان Zoology، وطبقات الارض Geology[1].

واحدث كتاب "اصـل الانـواع" لـداروين Origin of aspics الـذي ظهـر عـام 1859م انقلابا كبيرا في بنية الفكر الاوربي حيث تقول النظرية "ان الالية الحية التي كانت في بداية امرها دودا يدب، قـد اصـبحت بفعـل العوامـل المختلفـة كتنـازع البقـاء او بقـاء الاصـلح، والانتخاب الطبيعي انسانا ناطقا ذا احساس وشعور"[2].

من جانب اخر عرفت موسـوعة علميـة نظريـة الارتقـاء : " بانهـا نظريـة قائمـة عـلى تفسير بدون براهين"[3] اذا كيف يجوز لنا ان نعتبر نظرية دارويـن حقيقـة علميـة بـالرغم من انها لم تخضع لتجربة علمية معملية؟

---

1) أبو الأعلى المودودي : نحن والحضارة الغربية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1984م، ص22.
2) نفس المرجع : ص23.
3) Revolt Against Reason, pp. 111-112.

وعندما اتسعت دائرة البحث العلمي الاستشراقي الاوربي الى اعلان الطعن في الاسلام فالديانة المسيحية من خصائصها كما يرون ترقية الانسان بتقريبه من الحضرة الالهية، اما الاسلام فهو دين مشوب بتاثير مذهب السامية التي تنحط بالانسان الى اسفل الدرك وترفع الاله عنه في علاء لا نهاية له[1]. فالمسيحي يذهب في الاصل الى الثالوث، بمعنى ان الاله الاب اوجَدَ الاله الابن واتصل الاثنان بصلة هي روح القدس، وعليه فيكون يسوع المسيح الها وبشرا ويساعد هذا الاله على محو ذنب الجنس البشري ويفديه من الخطيئة التي اقترفها، الامر الذي يرفضه المسلم الذي يعتقد بوحدانية الاله ويتمسك بهذا الاعتقاد فالشراكة كفر والوحدانية ايمان لذلك يقول المسلم لا اله الا الله.

ويصور مستشرق اخر [2] مبدا : "الزكاة : ان الاموال المادية -في نظر الاسلام- هي من اصل شيطاني نجس ويحل للمسلم ان يتمتع بهذه الاموال شريطة ان يطهرها وذلك بارجاع هذه الاموال الى الله". اما قوامة الرجل على المراة، فيتفق بعض المستشرقين على ان ذلك نوع من التفوق ويجعل منه علامة على نظرة الاسلام الى وضع كل من الرجل والمراة في الحياة (فهو يسمو بالرجل الى ذرى الرفعة بينما يهبط بالمراة الى هاوية الضعة.. اما طاعة المراة للرجل فهو نوع من الاذلال). يرى بعض من المستشرقين في مبدا عدم قبول المسلم لولاية الاجنبي نوعا من عدم التعاون مع الشعوب الاخرى.. اما مبدا "الجهاد" فهو اعتداء المسلمين على من يعارضهم، واكتسب الجهاد صبغة شرعية ودينية ويرون ان ذلك يؤدي الى اثر سيئ في علاقة الشعوب الاوربية بالمسلمين.

---

1) د. محمد البهي : مرجع سابق، ص55.

2) فيليب فوانداس : دراسة عن الإسلام في أفريقية السوداء، نقلاً عن : د. محمد البهي : مرجع سابق، ص57.

اما مبدا عدم زواج المسلمة بغير المسلم فتعد لديهم فكرة عنصرية قائمة على التمييز بين المسلمين وغيرهم من الشعوب، ويرون ايضا في مسالة العودة الى "القران الكـريم" والى عصر الصحابة الاول رضـوان اللــه عليهم هـي العـودة الى الحيـاة البدائيـة، والاصـلاح في نظرهم هو التطور والاخذ باساليب المدنية الحديثة، والقوانين المعـاصرة، واسـلوب الحكـم الحديث، وهكذا نلاحظ ان الدراسـات الاسـتشراقية قـد حاولـت جاهـدة اسـتبعاد الاسـلام ومبادئه كدين ودولة وان الاخذ بمناهج الاوروبيين هو الطريق الامثل للتقدم.

اطلالة على القرن 19م والدولة العثمانية:

في ما بين (1281-1324م) تكونـت امـارة ال عـثمان في شـمال غـرب الاناضـول وعـلى حساب الدولة البيزنطية التي توسعت رقعتها.. وكان يرفدها تركمانيون من الشرق فتقـوى بهم، وسقطت بايدي الاتراك العثمانيين مدن مهمة مثل : بروسـة ونيقيـة ونيقوميـديا، وفي النصف الثاني من القرن 14م عبر العثمانيون من اسيا الصـغرى الى البلقـان، واتجهـوا غربـا ونقلوا عاصمتهم الى "اردنة" عام 1366م، وفي عهد بايزيد 1398-1403م توسـعت دولـتهم وتم تشكيل جيش سمى "الانكشارية" والذي اصبح قوة ضاربة فيما بعد.. وخضعت انقرة للسلطان بايزيد، وفي عام 1422م دارت معركة بين بايزيـد وتيمـور، تـم اسر بايزيـد فيهـا، وتوفي اثناء الاسر.

وبمجيء محمد الثاني 1451-1481م الذي حقق نصرا عـلى امبراطوريـة بيزنطـا واسـتولى على عاصمتها القسطنطينية عام 1453م واصبحت عاصـمةً للدولـة العثمانيـة حتـى نهايتهـا وقيام الجمهورية، ومع مطلع القرن 16م الى القرن 18م دفـع العثمانيـون عـن العـرب خطـر الزحف البرتغالي والاسباني في خليج البصرة والبحر الاحمر وحوض البحر المتوسـط، واسـتولت الدولـة العثمانيـة عـلى بـلاد الشـام عـام 1516م وعـلى مصر والحجـاز والـيمن عـام 1517م

(وكانت وشيجة الدين من اقوى الوشائج التي ربطت الجماهير العربية بالدولة العثمانية، فاخلصوا لها واشتركوا في حروبها ضد التكتلات الاوربية)[1]

ونجحت الدولة العثمانية في تحقيق وحدة الديار العربية في ظل نظام يقوم على مبادئ الشرع الاسلامي، وعلى اساس المذاهب السنية الاربعة : الحنفي، والحنبلي، والمالكي، والشافعي. وفي اواخر القرن 18م عام 1798م شهدت مصر غزوا فرنسيا، والتحمت قوى الشعب المصري والمماليك والقوى العثمانية في مواجهة الفرنسيين، وتم اخراج نابليون بونابرت وعساكره من مصر.

ومن اثر التفاعل العربي العثماني اعلان السلطان سليم الثالث (1789-1807م) الجهاد الديني ضد الفرنسيين، فاستجاب لدعوته الكثير من عرب اليمن والحجاز والشام، وشمال افريقيا.. لدرجة كما تشير بعض المراجع[2]، ان رجلا قدم الى مصر من طرابلس الغرب لقب نفسه بالمهدي ودعا لقتال الفرنسيين، وانضم اليه بعض القبائل من اولاد علي، والهنادي وغيرهم من سكان القرى التي مر بها. وفي دمنهور نجحوا في ابادة الحامية الفرنسية بها.. وحاربوا الفرنسيين في مواقع اخرى وهزموهم.

وفي النصف الاول من القرن 18م شهدت الجزيرة العربية ظهور دعوة محمد بن عبدالوهاب خاصة بعد تاسيس الدولة السعودية الاولى، ونجاح ال سعود في اجتياح مكة عام 1806م معلنين خلع ولائهم للسلطان العثماني، فكلف الوالي العثماني بمصر ابنه "طرسون" في عام 1811م الى الحجاز لقمع المتمردين في الحجاز ولم ينجح فتوجه محمد علي باشا بنفسه عام 1815م الا ان الصلح رفضه السلطان العثماني فبعث محمد علي باشا قوة على راسها ابنه

---

1) د. أكمل الدين إحسان أوغلي : العرب في ظل الرابطة العثمانية، نقلاً عن : (العلاقات العربية التركية)، من منظور تركي، ج2، مصر، معهد البحوث والدراسات العربية، 1993م، ص95.

2) أكمل الدين إحسان أوغلي : مرجع سابق، ص97-98.

ابراهيم باشا، ونجح في عام 1518م في القضاء التام على قوى التمرد والقبض على الامير عبدالله بن سعود الذي تم اعدامه في اسطنبول.

ويعد خروج ال سعود على العثمانيين بداية ضعف العثمانيين.. وكان سليم الاول قد شعر بهذا الضعف فبدا في اصلاح نظام ادارة الحكم، ونشر العلوم الجديدة، وتنظيم الجيش على اسس حديثة وترويج الالات الحربية الاوربية.. وتشير الباحثة التركية خالدة اديب خانم[1] الى ان الصوفية الجهال والعلماء الرجعيين ممن ليس لهم نصيب من علم الدين وروحه قاموا يعارضون اصلاحات السلطان، فجعلوا تنظيم الجنود على الطريقة الغربية في حكم اللادينية، وجعلوا لبس زي الجندي الحديث في حكم التشبه بالنصارى، وقد خالفوا حتى استعمال البنادق ذات الحراب لان استعمال اسلحة الكفار عندهم اثم عظيم.. اساؤوا سمعة السلطان سليم وبثوا النفرة منه في نفوس الجمهور بقولهم انه يسيء الى الاسلام بترويجه اساليب الكفار.

فافتى شيخ الاسلام عطاء الله افندي ان السلطان الذي يعمل بخلاف القران غير جدير بالبقاء على العرش. وفي اخر المطاف عزل السلطان سليم في عام 1807م، وتبع السلطان سليم السلطان محمود في الحكم فحاول الاصلاح وبصعوبة تمكن السلطان في عام 1826م من ترويج التنظيم العسكري الجديد في تركيا.

واقبل السلاطين العثمانيون.. دعاة الاصلاح على ارسال بعثات دراسية الى اوربا وخاصة فرنسا والمانيا.. وعند عودتهم وجدوا انفسهم في وضع متخلف وعليهم تغييره وفقا لما لمسوه في اوربا من حريات اجتماعية وسياسية وحياة عمرانية متقدمة، بدؤوا يعملون بسرية على اتخاذ مواقف مناهضة للوضع

---

1) محاضرة ألقتها الباحثة التركية في الجامعة الإسلامية في الهند "حول النزاع بين الشرق والغرب في تركيا" ضمن كتاب : أبو الأعلى المودودي، نحن والحضارة الغربية، مرجع سابق، ص119.

السياسي الحاكم وتمكنوا من تكوين جمعيات واحزاب سرية لمجاراة الامم الاوربية، ويطلق على الفترة التي حققت الدولة العثمانية فيها قدرا من النجاح في التنظيمات الاصلاحية الادارية والعسكرية "عهد الاصلاحات".. وكان السلطان محمود الثاني 1808-1839م الذي ينسب اليه الغاء النظام الانكشاري، والاستعاضة عنه بجيش على النظام الاوربي الحديث واستخدامه لاستعادة السيطرة المركزية على الولايات العثمانية التي خرجت عن نفوذ الدولة العثمانية باسطنبول.

من الملاحظ ان القرن التاسع عشر الميلادي حمل معه تطورات انعكس اثرها على العلاقات العربية التركية اضف الى ذلك كانت التاثيرات الاوربية قد اتضحت من خلال الحركات التحديثية التغريبية على العرب وعلى الاتجاهات الفكرية والسياسية لدى العثمانيين ايضا[1].

ويمكن القول ان حركة الاصلاح في الدولة العثمانية تعد بداية تدهور للعلاقات العربية التركية، وبحكم الضغوط الخارجية فقد اندفعت في السير في الاصلاحات او "حين بدات تنكشف امام المصلحين الاتراك مساوئ النظام الاوتوقراطي الذي قامت عليه الدولة واصبح واضحا ان الامبراطورية العثمانية كانت تتحرك بسرعة في طريق التفكك والانهيار ما لم تتخذ خطوات ايجابية لادخال دماء جديدة في تنظيماتها العسكرية والسياسية وفي ادارتها الداخلية"[2]

لقد كانت الدولة العثمانية الجدار الذي اخر اجتياح الغرب الاستعماري الطامح للوطن العربي، الا ان العثمانيين المتاخرين خرجوا عما تعارف عليه من سبقوهم، وبداوا يتعصبون للغتهم واعراقهم، واخذوا باحتقار العرب والعروبة..

---

1) د. جمال زكريا قاسم : إلخروج العربي عن الدولة العثمانية، ضمن كتاب : العلاقات العربية التركية من منظور عربي، ج1، 1991م، مصر، معهد البحوث والدراسات العربية، ص163.
2) نفس المرجع : ص163.

وفي الاخير راودتهم احلام تتريك العرب. ادى ذلك الى زوال سلطتهم المترامية الاطراف وبدا الاستعمار يشجع طرفي النزاع من اجل تثوير الموقف فيقوم بالهجوم الاخير على الاراضي العربية.. وزاد ذلك من ضعف الدولة العثمانية حتى اضحى الجدار العثماني امام الغرب ايلا للسقوط .. ولقد كانت الامتيازات الاجنبية التي منحتها الدولة العثمانية للاوربيين بداية النهاية لال عثمان، تعود تلك الامتيازات الى ما تم بين ال عثمان، والبندقية عام 1521م، ومع فرنسا عام 1579م، وانجلترا عام 1579م، وهولندا عام 1598م، وروسيا القيصرية عام 1700م، والسويد عام 1737م، ونابولي عام 1740م، والدنمارك عام 1756م، وبروسيا عام 1767م، واسبانيا عام 1782م، والولايات المتحدة الامريكية عام 1830م، وبلجيكا عام 1837م، والبرتغال عام 1843م، واليونان عام 1854م[1]

وتطورت العلاقات العثمانية الاوربية الى حد زيادة النفوذ الاستعماري الاوربي في الدولة العثمانية، وفرضت هذه الدول الاوربية، العديد من التنازل عن الكثير من ولاياتها، بعد ان تحول هذا النفوذ الاستعماري الى احتلال اجنحة العالم العربي عندما احتلت فرنسا الجزائر عام 1830م، واحتلال بريطانيا "عدن" 1839م، واحتلال فرنسا لتونس 1881م، واحتلال بريطانيا لمصر عام 1882م. كانت السياسة العثمانية في الولايات العربية عبثية وغير موفقة، وبوجه خاص مصر والحجاز واليمن.

ولذلك كانت الانتفاضة المحلية ضد العثمانيين، وتادلجت الانتفاضة في اليمن على يد دعاة الائمة الزيدية واخذ الصراع في اليمن بعدا طائفيا بين الزيدية الشيعية والسنة العثمانية، وفي الحجاز على اساس عرقي عندما طالب

---

1) د. محمد عمارة : فجر اليقظة القومية، القاهرة، دار الثقافة العربية، ط2، 1975،2م، ص369-ص370.

محمد بن عبدالوهاب (1700-1792م) باسقاط الدولة العثمانية وتبني فكرة "القرشية" بمعنى اقامة دولة عربية[1].

وظهرت حركة خروج عن السيطرة العثمانية مناهضة للاستعمار الاوربي في ليبيا والجزائر ومصر ممثلة بالحركة السنوسية نسبة الى مؤسسها محمد بن علي السنوسي عام (1787-1859م) وقامت على اساس التجديد في روح الفكر الاسلامي وامتزج فيها الفكر السلفي والصوفي، اما حركة الثورة المهدية التي ظهرت في السودان على يد مؤسسها محمد احمد المهدي (1844-1885م)، فقد كانت كرد فعل لسلبية مقاومة الاستعمار الاوربي، من قبل السلطة العثمانية، فحددت المهدية هدفها الذي تمثل بالثورة على الاتراك.. وكان المهدي يقول لانصاره : "ان النبي صلى الله عليه وسلم قد حرضني على قتال الترك.. وجهادهم، فالترك لا تطهرهم المواعظ، بل لا يطهرهم الا بالسيف"[2]

والملاحظ ان حركة ابن عبدالوهاب، وال سعود كانت تحمل في طياتها ثقل البداوة والعصبية الماضوية، فقد كان مشروعها النهضوي تجاه الدولة العثمانية فاشلا، ولم تتبين فكرة مواجهة الاستعمار الاوربي الذي هو في صراع مع العثمانيين، ويحاول اقتلاع جذورها ليقوم بالسيطرة على مواقع ال عثمان في الساحة العربية.

---

1) د. محمد عمارة : الجامعة العربية.. والجامعة الإسلامية (ندوة) القومية العربية والإسلام، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1981،ص149م.

2) محمد إبراهيم أبو سليم : منشورات المهدية [بيروت : د. ن]، 1969م، ص74، ص331-ص332، نقلاً عن: د. محمد عمارة، المرجع السابق، ص149.

حركة التتريك والتوجه القومي العربي:

عندما وصلت الدولة العثمانية الى مرحلة التشبع في اتساعها واستكملت عناصر قوتها وعظمتها بدات تدخل دور التدهور.. ويعود ذلك الى عوامل داخلية تمثلت بضعف السلاطين العثمانيين بعد سليمان القانوني، والذين كانوا يفتقرون الى دراية لاحتياجات الدولة العثمانية، وكذلك انتشار الفساد الاداري والمالي وخاصة في مسالة جمع الضرائب.. الى جانب ضعف دور الانكشارية والذين كانوا يكونون العمود الفقري للنظام العثماني العسكري.

العامل الثاني يتمثل بالشان الخارجي، فقد كانت الدولة العثمانية تمثل قوة عسكرية ضاربة ترهب الدول الاوربية.. وحين اخذت الدول الاوربية منذ القرن السادس عشر الميلادي تتحول الى راسمالية اقتصادية وصناعية، وبالتالي بدا ميزان القوى يشكل قوة راجحة في صالح الدول الاوربية.

وبدا السلاطين العثمانيون يبحثون في اجندتهم على الكيفية التي يمكن ان تؤدي الى نهضتهم وخاصة عندما بدا يتغلغل الاستعمار في اطراف الدولة العثمانية، فبدؤوا العمل باتخاذ اجراءات اصلاحية تمثلت في تنظيم الجيش وتسليحه، والنظام الاداري على الطريقة الاوربية[1] وارسال البعثات الى اوربا والاتجاه نحو مركزية السلطة في العاصمة والولايات التابعة لها.

وعند عودة المبعوثين من اوربا بداوا يعملون على ايجاد تجديد في بنية النظام العثماني من خلال تجمعات حزبية.. فانشؤوا جمعية الاتحاد والترقي عام 1894م، وكان برنامجهم السياسي يتمثل بتحويل الدولة العثمانية الى دولة دستورية.. ويعد ذلك اهم مطلب سياسي ناضلوا من اجله.. واتبعوا من اجل

---

1) د. محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي 1514-1914م، القاهرة، مكتبة سعيد رأفت، 1977م، ص211.

ذلك تكتيك حبك المؤامرات، الا ان السلطان عبد الحميد نجح في كشف جزء من المنظمات السرية لتركيا الفتاة[1] ، واقيمت محاكمة لهؤلاء في الفترة من 1897 و1899م فغادر انصارهم الى خارج تركيا.

ومن الملاحظ ان تركيا قد عرفت حركة علمية على الطراز الاوربي.. فقد دشنت العاصمة اسطنبول مدارس عليا للطب والعلوم والادارة والتربية، كما افتتحت في مصر مدارس للطب والهندسة وللحقوق.. وفتحت تركيا ابوابها للارساليات الاجنبية المختلفة "كاثوليكية" و "انجيلية" ومدارس في فلسطين ولبنان وسوريا، وانشات معاهد للتعليم العالي في بيروت "الكلية السورية الانجيلية" الجامعة الامريكية فيما بعد عام 1875م، وانشات صحف يومية في مصر وهي "الاهرام" و "المقطم" وفي بيروت صحف ومجلات علمية اخرى[2].

وكانت الدولة العثمانية في بداية عهدها مع العرب ابتداء من القرن السادس عشر الميلادي لم يكن التمايز واضحا بين العرب والعثمانيين، وبالتالي كانت الدولة العثمانية متعددة القوميات والمذاهب، وكان الجميع يعيشون في "دار الاسلام" والتي حمتهم قرونا طوالا من التحديات الخارجية.. كان السلطان يحمل لقب "امير المؤمنين" و"خليفة الرسول" ولما كانت مصادر الشرع الاسلامي كلها عربية، كانت لغة الضاد هي اللغة الرسمية في المحاكم الدينية والقضاء في كل الولايات العربية.. وكانت المدارس الدينية في كل من مصر وبلاد الشام واليمن هي التي تخرج علماء الدين والفقهاء وتمد الجهاز القضائي العثماني بعموده الفقري.. ايضا لم يغب العرب عن

---

1) لوتسكي : تاريخ الأقطار العربية الحديث، بيروت، دار الفارابي، ط7، 1980م، ص394.

2) د. نقلولا زيادة : الحساسيات القومية والسياسية أواخر العهد العثماني، مجلة الاجتهاد، العدد 45و46، شتاء وربيع 2000، بيروت، دار الاجتهاد، ص219.

الادارة العثمانية والالتحاق بالجيش وشغل الكثير منهم وظائف عالية فيها، كان العرب والاتراك اخوانا في الدين هويتهم العثمانية[1].

ويبدو ان مسالة الانتماء القومي لم تكن مطروحة كفكر في المشرق العربي في القرن الثامن عشر، الا ان الثورة الصناعية في اوربا، والفساد الاداري والمالي والعسكري في الدولة العثمانية، والثورات القومية البلقانية من يونانية وصربية وبلغارية.. وحصولها على الاستقلال ادى ذلك الى تسرب الافكار الاوربية والوطنية، ابتداءً من عهد حملة نابليون بونابرت على مصر عام 1798م، اضف الى ذلك حركة الهجرة الى الخارج وانتشار التعليم الاوربي في جبل لبنان ومدينة بيروت[2].

وقد اضافت الظروف المحيطة بالعالم العربي من تدخلات اجنبية، تبلورت عن موقف عربي مقاوم للاستعمار في كل من مصر والمغرب العربي، وقد اختلفت ملحمة المواجهة للاستعمار حيث ظهرت جمعيات علنية وسرية ذات اهداف اصلاحية تداخلت واختلطت فيها وسائل المواجهة سواء كانت سياسية او ادبية فكرية.

وبدا السلاطين ينظرون الى الجانب الاصلاحي كمسالة تحد، لذلك يقال ان السلطان محمود الثاني عندما بدا بجدية في الاصلاحات الاجتماعية والسياسية، برر ذلك بقوله : "انا اعرف المسلمين في الجامع، والمسيحيين في الكنائس، واليهود في المعابد، وخارج اماكن العبادة، اود ان يتمتع كل فرد بحقوق سياسية متساوية، وبحمايتي الابوية".[3]

---

1) د.برهان غليون : نهاية عصر الدولة الوطنية، مجلة أبعاد (العدد الثالث، مايو، 1995، بيروت، المركز اللبناني للدراسات)، ص260.

2) نفس المرجع السابق : ص260.

3) د. محمد أنيس : مرجع سابق، ص214.

وفي الجانب الاقتصادي وبحكم الامتيازات التجارية التي منحتها الدولة العثمانية للدول الاوربية، فقد تدفقت السلع التجارية الاوربية، وخاصة المنسوجات الى الدولة العثمانية في اواخر القرن الثامن عشر الميلادي، فادى ذلك الى كساد المنسوجات والسلع المحلية العثمانية، لان السلع المنافسة صحبتها دعايات اعلانية مما جعلتها منافسة قوية للصناعات المحلية.. وكان الوسطاء لهذه السلع من اليهود والمسيحيين وتمتعوا بحماية اوربية على الرغم من انهم من رعايا الدولة العثمانية.. وبرز الوسطاء كطبقة في القرن التاسع عشر وسموا "بفرنجة المياه العذبة" تمييزا لهم عن الفرنجة الاوربيين.

من جهة اخرى اوجدت حركة الاصلاحات شرخا في العلاقات بين المسلمين والمغايرين لهم في الدين، فاعلان المساواة بين المسلمين وغير المسلمين كان مبدا مطاطا ولم يكن له اثر معقول.. لان الحكومة لم تستطع القيام بتطبيق هذا المبدا المعلن عنه، حيث ظلت الخدمة العسكرية قاصرة على المسلمين دون غيرهم بينما يفرض على غيرهم من الاقليات الدينية دفع الجزية.. كذلك ظلت الوظائف العامة بصفة عامة وخاصة الوظائف الادارية الهامة والقضائية محصورة في يد المسلمين، وهكذا ادت التنظيمات الى زعزعة نظام الملل دون ان تقوم بدمجها في كيان المجتمع العثماني ادماجا تاما.. فاصبحت هذه المؤسسات الدينية مجالا نشطا للثقافة الاوربية، والمفاهيم الاصلاحية الدينية والسياسية.. وانعكست تلك المفاهيم الثقافية الجديدة على بلاد الشام حيث تتجمع فيها اكثرية من الاقليات المسيحية، واتجه هؤلاء الى الدول الاوربية يطلبون الحماية منها، والتاييد في مبدا الاستقلال.. عكس المسلمين الذي اتجهوا الى السلطة العثمانية من اجل الحصول على المزيد من الحقوق والواجبات[1].

1) د. محمد أنيس : مرجع سابق، ص216.

وكانت تلك التنظيمات الاصلاحية تهدف الى اعادة القوة المركزية للدولة العثمانية، وبالتالي بدات السياسة العثمانية تعمل على تركيز قوة نفوذها في الولايات العربية.. واتخذ العثمانيون نهجا سياسيا جديدا تمثل في تبني السلطان عبد الحميد الثاني فكرة الجامعة الاسلامية، ليضمن التفاف العالم العربي حول الدولة العثمانية، ومنذ اواخر القرن الثامن عشر الميلادي بدا العالم الاسلامي يموج بحركات بعث واحياء دينية قوية جاءت كرد فعل للحركات العلمانية التي بدات تباشيرها في العالم الاسلامي، وكذلك اعتداءات الدول الاوربية على اجزاء من هذا العالم[1].

كانت تلك الحركات الاسلامية على اختلافها لها مواقف من الحركات العلمانية، وتمثلت مواقفها بالسلبية، والدعوة الى العودة للاصول الاسلامية، الاولى : كالحركة الوهابية في الحجاز او السنوسية في شمال افريقيا او المهدية في السودان، الا ان هذه الحركات خلقت اثرا فكريا دينيا رغم فشلها سياسيا.

جمال الدين الافغاني ودوره السياسي :

ووجد لفكرة الجامعة الاسلامية من يقوم بتعضيدها وتاييدها بقوة، هو المفكر الاسلامي جمال الدين الافغاني (1830-1897م) وفي عهده كان الاستعمار الاوربي قد اجتاح الكثير من بلدان العالم الاسلامي، وكان يحاول وقف هذا الزحف الاستعماري الاوربي، فكانت فكرة الجامعة الاسلامية تدعو الى وحدة الصف الاسلامي شعوبا وحكومات للوقوف امام التيار الزاحف من الاستعمار[2].

---

1) نفس المرجع : ص238.

2) د. محمد أنيس : المرجع السابق، ص239.

وبينما كانت الحركة الوهابية السلفية المتعصبة.. والسنوسية والمهدية يحملان مفاهيم صوفية وكلها تتجه لمحاربة الدولة العثمانية.. كانت حركة "الجامعة الاسلامية" تدعو الى ضرورة وحدة صفوف المسلمين شعوبا وحكومات للوقوف صفا واحدا لمواجهة الزحف الاوربي.

واتخذ الافغاني لنفسه منبرا تمثل بجريدة "المنار" في القاهرة يدعو لراب الصدع بين الامة الاسلامية، والابتعاد عن الخلافات المذهبية والالتفاف حول مفهوم دعوي وحدوي من خلال الجامعة الاسلامية من اجل الوقوف في مواجهة العدوان الاوربي، وفرض هيمنته ونفوذه على العالم العربي.. فالافغاني كان يرى ان الاوربيين يعملون على مقاومة ومناهضة الاسلام وان الصلبية الاوربية تحمل ثارا على العالم الاسلامي.. والمسيحية تنظر الى الاسلام نظرة عداء وحقد وتعصب ديني ممقوت.. ولذلك تكرس جهودها للقضاء على كل حركة حاولها المسلمون في بلادهم وديارهم في سبيل الاصلاح والنهضة.. وهذا ما يدعو العالم الاسلامي ان يتحد اتحادا دفاعيا عاما للذود عن كيانه ووقاية نفسه من القضاء المقبل. من اجل ذلك على المسلمين : "اقتفاء تقدم الغرب والوقوف على تقدمه وقدرته"[1]

وفي ظل هذا المخاض الفكري والسياسي، وتربص الاستعمار الاوربي بالدولة العثمانية، الم تكن فكرة "الجامعة الاسلامية" صائبة من حيث مبدا جمع الكلمة وتوحد الرؤى في مواجهة المد الاستعماري التوسعي؟. انها فكرة جريئة ولذلك اجتهد الاستعمار واذياله من دعاة محاربة البدع لتشويه شخصية "جمال الدين الافغاني" المنظر السياسي لمبدا الجامعة الاسلامية، ونصير الحراك السياسي والفكري في مواجهة الاستعمار الاوربي. كان الافغاني عظيما في فكره وارائه الجريئة والتي لقيت نجاحا في مصر بوجه خاص

---

1) المرجع نفسه : ص240.

اكثر مما لقيته في بقية انحاء العالم العربي، وذلك لان الحركة الوطنية بمصر كانت تناضل ضد الاستعمار البريطاني، عكس بلاد الشام والعراق حيث كانت الحركة الوطنية فيها في مواجهة الدولة العثمانية. وكانت الدعوة لقيام جامعة اسلامية والتي تمثلت بركنين اساسيين، الاول : الالتفاف حول الخلافة الاسلامية، ولذلك نشط عبد الحميد الثاني على احياء الخلافة الاسلامية من خلال استصراخ المسلمين في العالم الاسلامي للوحدة، ودعا اصحاب الطرق الصوفية، والفقهاء والمشايخ من العرب الى الاستانة، ومنحهم مرتبات مغرية ليكونوا عونا له في دعوته للوحدة الاسلامية، وانشا المجلات التي اخذت على عاتقها السير بالدعوة، وانشا مدرسة للوعظ والارشاد.. اما الحج وهو الركن الثاني من الجامعة الاسلامية فقد عني السلطان عبد الحميد بالاهتمام بالحجاز فانشا الخط الحديدي الى مكة والمدينة المنورة، الذي تم بناؤه عام 1908م لتسهيل الحج للمسلمين.

عوامل ضعف الدولة العثمانية.. مقدمات ونتائج:

لقد تميزت الفترة التاريخية من عام 1854-1875م بتدفق الراسمال الاجنبي على الدولة العثمانية وخاصة بعد سقوط نظام محمد علي باشا في مصر، والذي كان يحتكر الصادرات والواردات التجارية المصرية، وتم رفع الحظر عن تملك الاجانب في عامي 1854و1867م[1]. ونتيجة لذلك فقد فرض الاوربيون انفسهم على الدولة العثمانية بالقيام بمشاريع سكك الحديد والمرافئ، والمناجم والبنوك والذي بلغ معدله السنوي في السنوات المشار اليها

1) د. عبد الرؤوف سنو : تطور الاتجاهات الإسلامية في الدولة العثمانية [مجلة المنهاج – العدد الرابع – شتاء 1417هـ /1996م]، ص120.

"1.9" مليـون لـيره اسـترلينية، ومـن اصـل "244 مصـفاة"[1].اذا لقـد كانـت معاهـدات الامتيازات للدول الاوربية بداية السقوط النهائي للدولة العثمانية.

في بلاد الشام لعب التجـار المسـيحيون دورا وسـيطا مـع اوربـا " واسـتنادا الى تقـارير قنصلنة بريطانيا تراجع عدد التجار المسلمين المتعاملين مع اوربـا مـن سـتة مقابـل ثمانيـة وعشرين تاجرا مسيحيا واجنبيا، في عام 1826م الى ثلاثة تجار في عام 1848م مقابل تسـعة وعشرين بيتا تجاريا مسيحيا"[2].

وفرضت الدول الاجنبية حمايتها للمسيحيين، كما رافـق ذلـك تـدخل سـياسي اوربي في شئون الدولة العثمانية، وبلـغ ذروتـه بـالروابط الحميمـة بـين الغـرب والـذميين، وفرضـت الدول الاجنبية على الدولة العثمانية منح امتيـازات خاصـة للمسـيحيين بطـوائفهم داخـل بيئة السلطنة العثمانية، ومن ذلك الاعفـاء مـن الخدمـة العسـكرية والاسـتقلال الـذاتي في الشؤون الدينية والاجتماعيـة، والتعليميـة، والضريبيـة، واصـبح المسـيحيون داخـل الدولـة العثمانيـة كـانهم رعايـا الـدول الاجنبيـة.. ونلاحـظ ذلـك ان التـدخل الاوربي العسـكري - السياسي في القرن 19م لصالح تلك الطوائف المسيحية.. لذلك لجا المثقفون العثمانيـون الى الدعوة التريكيـة لكـل الطوائـف والقوميـات تحـت شـعار المسـاواة بـين المسـلمين وغـير المسلمين امام القانون في الحقوق والواجبات بصرف النظر عن الـدين او العـرق او اللغـة، والغيت الجزية على الاقليات الذمية، وسمحت لهم بممارسـة الحقـوق الوظيفيـة سـواء في الادارات او الجيش من اجل لفت نظر الـدول الاوربيـة ان الدولـة العثمانيـة بـدات تاخـذ بعين الاعتبار التحول نحو عصرنة السلطنة.. وبدا النظام العثماني يتعامل مع الملل عـلى اسـاس

1) المرجع نفسه : ص120.

2) ألبرت حوراني : التاريخ الاقتصـادي للهلال إلخصـيب 1800-1914م، ترجمـة : رؤوف عبـاس حامـد، بيروت، 1990م، ص264-ص26، نقلاً عن د. عبدالرؤوف سـنتو : تطـور الاتجاهـات الإسـلامية في الدولـة العثمانية، مرجع سابق، ص122.

المواطنة العثمانية.. وفي عام 1869م اصدرت الدولة العثمانية قانون الجنسية العثمانية[1].

وعندما حاولت الدولة العثمانية بعد ذلك الغاء الامتيازات رفضت الدول الاوربية مجتمعة.. وحثت الدولة العثمانية بالاستمرار في طريق الاصلاحات.. وتوجت الدولة العثمانية توجهاتها الاصلاحية بفرمان [خط شريف كلخانة 1839] بالغاء الجزية على المسيحيين ومساواتهم بالمسلمين.. رفض الارمن ذلك واصروا على عدم التنازل عن امتيازاتهم القديمة[2]. وما كان من السلطان العثماني عبد الجميد، ان اعاد النظر بفرمان [خط هيمايون 1856] تحت ضغط الدول الاوربية على ابقاء الامتيازات للمسيحيين مع المساواة في كل شيء مع المسلمين[3].

ومن البديهي ان ينظر المسلمون العثمانيون على ان المساواة مع المسيحيين جاءت نتيجة تدخل خارجي اجنبي، بدؤوا ينظرون الى الاصلاحات على انها "وافدة" من الخارج، ومفروضة من قبل الدول الاوربية المسيحية لصالح مسيحيي الداخل وان اوربا هي العقبة الكبرى امام تفوق اسلامي كامل على المسيحيين المحليين[4].

ولم يكن مسيحيو الامس مضطهدين فقد كان شانهم شان الاقليات الذمية لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، تقوم الدولة بحمايتهم ورعايتهم واحترام حقوقهم بموجب الدستور التشريعي الاسلامي.. الا ان الظروف التي

---

1) د. عبدالرؤوف سنو : تطور الاتجاهات الإسلامية في الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص126.

2) نفس المرجع : ص126.

3 (All the privileges and spiritual immunities granted to all christians communities or other non. Musulman.. shall be confirmed.

هذا ما جاء في خط هيمايون، نقلاً عن الدكتور عبدالرؤوف سنو : المرجع السابق،ص126.

4) نفس المرجع : ص128.

استجدت على الساحة السياسية للدولة العثمانية اوجدت بذور الانشقاق وثقافة الكراهية بين النظام الحاكم والاقليات، ورعت اوربا ذلك التوجه الجديد القائم على الدعوة للانفصال عن النظام العثماني والدعوة للحرية والاستقلال.

وعندما ارتقى السلطان عبد الحميد الثاني العرش كان الوضع السياسي سيئا للغاية، وبدا عهده متظاهرا بانه يحيا حياة مطابقة للصفات التي اشتهرت عنه، برغبته للتقدم والتجديد، وعين مدحت باشا رئيسا للوزراء (صدرا اعظم) وكان قد عرف عن مدحت باشا النزعة الدستورية الاصلاحية، ووسط احتفالات رائعة المظهر في اليوم نفسه (23 ديسمبر1876م) اعلن عن الدستور.. وكان الدستور المعلن يحمل افكار مدحت باشا واراءه الحرة.. وقام السلطان بوضع لمسات كتعديلات على الدستور.. وكان لهذا الاعلان الدستوري دور كبير في تعطيل المؤتمر الاوربي[1].

وفي شهر فبراير 1877م ازاح السلطان عبد الحميد مدحت باشا من منصبه، ونفاه الى اوربا، وبعد ان افتتح السلطان البرلمان الجديد في مطلع شهر مارس من نفس العام القى خطاب العرش، وتذرع باعلان روسيا الحرب على السلطنة، فاصدر قانونا بتعطيل الدستور.. وبقي "معطلا " احدا وثلاثين عاما[2]

---

1) جورج أنطونيوس : يقظة العرب [تاريخ حركة العرب القومية]، ترجمة : دكتور ناصر الدين الأسد وآخر، بيروت، دار العلم للملايين، ط5، 1978،ص130.

2) نفس المرجع : ص131 : ويشير الدكترو محمود حداد في موضوعة : إعادة نظر في بروز القومية العربية : مجلة أبعاد "العدد الثالث / أيار / مايو 1995م، صادره عن المركز اللبناني للدراسات، ص184 : إلى أن السلطان عبد الحميد الثاني أول من أمر بجعل اللغة التركية لغة المراسلات بين مختلف فروع الإدارة الإقليمية، وهو الذي جعل اللغة التركية لغة التعليم في المدارس الحكومية المحلية.. وأخذ يعين في بعض أقسام الإدارة المحلية موظفين أتراكاً عوضاً عن تعيين موظفين عرباً سوريين. وحصر الأتراك بالمراكز العليا في الإدارة

وفي ظل تلك الاوضاع السياسية السيئة نلاحظ صعود القوى الاوربية صناعيا مقابل ذلك ضعف الدولة العثمانية وفساد ادارتها والثورات القومية في منطقة البلقان كاليونان، وصربيا، وبلغاريا.. ونجاح هذه الشعوب بحصولها على الاستقلال وتسرب افكار اوربية الى الشرق ومنها شعارات الثورة الفرنسية التي دعت الى الحرية والمساواة والوطنية، وذلك ابتداءً من عام 1798م عهد الحملة الفرنسية على مصر، مرورا الى حركة الهجرة الى اوربا وصولا الى انتشار معاهد التعليم الاوربي وخصوصا في بلاد الشام وبوجه خاص في لبنان.

المحلية وفي السلطات العدلية المحلية... وفي عهده أيضاً كان الكثير من معلمي المدارس الثانوية الحكومية بمن فيهم معلمو اللغة العربية نفسها أتراكاً أو غير عرب جيء بهم من ولايات غير عربية.. واتبع عبد الحميد سياسة التتريك والمركزية، إلا أنه قام باحتواء تعيين بعض العرب السوريين في الإدارة الإقليمية.وتشير ورقة : دكتور فارس ساسين : في هوية اللبنانيين الوطنية والقومية [مجلة أبعاد – مرجع سابق] ص259-ص283 : إلى أن السلطنة العثمانية عندما حاولت مواجهة الأوضاع المستجدة تحديث قوانينها وإداراتها وفرض سلطة المركز على الولايات وتحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية عبر ما يعرف "بالتنظيمات إلخيرية" التي افتتحها، وأصدر (خط شريف كلخانه 1839/11/3م) وعززها بإصدار (خط همايون 1856/2/18) الذي رسم المساواة الكاملة بين رعايا السلطنة كافة المسلمين منهم وغير المسلمين، وذلك لجهة الوظائف والمعاملة وإلخدمة العسكرية، وتطبيق العدالة، ودفع الضرائب ودخول المدارس.. وكان من نتائج هذه التنظيمات هو تشديد القبضة المركزية على الولايات العربية وتزايد وعي الطبقات التركية التي تغذي الإدارة والجيش لهويتها الطورانية، الأمر الذي انعكس تخوفاً بين العرب المسلمين في بلاد الشام.. إلا أن السلطان عبد الحميد الذي نجح في انقلابه على الدستوريين، واتخذ من الرابط الإسلامي لمواجهة الغرب وسعى لاحتواء المسلمين العرب بتعيين البعض منهم في مراكز إدارية مهمة وعسكرية، وتنفيذ بعض المشاريع الإنمائية مثل (سكة الحديد – تركيا – الحجاز) وإنشاء مدارس حكومية في سوريا..)

ومن جهة اخرى فان المشروع السياسي الاسلامي في العهد العثماني كان مبنيا على مقارنة بين ممارسة الحياة والحكم تحت نفوذ (المماليك والعثمانيين) في مصر، وما تلا ذلك في عهد النظم الحديثة التي سنها الفرنسيون، هذه المقارنة كانت لدى المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي، والذي اقر بافضلية الفرنسيين، ويعد ذلك نوعا من الفصام "فقد سجل الجبرتي ثناءه على الفرنسيين لانهم لم يكونوا يتجاوزن الرسوم التي فرضوها على الاقضية او رسوم التسجيل ولانهم لم يبادروا بقتل سليمان الحلبي عندما اغتال الجنرال كليبر، بل حاكموه وسالوه وناقشوا الشهود، واثنى عليهم لاشياء اخرى كثيرة"[1].

ومع ذلك فقد تجمعت قوى الشعب والمماليك والاتراك في مواجهة الغازي الاجنبي، ولاول مرة نجح العلماء في تثبيت سلطة احد القادة العثمانيين واليا على مصر، وهو محمد علي باشا (1805-1849م) الا انه اوجد لنفسه مشروعا سلطويا يقوم على تثبيت سلطته ويرثه ابناؤه من بعده، وكان

---

1) د. وليم سليمان قلادة : التغيير المؤسسي في الوطن العربي على النسق الغربي "التراث وتحديات العصر في الوطن العربي" الأصالة والمعاصرة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية : في السيد ياسين وآخرين، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1987م،ص417.. ويضيف الباحث وليم أن الذي حدث في التاريخ المصري أن شوكة الحكام العثمانيين والمماليك أطاحت بها شوكة أجنبية هي الحملة الفرنسية. وكان لهذا العنصر الأجنبي لمسار حركة التغيير للمفاهيم السابقة، فاللمسات الأجنبية جاءت من خلال تعليمات نابليون بونابرت الذي يقول فيها : "أن الغرض من عقد الديوان العام هو تعويد الأعيان المصريين نظم المجالس الشورية والحكم فقولوا لهم أني دعوتهم لاستشاراتهم وتلقي آرائهم فيما يعود على الشعب بالسعادة والرفاهية، وما يفكرون في عجلة إذا كان لهم حق الفتح الذي حزناه في ميدان القتال.،ص416.. انظر : عبد الرحمن الرافعي، عصر إسماعيل،ط2، 2ج (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1932)، ج1، ص85، ومابعدها، وقلادة "محمد علي حاكماً".

لطموحه المشروع ان رغب بالانفراد والانفصال عن الدولة العثمانية.. ففي عام 1838م الغيت سياسة الاحتكار من الدولة العثمانية بما فيها مصر.. وفي عام 1840م وقعت معاهدة لندن التي اجبرت مصر على الانسحاب من سوريا وضمنت لمحمد علي حكم مصر وراثيا... وصدور فرمان في فبراير عام 1841م يحدد عدد افراد جيش محمد علي بان لا يزيد عن ثمانية عشر الف جندي فقط، ويمنع محمد علي وورثته من بناء سفن حربية.. وبسقوط نظام محمد علي سقط اول مشروع سياسي اسلامي.. وجاء من بعده عباس ثم سعيد ليصل الامر الى اسماعيل باشا الذي تبنى مشروعا اصلاحيا يقوم على المبالغة في الترف واغرق مصر في مديونية لم تنته مصر من تسديد مديونيتها الا في عام 1954م.

ومن مقدمات الحركة القومية التركية ان النظام الراسمالي وما يتطلب من تكامل اقتصادي قومي موحد يقوم مقام المراكز الاقتصادية المبعثرة التي تمثل النظام الاقطاعي الى جانب تطور التقدم العلمي، وتقدم طرق المواصلات في كل الميادين. وكان للقومية امكانيات قليلة وغير مترابطة بسبب الاقطاع، فجاء النظام الراسمالي وسمح لهذه الامكانيات للظهور والتطور.. ويرتبط ظهور العلاقات الراسمالية في المجتمع بظهور الطبقة المتوسطة والذي اصطلح عليها الطبقة البرجوازية وبها قطاع المثقفين. وهو الذي يسير الحركة القومية ويقود كافة الطبقات وراءه، والحركات الوطنية في الشرق الاوسط علمانية، عقلية تستند على وعي طبقة متوسطة وتستهدف تحقيق مبادئ اربع هي : الحرية الفردية، والنظام الدستوري، وهدم الاقطاع والتحرر الوطني من السيطرة الاستعمارية الاوربية[1].

1) Hans kohn: Nxationolism and Gmperialismin نقلاً عن : د. محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربي (1514-1914) The hather east، القاهرة، مكتبة سعيد رأفت، 1977، ص244.

كانـت الدولـة العثمانيـة تواجـه ازمـات عنيفـة منهـا الحركـات السياسـية في بلغاريـا والعرب تهدد بـالخروج عـن النفـوذ العـثماني كـولايتين.. وكـذلك خطـر التـدخل الاوربي في شئون الدولة العثمانية اما الازمة الثانية للدولة العثمانية، فتمثلت في عجز ميزانية الدولـة وافلاسها افلاسا تامـا بسـبب اسراف السـلطان عبـد العزيـز.. وانتهـى ذلـك العجـز في عـام 1876م الى اعلان افلاس الدولة وتكوين هيئة دولية والتي عرفـت (بـادارة الـدين العـثماني العام)، وتحرك مدحت باشا بقوات عسكرية ضد السـلطان عبـدالعزيز، وتوليـة السـلطان مراد الخامس، الا انه اصيب باختلال عقلي مما حمل العسكريين على تعيـين عبـد الحميـد الثاني سلطانا للبلاد بدلا عن مراد الخامس عام 1876م وتم تعيينه على شرط قبول الحكـم بالدستور، وبعد ان تم الاعلان عن الدستور وتعيين مدحت باشـا رئيسـا للـوزراء ثـم اقيـل مدحت باشا من منصبه في فبراير عام 1877م واوقف العمل بالدستور في مارس من نفـس العام.. وانقلبت حركة تركيـا الفتـاة الى حركـة سريـة عـام 1889م، واسـس طلبـة المدرسـة الطبية العسكرية "جمعيـة سريـة" سـميت الاتحـاد الـتركي تـدعو الى عـزل السـلطان عبـد الحميد الثاني، ونشات هذه الجمعية في مدرسة عسكرية، وكان التعلـيم العسـكري افضـل مـن التعلـيم المـدني، فبيـنما اسـتمر التعلـيم المـدني عـلى العلـوم الدينيـة كانـت المـدارس العسكرية يعتمد منهجها التعليمي على العلوم الاوربية ولاسيما المدرسة الفرنسية اولا ثـم المدرسة الالمانيـة فـيما بعـد، وكانـت المـدارس العسـكرية اكـثر اتصـالا وارتباطـا بالثقافـة الاوربية، وهو امر يفسر لنا ظهور الاتجاهـات العلمانيـة في المـدارس العسـكرية، فـالجيش كان للحرب والحكم معا، كما هو الحال في الوطن العربي يومنا هذا.

ولقد نظمـت جمعيـة الاتحـاد الـتركي عـلى غـرار الجمعيـة الايطاليـة (كاربوناري) التي اسست في القرن 19م ولعبت دورا في الوحـدة الايطاليـة .. ولذلك فقد تاثرت جمعية الاتحاد التركي بالجمعية الايطالية وانتشرت

الجمعية اولا في مدرسة الطب العسكرية، ثم انتشرت الى بقية المدارس العسكرية العالية مثل "الاكاديمية العسكرية" و"المدرسة البيطرية" و"المدرسة الملكية" و"المدرسة المدنية" لتخريج موظفي الدولة و"المدرسة البحرية" و"المدرسة المدفعية".. وحوالي عام 1892م بدات الجمعية تنشط بين موظفي الدولة". وفي الوقت الذي كانت الحركة تنتشر في القسطنطينية كان نشاط الاتراك الاحرار في المهجر قويا ونشطا ووجد تواصل بين المهاجرين وحركة الاتحاد التركي. وانخرط المهاجرون بالحركة الام في تركيا، ومن ابرز هؤلاء المهاجرين ثلاثة : اولهم خليل غانم، وهو مسيحي عربي من بيروت كان نائبا في مجلس المبعوثان عام 1878م عن احدى مناطق سوريا، فلما عطل السلطان عبدالحميد البرلمان توجه هاربا نحو اوربا، وانشا صحيفة "تركيا الفتاة" وكان قد سبق ان اسس جريدة في جنيف تحت اسم "الهلال" هو واحمد رضا الذي اتجه الى باريس عام 1889م واشترك احمد رضا، في تنظيم "الاتراك الاحرار" في باريس وتولى بالاشتراك مع خليل غانم، تحرير جريدة "مشاورات" اتخذت لسان حال هذه الحركة منذ عام 1895م، اما الشخصية الثالثة فهو "مراد بك" وكان مدرسا للتاريخ في الكلية المدنية، وقد فر من وجه السلطان عبد الحميد ولجا الى مصر.. وفي مصر اسس مراد بك جريدة "الميزان".. ومن خلال هذه الكتابات بما في ذلك كتابات "مشاورات" تحددت اهداف تنظيم سياسي جديد يسمى "جمعية الاتحاد والترقي" عملت هذه الجمعية على التوسع في مسالة التتريك والمركزية، وتخلت عن سياسة عبد الحميد الاحتوائية، وعملت بالتضييق على الذين عدتهم انهم على صلة وثيقة بعهد عبدالحميد الثاني، وتصفية الامبراطورية العثمانية، وتجديدها على النمط الاوربي، واضفاء النزعات القومية العثمانية على اعتبار ان الجميع عثمانيون عرب وافارقه واسيويون اتراك، والبان، وارمن، ولا فرق بين مسلم ومسيحي ويهودي فالحركة اممية.

وبحكم مركزها في باريس فقد دبرت هذه الجمعية انقلابا عام 1896م بزعامة الحاج احمد افندي الذي كان رئيسا للجنة المركزية للجمعية في اسطنبول، وكانت الخطة ان يتحرك الجيش في القسطنطينية باحتلال القصر اثناء اجتماع مجلس الوزراء ويتم خلع السلطان عبد الحميد الثاني والحصول على فتوى من شيخ الاسلام بشرعية هذا الخلع الا ان عيون السلطان عرفت المؤامرة قبل تحركها.. فتم القبض على زعماء الحركة.. وتم اعتقال اعضاء الحركة وتم تصفية الحركة في العاصمة.

كان عزت باشا احد الشخصيات المغامرة الذين شقوا طريقهم الى السلطان عبد الحميد الثاني، حظي عنده، ونال منصب "السكرتير الثاني" للسلطان وهو عربي من بلاد الشام، واصبح اقوى موظف في الدولة.. وقد تمكن من ادراك غرور السلطان وجبنه "على حد قول جورج انطونيوس" [1]. وكان له وضع خاص لدى السلطان، فهو الذي اوحى للسلطان بمد سكة حديدية الى الحجاز.. وكانت خطته في مد سكة حديدية من دمشق الى المدينة، ومنها الى مكة بحجة تسهيل سفر الحجاج الا ان الحقيقة كانت ذات اهداف سياسية وحربية قبل كل شيء.

وظهر ذلك من خلال تكوين المجلس الاعلى الذي راسه عزت باشا للاشراف على المشروع، حيث وجه نداء الى العالم الاسلامي اوضح فيه الدافع الديني الذي الهم الخليفة مد السكة الحديدية، واهاب بالمسلمين ان يتبرعوا بالمال لجمع نفقات المشروع.. وفرضت في جميع انحاء الدولة ضريبة خاصة في صورة طابع بريدي، ووجهت الدعوة الى الموظفين في الحجاز ليتبرعوا بنسبة معينة من مرتباتهم، وعهد بالعمل الى مهندسين من الالمان

---

1) يقظة العرب : مرجع سابق، ص142.

فبدؤوا التنفيذ في ربيع سنة 1901م[1]. وانتهى بناء المشروع في خريف عام 1908م وهي مسافة تبلغ 900 ميل وبلغت تكلفة المشروع نحو ثلاثة ملايين جنيه.

وكان لهذا المشروع اثره البالغ في كل البلدان الاسلامية.. وجعلت وسائل السفر في الولايات العربية الواقعة في الغرب اسرع مما كانت[2]

في خريف عام 1898م وصل الى اسطنبول امبراطور المانيا "غليوم الثاني" في زيارة رسمية للسلطان عبد الحميد، وتوجه الامبراطور من سطنبول الى القدس، ومنها الى دمشق وخلال رحلته هذه حاول ان يظهر شعوره الطيب نحو السلطان ومودته للاسلام وللخليفة.. والقى خطابا عاطفيا مليئا بالمودة في دمشق قال فيه : "فليطمئن صاحب الجلالة السلطان، وليطمئن معه الثلاثمائة مليون من المسلمين الذين يجلونه لانه الخليفة الى انهم سيجدون في امبراطور

1) نفس المرجع السابق: ص142.

2) يشير "جوتش وتمبرلي" في الوثائق البريطانية عن أسباب الحرب، المجلد إلخامس، ص43 : نقلاً عن جورج أنطونيوس، مرجع سابق، ص144. إلى ما أوضحه السفير البريطاني لدى الباب العالي في تقريره السنوي عام 1907م ما نصه " ومهما يكن فليس هناك غير عاملين اثنين يظهران بوضوح من بين عوامل الحالة السياسية العامة خلال السنوات العشر الأخيرة. أما الأول فهي تلك السياسة الماهرة التي حدث بالسلطان إلى أن يظهر أمام ثلاثمائة مليون من المسلمين بمظهر إلخليفة والزعيم الروحي للإسلام، وبث في نفوس رعاياه الحماسة والاستجابة لشعوره الديني حين مد سكة حديد الحجاز التي ستيسر لكل مسلم في المستقبل القريب، سبيل الحج إلى الأماكن المقدسة في مكة والمدينة، فتتيح لهم التمتع في الآخرة بمسرات الجنة ومباهجها. وكان من نتيجة ذلك أن أصبح رعاياه يدينون له بالطاعة العمياء إلى حد لم يسبق له مثيل، وأصبحوا يقبلون عن رضا باستبداده المطلق الذي لم يشهد التاريخ له شبيهاً من قبل وصارت إرادة "الباديشاه" هي الشريعة المطبقة على الأرض فإذا دعا سوء الحظ مسلماً إلى أن يحس بإرهاب الحكومة العنيف وطغيانها فإنه يعزو هذه المظالم إلى الموظفين ولا يعزو إلى إلخليفة عملاً فيه سوء"

المانيا الصديق الدائم لهم". ثم اتجه الى قبر صلاح الدين الايوبي، ووضع عليه اكليل زهر، وامر بصنع مصباح من الفضة للضريح هدية شخصية منه بوصفه احد المعجبين بالبطل صلاح الدين[1].

كان عبد الحميد بالفعل يدرك قيمة مثل هذا الحليف القوى في المحافل الاوربية، وكان واثقا بقدرته على دفع جميع المخاطر التي قد تنشا عن رغبة المانيا في السيطرة، لذلك رحب بما اعلنه امبراطور المانيا من صداقته للاسلام ومباهاته بذلك.

من جهة اخرى كانت الحركات السرية تحاول تثبيت اقدامها، كان لجهود المدارس والكليات الاجنبية الى فرض نوع من الانفصام في التعليم بين الذات والاخر. لذلك كانت الجهود قد بذلت لتعليم الدارسين اللغة الاجنبية، وكان الهدف سياسيا مقصودا عندما تلقن اللغة الاجنبية عن عمد وتعطى المكانة الاولى.. وكان انتشار التعليم للعلوم الحديثة يكونً عبئا ثقيلا على اللغة العربية بحكم ادخال مصطلحات فنية جديدة على العربية، فاهملت اللغة العربية، وحدد الامريكان منذ عام 1880م جعل اللغة الانجليزية لغة التدريس في الكلية السورية البروتستنتية، ونشا جيل من المتعلمين يالفون اللغة الفرنسية او الانجليزية او الروسية، اكثر مما يالفون لغتهم العربية[2].

وكما هو معلوم ان الفكر العلماني نشا في اوربا للتصدي لسلطة الكنيسة الكاثوليكية وتسلطها، وان الصراع بين السلطة الروحية، والزمنية، هو الذي افضى الى العلمانية التي تحولت الى فلسفة حياة في اوربا، وامتدت الى كل جوانب نشاط الانسان الاوربي، وقامت على اساس الحضارة المعاصرة في الثورات العلمية والتكنولوجية والاجتماعية، وما نشا

1) جورج أنطونيوس : مرجع سابق، ص147.

2) نفس المرجع : ص167.

عنها من نظم عالمية وتنظيمات دولية في المجالات السياسية والمالية والاقتصادية والفنية والاجتماعية..الخ.

اما الفكر الاسلامي فقد حدد منهجه في الاجتهاد التشريعي قائما على القياس المقنن والاجماع الملزم في سياق المصالح المرسلة.. وقد استطاع النظام الاسلامي في بداية عصره على الرغم من كل النزاعات والاتجاهات والصراع على السلطة ان يحقق كثيرا من الفاعلية، وخلف تراثا فكريا وتقاليد راسخة في هذا المجال.

ومن نافلة القول الحديث عن نشاة حركة العرب القومية، كونها نشات في سوريا كحركة تولتها الجمعيات السياسية المقاومة للاستبداد التركي، وبدات تطالب بالاصلاح السياسي لدولة الخلافة العثمانية اصلاحا يمكن العرب من الهيمنة الداخلية على مقدراتهم السياسية في اطار دولة الخلافة، وكان الهدف من الاصلاح هو رفع الهيمنة السياسية التركية عن العرب.[1]

وزاد من قوة هذه الحركة العربية القومية سيطرة وتولي جمعية الاتحاد والترقي السلطة عام 1908م ومع حركة التتريك والنزعة الطورانية التي رعتها السلطة العثمانية فجاء المطلب العربي بالانفصال يحمل نوعا من رد الفعل لظهور القومية التركية ظهورا سافرا في اطار الدولة العثمانية، اذن فقد كانت تلك الحركات القومية العربية في فتوحاتها حركة اصلاح دستوري تهدف الى مساواة العرب بالاتراك في ظل الحكومة التركية. ثم انتقلت الى مرحلة جديدة تحت مطلب الاستقلال الذاتي ثم المطالبة بالانفصال والاستقلال

---

1) طارق البشري : إلخلاف بين النخبة والجماهير إزاء العلاقة بين القومية العربية والإسلام، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية "ندوة حول القومية العربية والإسلام " د. عبدالعزيز الدوري وآخرون، ط1981،285، 1.

السياسي عن تركيا، وتواكب هذا التصاعد مع تطور حركة التتريك والنزعة الطورانية[1].

قد يكون رواد الفكر القومي الحديث في سوريا والعراق لجؤوا الى فصل الاسلام عن المفهوم القومي العربي كرد فعل لحركة التتريك ونزعة القومية التركية، ومقاومة الاستبداد العثماني وبناء مجتمع عربي يقوم على المساواة التامة بين جميع القاطنين فيه، وان اختلفت دياناتهم.. اما العلمانية فهي نبت غربي صرف افرزته التجربة الاوربية في ملابساتها التاريخية.. وقد صيغ الفكر القومي على ايدي المستغربين سواء المسلمين او المسيحيين، بعد ان تحول التوجه العربي تجاه اوربا، وترسخ في الاذهان مفهوم انحطاط الشرق، ونهوض الغرب.. ان الماضي متروك والمستقبل منقول من الشاطئ الاخر[2].

وكان ابن باديس[3] احد ابرز علماء الجزائر قد ربط بين الحركة الوطنية والتعالم الاسلامية، واحياء الثقافة العربية معا.. واشاعة روح الانتماء للعروبة، وتاكيد اسلامية الشعب الجزائري، واعتبار اللغة العربية هي اللغة القومية مع التمسك بالشريعة الاسلامية ايضا.

وفي تونس قامت فكرة الحركة القومية على اساس ربطها بالحركة الوطنية في كل من مصر والمشرق العربي ودعت رابطة الحركة التونسية لقيام جامعة اسلامية بالقدس على غرار الازهر بمصر والزيتونة بتونس لتكون سدا منيعا ضد الحركة الصهيونية، وكانت رابطة الحركة التونسية ترى ان الاشخاص الذين تجنسوا بفرنسا يمنع دفنهم بمقابر المسلمين، بما يعني "التكفير" الديني للخارج عن الخط الوطني.. وهذا الاتجاه

---

1) نفس المرجع : ص286.
2) نفس المرجع : ص291.
3) نفس المرجع : ص297.

الراديكالي في نظرته الوطنية كان في ذلك الحين ضرورة سياسية تجاه المتطلعين لانصاف الحلول في المواجهة السياسية ضد الاستعمار الفرنسي.

ويرى "جوزيف مغيزل"[1] ان الاتجاه العربي نظروا الى وضعهم نظرة شبه قومية، اخذين بعين الاعتبار اللغة والعرق والتاريخ والارض، والقضايا المصيرية المشتركة، وان اكثر المنادين به في سوريا والعراق وفلسطين ولبنان، ثم امتد الى مصر وسائر الاقطار العربية، وقد انشِئت جمعية لبنانية في بيروت، من ابرز اعضائها ابراهيم اليازجي وفارس نمر ويعقوب صروف، وكانت اهدافها استقلال سوريا ولبنان، وتكوين دولة واحدة منهما، تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية في البلاد واقرار الحريات الفردية في الفكر والعمل والمعتقد والسياسة.ونشر المعرفة والعلم في جميع انحاء البلاد، وعدم استخدام المجندين من ابناء البلاد في بلد اخر، ثم تكونت في باريس جمعية "العربية الفتاة" عام 1909م تدعو الى اقامة دولة عربية في ظل الاتراك، ثم انتقلت الى بيروت ودمشق، ومن ابرز اعضائها الامير فيصل بن الشريف حسين.. ثم انشئت جمعيات اخرى كالجمعية القحطانية وجمعية الجامعة العربية،و جمعية العهد، وطالبت الزعامات العربية عقد مؤتمر في باريس عام 1913م تحت شعار من اجل تضامن عربي وتحقيق نظام لا مركزي وتامين حقوق العرب في كل المجالات[2].

حاول "جوزيف" في دراسته محاكمة التاريخ والنظر الى ان التاريخ مجرد من الفكر، وهو يعلم انه لولا التاريخ الاسلامي والقيم الاسلامية لما كان للعرب قيمة.. ولذلك ينبغي الالتزام بالمنهج التاريخي مع مراعاة ظروف الزمان والمكان في تقييم الواقع والاحداث ومراعاة الدقة في حسابات حجم الحدث..

---

1) الإسلام والمسيحية العربية والقومية العربية والعلمانية: "مركز دراسات الوحدة العربية"، بيروت، بحوث ومناقشات الندوة بعنوان "القومية العربية والإسلام" مرجع سابق، ص368.

2) نفس المرجع : ص386.

فجوزيـف مغيـزل يشـير الى تطبيـق الحقـوق وفقـا للاعـلان العـالمي لحقـوق الانسـان وهي:"المادة الاولى: يولد جميع الناس احرارا متساوين في الكرامـة والحقـوق، وقـد وهبـوا عقلا وضميرا، وعليهم ان يعامل بعضهم بعضا بروح الاخاء. المادة الثانية : لكل انسان حـق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الاعـلان دون اي تمييـز بسـبب العـنصر او اللون او الجنس او اللغة او الدين او الراي السياسي او اي شيء اخر.

ومن حق اي قارئ ان يتساءل اين طبقت هـذه الحقـوق او الحريـات، ففـي امريكـا التمييز هنـاك قـائم بـين البـيض والسـود والملـونين، ام في انجلـترا و التمييـز بـين الانجليـز انفسهم.. "البيض وابناء الكومونولث " وهي الدول التـي خضـعت للاسـتعمار البريطـاني ام ايرلندا، بين الكاثوليك والبروتستانت؟ وكـذلك نظـرة الغـرب العلـماني لابنـاء العـالم الثالـث وعلاقته بهم؟ بل واين هـذه العلمانيـة مـن امتيـازات الاحـزاب في الـدول الشـمولية عـلى الرعية؟

وهكذا نلاحظ ان الكثير من المفكرين العرب المسيحيين بوجه خاص يغضـون الطـرف عن الفكر العربي الاسلامي، والتاريخ ليس احـداثا وفتوحـات بـل مجموعـة قـيم انصـهرت وكونت امة عربية واحدة تحتكم لتنظير فكري اسلامي متماسك.. ولـو لم يكـن الاسلام لمـا كان للعرب قوة ووحدة وتاريخ.

الدولة العثمانية.. والحرب العالمية الاولـى:

كان الوضع السياسي في العالم العربي يختلف من قطر الى اخـر بحكـم اخـتلاف المنـاخ السياسي بين الولايات العربية، بالحجاز كان يحكمها الشريف حسين وكانت علاقتـه بـدات تسوء مع الاتراك، وكانت التخرصات السياسية تفيد ان الاتراك يرغبون اقالته مـن منصـبه، لذلك بدا يعمل جاهدا من خلال ابنه عبدالـلـه وكـان نائبـا برلمانيـا في الدولـة العثمانيـة، ويعد الابن الثاني للشريف حسين، وكان الامير عبدالـلـه معتـزا بنفسـه وكـان يجيـد اللغـة

التركية بحكم اقامته في تركيا.. فحينما كان مبعوثا عن مكة، بذل كل جهده ليستفيد من منصبه ونفوذه لدى السلطان في دعم نفوذ ومركز والده في الحجاز.. وبينما الامير عبدالله في القاهرة في فبراير 1914م في طريقة من مكة الى القسطنطينية اتصل بكتشنر متظاهرا بانه يرد زيارة مجاملة وحضر اجتماعهما المستر "الان بير" ورونالدستورز والذي كان يجيد اللغة العربية، وكان كتشنر انئذ السكرتير الشرقي في دار الاعتماد البريطاني فتحدث الامير عبدالله عن العلاقات المتردية بين والده والسلطات العثمانية.. فاتاح لكتشز ان يفهم من حديثه انه يحتمل قيام ثورة في الحجاز، اذا نفذ الاتراك عزل والده عن الحكم في الحجاز[1].

وحاول ان يعرف من كتشنر موقف الحكومة البريطانية اذا ما نشب صراع سافر بين الاتراك والعرب، الا ان كتشنر ردّ عليه دبلوماسيا: "من غير المحتمل ان تتدخل انجلترا ما دامت سياستها التقليدية هي الصداقة مع تركيا"[2].

وهكذا تفرض بعض الاسئلة نفسها كيف تفجر الموقف السياسي الدولي الى حرب عالمية اكلت الاخضر واليابس؟ كيف انجرت تركيا الى هذا الصراع الدولي مع قسوة الظروف المحيطة بها؟ من المسئول عن اشعال فتيل الحرب؟

كانت البوسنة مصدرا دائما للمتاعب خلال الحكم العثماني.. وعاصمة البوسنة هي "سيراييفو" وهي مدينة صغيرة تبعثرت بيوتها على ضفة نهر "ملياشكا" الصغير المنحدر من الجبال، ولكنها تختلف عن غيرها من بلاد الصرب الاخرى، بان اهلها معظمهم من السلاف واكثرهم من اصل صربي

---

1) جورج أنطونيوس : يقظة العرب، مرجع سابق، ص206.

2) نفس المرجع : ص206.

وكان ثلثهم من المسلمين وهم من ابناء الملاك الصربيين الذين اعتنقوا الاسلام بعد الفتح الاسلامي. وكانت البوسنة مسرحا للثورات، ففي عام 1875م اشتعلت الثورة ضد الحكم العثماني وادى ذلك الى عقد مؤتمر برلين[1]، وفي هذا المؤتمر قررت الدول الكبرى الا تضع "البوسنة" تحت الحكم العثماني، وهذه الدول هي : الامبراطورية النمسوية المجرية، وكان "ال هابسبورغ" اباطرة النمسا والمجر، وكانوا قد فقدوا املاكهم في ايطاليا، فارادوا استعادة بعض نفوذهم، لذلك لم يجد المؤتمرون في "برلين" حلا للمشكلة الا ان تبقى "البوسنة" تحت السيادة العثمانية بالاسم على ان يتولى النمسويون ادارتها فعلا.

واستمرت السيادة العثمانية اسميا حتى عام 1908م حين قرر زعماء النمسا التخلص منها، فضموا البوسنة الى النمسا واحدث ذلك ازمة دولية، وانتهت الازمة بمعاهدة مع تركيا على النزول من كافة حقوقها وسيادتها في البوسنة مقابل تعويض مالي. الا ان الضم لم يقر من قبل البرلمان النمساوي وكذلك برلمان هنغاريا، وكان لا بد من الحاق البوسة باحد البلدين (النمسا او المجر)، وظلت البوسنة معلقة لا تعرف لنفسها كيانا وكان هناك من يديرها، وليس هناك من يملكها.. وبعد ان تنازلت عنها الدولة العثمانية قام "الارشيدوق فرنزفرديناند" ولي عهد النمسا والمجر بزيارة لمدينة "سيراييفو" في 28 حزيران عام 1914م، وعند نزوله من القطار اطلق عليه النار طالب صربي يدعى "جافر بلوبر نسيب" كما تم اغتيال زوجته ايضا، وحينما قتل الارشيدوق، كان في ارض اجنبية لا سلطان له عليها.

1) عمر أبو النصر : الحرب العالمية الأولى، موسوعة تاريخية مصورة (مجلة شهرية – عدد 1)، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر، ص5.

وقد اعتبر ذهاب الارشيدوق الى سيراييفو بمثابة تحدٍ للقومية الصربية، وكان لانتصار الصرب في حرب البلقان "1911-1913م" ونجاحها في تحرير مقدونيا من النفوذ العثماني دفعها للتطلع الى "البوسنة" فاصبحت هذه الولاية مطمعا للصربيين. وكان العسكريون في النمسا يقولون بضرورة القضاء على صربيا قبل ان تشكل قوة لها خطرها. وقبل ان تصبح عشا للدسائس ضد الامبراطورية النمساوية المجرية، وكانت عصابة "اليد السوداء" الصربية تسعى حثيثا لعودة المقاطعتين الى الوطن الام وكانت الحكومة الصربية تنظر الى مساعي هذه العصابة واغراضها بعين العطف والتاييد، خصوصا وان الكثيرين من اعضاء هذه الجمعية كانوا من اعضاء الحكومة"[1].

ومهما كانت التحليلات التي ترى ان اوربا كانت تعيش بسلام لولا الحادث الاجرامي بمقتل ولي عهد النمسا الا ان من المرجح ان مقتل الارشيدوق كان القشة التي قصمت ظهر البعير، فالاستعدادات كانت على قدم وساق واجواء الحرب كانت شبه معلنة.

ومع ان التحقيق الذي اجرته الحكومة النمسوية لم يؤكد تواطؤ الحكومة الصربية مباشرة، وكان للنمسا عذرها في المطالبة باجراء تحقيق شامل. وكان من واجب الصربيين ان يقوموا بتحقيق كهذا مراعاة لمصالحهم. الا انهم لم يقوموا بذلك وثار الهياج الشعبي في كل انحاء النمسا ويطالبون بتاديب صربيا، وفي الثالث والعشرين من شهر تموز من نفس العام ابلغت الحكومة النمسوية بلاغا نهائيا قال عنه "السير ادوارد غراي (وزير

1) عمر أبو النصر : الحرب العالمية الأولى 1914-1918، مرجع سابق، ص7.، ويضيف : أن الضباط الصربيون كانوا في السابق قد قاموا بقتل الملك ألكسندر درغا في بلغراد عام 1903 م.. وهم الذين أسسوا جمعية "اليد السوداء" التي كانت متطرفة في وطنيتها.. وبعد الكولونيل "ديمغتريفتش" مدير الاستخبارات الصربية، وكانت الجمعية هذه لها علاقة قوية بالدوائر الحكومية الصربية.

خارجية بريطانيا في ذلك الحين) انه لم ير قط دولة ترسل الى دولة مستقلة اخرى انذارا مثله في الغضب والخطورة"[1]، وارسلت الحكومة النمساوية انذارا للصرب في وقت كان فيه "بوانكاره" رئيس جمهورية فرنسا، و"فيفياني" رئيس وزرائها عائدين من زيارة قاما بها لقيصر روسيا. ووقفت برلين خلف فيينا تشد ازرها، وانذرت السفن الالمانية باحتمال نشوب حرب، ونبهت سان بطر سبورغ وباريس ولندن، الى ان اي تدخل من جانبها "بين النمسا وصربيا" سيؤدي الى عواقب وخيمة.

وحددت الدولة النمساوية ساعة الصفر للحرب في 30 تموز عام 1914م بعد مضي مدة الانذار، رغم قبول صربيا سبعا من النقاط العشر[2] التي حواها الانذار، ولم يكن من المنتظر ان تقف روسيا مكتوفة الايدي من هذه الحرب، وكانت المانيا ترى ان عملية الاغتيال مروعة وفظيعة، لا يمكن الالتماس لها اي مبرر، لذلك بدا قيصر المانيا يندد بصربيا ويدلي بتصريحات تنم عن رغبته في محوها من الخريطة.

---

1) هز. أل. فيشر : المفاجأة المذهلة : كيف جروا العالم كله إلى حرب مدمرة (مجلة الحرب العالمية الأولى)، مرجع سابق، ص16.

2) والنقاط العشر التي عرضتها النمسا على صربيا هي: 1- التعهد بمنع النشرات التي تحرض على كراهية النمسا والمجر. 2- حل الجمعية التي ينتمي إليها القاتل. 3- استئصال كل المعارف العامة التي تساعد على دعاية ضد النمسا والمجر. 4- فصل جميع الضباط والموظفين المدنيين المختصين بالدعاية ضد النمسا والمجر وتقديم أسمائهم لحكومة النمسا. 5- قبول صربيا مساعدتها من قبل النمسا والمجر على قمع الحركة المضادة للنمسا. 6- إشراك مندوبين نمساويين في محاكمة من لهم علاقة في اغتيال ولي عهد النمسا. 7- إلقاء القبض على المأجور فوجاتا نكوستش وميلان سيجانوفيش. 8- معاقبة موظفي الحدود المتهمين بتسهيل مرور مرتكبي جريمة سيراييفو. 9- أن تقدم الحكومة الصربية توضيحاً عن سبب تصريحات عدائية لشخصيات رسمية ضد الحكومة النمساوية المجرية. 10- إبلاغ الحكومة النمساوية دون إبطاء تنفيذ الإجراءات التي تشتمل عليها البنود السابقة.

ولم تؤيد المانيا اقتراح الحكومة البريطانية المقدم في 13 تموز 1914م بان المهلة المحددة لصربيا يمكن مدها، كما لم تقبل عرض نقاط الخلاف على طاولة مؤتمر يعقد في لندن. لذلك اعتمدت النمسا على المانيا من خلال تصريحاتها.. وكانت فرنسا ترغب بعودة منطقتي "الالزاس واللورين"، كما كانت المانيا ترغب في امتلاك مستعمرات اكثر والسيطرة على الشرق الاوسط، كما تمنت روسيا امتلاك مضيقي البوسفور والدردنيل.. وكانت رومانيا تريد بنسلفانيا بعد ان تقوم بسلبها من هنغاريا او انتزاع بسارابيا من روسيا[1].

ومع ذلك كانت كل حكومات دول اوربا لا ترغب في الحرب عدا دولة النمسا التي كانت تريد تصفية دولة صربيا، وكانت كل دولة من دول اوربا تؤمن ايمانا قطعيا بعدالة قضيتها.

وبرفض صربيا كل النقاط، اعلنت النمسا قطع علاقاتها مع صربيا، ادى ذلك الى اعلان صربيا التعبئة العامة.. واخذت الدول الاوربية تسعى لايجاد حل معتدل يوفق بين مطالب النمسا وعدم اذلال صربيا، لكن هذه المساعي لم تكلل بالنجاح، عند ذلك اعلنت النمسا الحرب على صربيا في 27 تموز 1914م وذلك لقطع الطريق على اية محاولة للتدخل. فاحبطت النمسا مبادرات انجلترا وروسيا باتخاذ الرد الصربي قاعدة للمفاوضات.. كما بادرت المانيا وانجلترا الى تقديم عدة مقترحات للمحافظة على سلامة اوربا وارضاء النمسا وصربيا في الوقت نفسه.

كانت الحالة الدولية في يوم 29 تموز تعتبر في المانيا يوما حرجا جدا للغاية.. وكان المستشار الالماني قد حث النمسا على قبول التوسط على قاعدة الوقوف على رد بلغراد.. وكان كل ما يهم المستشار الالماني هو حياد انجلترا

---

1) هر. أل. فيشر : كيف جروا العالم إلى حرب مدمرة، مرجع سابق، ص19.

في حالة التزام انجلترا عند وقوع الحرب، وقال : "ان المانيا مستعدة في حالة التزام انجلترا الحياد لان تعطي كل تاكيد بانها لا ترمي الى الاستيلاء على اراض اوربية على حساب فرنسا وان كان لا يستطيع مثل هذا التاكيد فيما يتعلق ببلجيكا لا يستطيع ان يبوح بالعمليات العسكرية التي ستضطر المانيا الى اتخاذها، ولكن في وسعه ان يؤكد ان سلامة اراضي بلجيكا ستحترم عند انتهاء الحرب على شريطة ان لا تنضم الى اعداء المانيا"[1].

وكان الكونت برشتولد وزير خارجية النمسا يرى في الوقت نفسه ضرورة الاتفاق مع بلغاريا وتركيا واليونان اذا امكن للقضاء على صربيا كدولة مستقلة في البلقان. وكانت النمسا في هذه المرحلة تسعى وراء الحرب، في الوقت ذاته تعمل على توطيد امبراطوريتها، ولم يكن ينقذها من الانهيار غير انتصار توطيد دولتها.

وحتى مساء اليوم الخامس من شهر اب 1914م اشتركت سبع دول هي : "المانيا، وفرنسا، وروسيا، والنمسا، وانجلترا، وبلجيكا، وصربيا".. وكان عدد سكان هذه الدول لا يقل عن (325) مليون نسمة، وعدد رجال الحرب اربعين مليون مقاتل.. في الاسابيع الاولى من الحرب دُعي لحمل السلاح ما لا يقل عن اثني عشر مليونا من المقاتلين الشباب.

كانت تركيا على علاقة حميمة بالمانيا.. وساعدتها المانيا في قروضها الخارجية التي طرحتها في الاسواق، كما قام الالمان بانشاء خطوطها الحديدية، كما استقبلت العاصمة التركية بعثة عسكرية المانية لتدريب الجيش العثماني على فنون الحرب الحديثة.. كانت تركيا تخضع لنفوذ حزب الاتحاد والترقي - الحزب الحاكم - وكانت توجد شخصيات عسكرية تركية تسيطر على مفاصل الدولة التركية وهم : "طلعت باشا،

---

1) عمر أبو النصر : الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص29.

وانور باشا، وجمال باشا" وزاد الحال سوءا التجاء المطاردين الالمانيين (غوين) و(برسلو) الى الدردنيل هربا من الاسطول البريطاني المطارد لهما.

وبدا الصراع يتطور تدريجيا، حيث اتخذت انجلترا اجراءات جديدة ضد تركيا، عندما ارسلت انذارا نهائيا طلبت فيه منها الاعتذار عن ضرب المرافئ الروسية وتجريد المطاردين الالمانيين من بحارتهما واخراج افراد البعثة الالمانية البحرية والحربية من وظائفهم في اثنتي عشرة ساعة، كما اعلنت روسيا الحرب على تركيا بعد انتهاء الانذار، وغادر العاصمة التركية كل من سفراء انجلترا وفرنسا وروسيا، ونجح صقور الدولة العثمانية بحمل السلطان العثماني على قبول المشاركة في الحرب مع المانيا.

والسؤال الذي يفرض نفسه، ما هي الاسباب التي حملت الدولة العثمانية على المشاركة في الحرب الاوربية الطاحنة؟.. ويبدو ان حزب الاتحاد والترقي وصقوره، كانوا ينظرون للحرب بعيون الالمان دون ان يدركوا نتائج ذلك على مقدرات دولتهم[1]. بالتالي فقد ارتكب الحزب الحاكم اخطاء كانت سببا مباشرا في انهيار الدولة العثمانية وتمزقها السريع، وقد علق احد صقور الجيش العثماني وهو "طلعت باشا" مدافعا عن رايه بالقول: "ليست القضية الشرقية قضية انسانية نصرانية، كما حاولت بعض الدول الاوربية اظهارها للراي العام العالمي، وانما هي قضية عرض ومنفعة لاستعمار الشرق باسم الدفاع عن الانسانية والنصرانية".واضاف:"لماذا كانت الدول الغربية تتدخل في شئون تركيا اذا حكمت بالعدل على مسيحي؟ ثم نراها في الوقت نفسه تسكت على الفظائع التي كانت ترتكبها روسيا القيصرية في رعاياها من مسلمين ومسيحيين على السواء.. والسبب واضح ظاهر طبعا.. فروسيا قوية وهم بحاجة الى صداقتها.. وتركيا ضعيفة، واغراض الدول الاستعمارية في

---

1) عمر أبو النصر : الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص176.

بلادها كثيرة، ولهذا كانت الدول الغربية تعمل المستحيل لكي لا يتم اصلاح تركيا.. بل ان كلمة "الاصلاح" التي كانت الدول الغربية تقحمها في المعاهدات التي تعقدها مع تركيا انما كانت لتبرير تدخل هذه الدول بسياسة تركيا وشئونها الداخلية في الوقت المناسب"[1].

وكان طلعت باشا يستعيد الذاكرة التاريخية في دعم بعض الدول الاوربية "تركيا" فهو يرى انه اذا دافعت دولة من الدول الاوربية في يوم من الايام عن تركيا، فليس هذا حبا في تركيا، ولكن لمنع دولة اخرى من الاستيلاء على بعض المناطق التركية.

الدولة العثمانية دولة اسلامية والحرب الكونية الاولى كانت بين دول اوربا اختلفت مصالحهم، ولم يكن للاتراك في الحرب مصلحة محددة، ومع ذلك فقد كان للدولة العثمانية مبرراتها السياسية وتابطت بمبدا الجهاد، لكن ضد من.. فهل كان لمبدا الجهاد رد فعل لدى الراي العام

---

1) تتفق معظم المعلومات بشأن التحالف التركي الألماني، أن وزير المالية التركي جاويد بك ذهب إلى قصر الصدر الأعظم في 2 آب 1914م، وكان قد حضر إلى القصر في هذه الفترة طلعت باشا، وأنور باشا، ورئيس مجلس النواب خليل بك، وكان الصدر الأعظم قد انتهى من كتابة ورقة على مكتبه وسلَّم هذه الورقة إلى المسيوفيير رئيس تراجمة السفارة الألمانية، فأخذ الورقة وانصرف وكانت الورقة تلك هي معاهدة وقعت باسم جلالة السلطان محمد رشاد إلخامس، بانضمام تركيا إلى ألمانيا في الحرب، وفي 28 تموز 1914م أبرق السفير الألماني في تركيا إلى حكومته بما يأتي : "دعاني الصدر الأعظم سعيد حليم باشا منذ دقائق ورجاني باسم السلطان محمد رشاد أن أعرض على صاحب الجلالة القيصر رغبته في عقد اتفاق سري "هجومي دفاعي" بين تركيا وألمانيا ضد روسيا، ومتى أمضى هذا الاتفاق أمكن تركيا الانضمام إلى الاتفاق الثلاثي. ومن المؤكد أن هذا الاتفاق السري الذي تطلب تركيا عقده.. يصار تنفيذه عند مهاجمة روسيا تركيا أو مهاجمة ألمانيا ويسري مفعوله في الوقت نفسه فيما لو هاجمت روسيا النمسا والمجر، أو فيما إذا هاجمت ألمانيا أو الاتفاق المثلث روسيا، وتركيا لا تطلب حمايتها من أي دولة أخرى غير روسيا"، نظر المرجع السابق، ص180.

العثماني والاسلامي والعربي؟.. يبدو ان مخالب حكام الدولة العثمانية قد جرحت الكثير من الولايات الخاضعة لنفوذها وخاصة ابناء الولايات العربية. فعندما اعلنت ثورة (تركيا الفتاة) عام 1908م وخلع عبدالحميد توقفت فكرة الدعوة للجامعة الاسلامية، وترتب على ذلك قيام الجمعيات العربية المناهضة للنظام العثماني، ونشبت الحرب العالمية الاولى والعالم الاسلامي مغمور في توجهاته السياسية بين المتشبثين بالبقاء تحت النفوذ العثماني مقابل منحهم حق المشاركة في الحكم واخرين كانوا يزحفون نحو الخروج عن النفوذ العثماني.. وعندما دعت الدولة العثمانية للجهاد كان السؤال المحوري والمنطقي ضد من ولصالح من؟

في التاسع من شهر حزيران 1915م تمكنت سفينة حربية فرنسية من اسر سفينة عثمانية تحمل بعثة عسكرية هامة في طريقها الى السنوسي، ومعها هدايا تقدر بخمسة الاف ليرة ذهبية وكتابا من السلطان محمد رشاد يخبره فيه بانه انعم عليه برتبة وزير، ويطلب منه اعلان الجهاد ضد انجلترا وفرنسا وروسيا دون ذكر ايطاليا.

وفي الخريف من عام 1915م قام السنوسي بمهاجمة القوات الانجليزية، وبدات المعارك بين الاتراك والانجليز.. وفي بلاد الشام حيث كان الحاكم العسكري "احد صقور حزب الاتحاد والترقي جمال باشا" والذي ابتدا عمله باصدار قرارات صارمة تمثلت باقامة المشانق من شهر اب عام 1915م كانت القافلة الاولى من شباب العرب التي علقت على اعواد المشانق في بيروت مكونة من احد عشر فردا بتهمة الخيانة، وجرت الاعدامات للقافلة الثانية في خريف عام 1915م بالعديد من الاحرار والذين كان لهم دور في مناصرته عند قدومه بلاد الشام من ضمنهم صديقه الحميم عبد الكريم خليل وعلق رئيس تحرير مجلة المنار "محمد رشيد رضا" وهو احد زعماء حزب اللامركزية ما نصه : " كل ما احتج به جمال باشا لسفك الدماء واجلائه الناس عن اوطانهم

اباطيل.. وقد قتل بعد من ذكرهم في بيان عددا ليس بقليل، منهم السيد عبدالحميد الزهراوي الشهير،، واول اباطيله تسمية القتل برايه وراي ديوانه العرفي قصاصا.. وانما القصاص في شرع الله ان يقتل الجاني بمن قتله بغير حق، ومعناه في اللغة المساواة والمماثلة"[1].

لقد كان جمال باشا شكاكا بمن حوله لذلك كان يميل الى الخلاص ممن يعرقل مشروع حزبه وهو استعادة موقع تركيا الامبراطوري ولو من خلال الحرب الكونية في مواجهة اعداء تركيا التقليديين.

دور العرب في الحرب العالمية الاولى:

تحدثنا سابقا عن العلاقات العربية التركية كيف ساءت نتيجة سياسة الاتحاديين الحاكمين في استانبول، وتولدت عن تلك السياسة علاقة تنافر بين الطرفين وتشكيك سياسي، واقام جمال باشا المذابح ضد العرب، وخاصة ممن دارت عليهم الظنون في معارضتهم للحرب والتي لم تكن للعرب فيها لاناقة ولا جمل.

وفي شهر اب/اغسطس عام 1914م عاد الامير عبدالله والامير فيصل من بلاد الشام، وحدثا اباهما عن الاتجاه الواضح عند زعماء الاتحاديين نحو الاشتراك في الحرب الى جانب المانيا، فارسل الشريف حسين رسالة الى السلطان محمد رشاد قال فيها : "تعلمون جلالتكم ان الحرب البلقانية قد انتهت الى ما انتهت اليه، والدولة الان في حاجة الى تجهيزات واستكمالات حربية لم تتم الى الان، وانه في الدخول الى جانب المانيا الخطر العظيم، حيث اسلحة الدولة كلها من المانيا وكذلك عتاد هذه الاسلحة، وان المعامل بالطوبخانة العثمانية لا تكفي امداد الجيوش بالعتاد اللازم ولا تستطيع امداد الجيوش بما يمكن ان تخسره من مدافع وانواع الاسلحة الاخرى عدا هذا

---

1) انظر : عمر أبو النصر : الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق،ص42.

فالاقطار المترامية الى الجنوب من جسم الدولة كالبصرة، واليمن والحجاز، هذه البلاد المحاطة من كل ناحية بقوات مستعدة من الدولة المعادية البحرية ستصبح في احرج المواقف، وربما اتكلت الدولة في الدفاع على حمية اهلها وهم ليسوا منظمين ولا مسلحين بالشكل الذي يستطيعون معه مقابلة جيوش اوربا المنظمة.. وانني استحلف جلالتكم بالله ان لا تدخلوا الحرب وان تعلموا بانني اعتقد في كل من يرى الحرب الى جانب الالمان عدم التمييز والخيانة الكبرى"[1].

ودخلت تركيا الحرب رغم انف قوى المعارضة من العرب، وحاولت القوات التركية الاستيلاء على مصر اولا، وخسرت المعركة هناك، فلجا جمال باشا قائد الجيش الخامس بسوريا الى اقامة المشانق للعرب وفقا لمعطيات استخبارية بان معظم القادة العرب كانوا على علاقة بالسفارة الفرنسية، وصدرت احكام الاعدام على واحد وعشرين شخصا وفقا لاوامر جمال باشا[2].

وفي خضم محن الحرب لم تستطع سوريا وفلسطين تحمل الاعباء الاقتصادية التي فرضتها ظروف الحرب، وشرعت السلطات التركية في نهب السكان الامنين بصورة مباشرة، فجرت مصادرة شاملة للماشية والمواد الغذائية الخاصة بالفلاحين، وفي عام 1915م تمت مصادرة الكثير من محاصيل الحبوب في سوريا ولبنان، كما اصاب نظام الري الخراب واستخدم الكثير من الفلاحين في اعمال السخرة، واجبر الاف الفلاحين بالقيام بمعظم

---

1) الملك عبدالله : مذكراتي ص98-99 : نقلاً عن : سليمان موسى : الحركة العربية ، المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة (1908-1924م) بيروت، دار النهار للنشر، ط2، 1977م، ص95.

2) ساطع الحصري : مجلة العربي (العدد 30 أيار 1961م) نقلاً عن مذكرات الجنرال على فؤاد، المطبوعة باللغة التركية عام 1954م.

الاعمال الاستراتيجية العسكرية.. وتقلصت الزراعة والصناعة تقلصا كبيرا. ولم تتخذ السلطات التركية اية تدابير ضرورية لمكافحة المجاعة الوشيكة الوقوع،اضف الى ذلك عملت السلطات على تصدير المواد الغذائية الى المانيا[1].

في الثامن عشر من كانون الاول / ديسمبر 1914م اعلنت بريطانيا حمايتها على مصر، وفرضت الاحكام العرفية في طول البلاد وعرضها، وفي الحادي والعشرين من سبتمبر اعلنت الحرب على تركيا، وخلعت الخديوي عباس حلمي، وعينت مكانه الامير حسين كامل -عم الخديوي- وتولى حكم البلاد بشكل فعلي (السير هنري ماكماهون) وهو السكرتير السياسي السابق لحكومة سمل في الهند بوصفه مندوبا ساميا.. وجند الكثير من العمال المصريين بالقوة، ثم استقال من منصبه وعين مكانه الحاكم العام في السودان سابقا (السير ريجنلد وينجت)[2]. ادَّت هذه الاوضاع المستجدة في مصر الى تعاطف ديني وشعبي بين المصريين في مسالة الحرب وخاصة في مواجهة العثمانيين المسلمين، الامر الذي ادى الى نفور من القوى الشعبية في مصر ضد الاستعمار البريطاني.

من جهة اخرى كان الشريف حسين في الحجاز قد سعى منذ ربيع 1914م الى الاتصال بالبريطانيين في مصر بواسطة ابنه عبدالله في دعمه عسكريا ضد العثمانيين وحصوله على الاستقلال وتربعه على عرش الخلافة الاسلامية. الا ان الامر الذي طمح اليه الشريف حسين تحت حراب البريطانيين ضد العثمانيين لم يكلل بالنجاح فيما بعد ففي تموز/يوليو1915م انتهى الشريف حسين الى ان يكون مستعدا للمفاوضات مع (مكماهون) المندوب السامي

---

1) لوتسكي : تاريخ الأقطار العربية الحديث، بيروت، دار الفارابي،ط7،1980،ص439.

2) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة (نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي)، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1965م، ص722.

البريطاني في مصر.. وتحدث الشريف حسين باسم العرب وطلب من بريطانيا مساعدته على الحصول على الاستقلال في كل المساحة التي يحكمها وتنصيبه خليفة على الرقعة الممتدة من (مرسين الى اظنة في الشمال الغربي حتى الحدود الفارسية (في الشرق) والمحيط الهندي (في الجنوب) واذا اعلنت موافقتها على انشاء خلافة عربية. واجاب ماكماهون على هذه المذكرة في 30 اب/ اغسطس، مؤكدا ان بريطانيا لا تعارض في انتقال الخلافة الى رجل ينحدر من سلالة الرسول، ولكنها ترى ان الوقت لم يحن بعد لتعيين الحدود النهائية لدولة عربية مستقلة لا سيما وان كثيرا من العرب لا يزالون يحاربون في صفوف الاتراك[1].

واستمرت المراسلات بين الطرفين وسميت برسائل (الحسين - مكماهون) والتي تبلورت الى وعود بريطانية للشريف حسين فيما لو اطلق الرصاصة الاولى على الاتراك، ودخل المعركة ضد الاتراك ولم تفِ بريطانيا بوعودها نحوه.

وبدات بريطانيا بزرع مناطق صراع في الجزيرة العربية، ففي يوم 26 كانون الاول عام 1915م تم اللقاء بين الامير عبدالعزيز بن سعود والمفوض البريطاني (السير برس كوكس) وتم عقد معاهدة مكونة من سبع مواد اعترفت فيها بريطانيا بالامير عبدالعزيز ال سعود اميرا على نجد والاحساء والقطيف وسواحلها، وتعهدت بمساعدته ضد من يعتدون على اراضيه وحمايته، وبالمقابل تعهد ابن سعود بان يمتنع عن كل مخابرة او اتفاق مع اية دولة اجنبية وبان يتبع بريطانيا ولا يتخلى عن اراضيه. او منح امتيازات دون رضا الحكومة البريطانية، ويمتنع عن التدخل في شؤون الكويت والبحرين وقطر وعمان وبقية المشيخات التي تشملها بريطانيا بحمايتها .. واعتبر ابن

---

1) نفس المرجع، ص744.

سعود هذه الاتفاقية تحالفا وتبادل منافع.. وقدمت بريطانيا لابن سعود دعما ماديا "عشرين الف جنيه استرليني" والف بندقية، وحددت له مبلغا شهريا حوالي خمسة الاف جنيه، واستمر يدفع له ذلك المبلغ حتى اذار / مارس 1924م [1]، وهكذا اصبحت معظم مناطق الجزيرة العربية مرتبطة بمواثيق حماية مع الحكومة البريطانية عدا الحجاز واليمن وامارة ابن الرشيد.

ولم يكن الدعم البريطاني سخيا نحو الشريف حسين نظرا لتوجهاته القومية الصرفة، كذلك عملت على دعمه معنويا عندما انجر للحرب ضد الاتراك[2]. ثم وجد الشريف نفسه محاطا باعباء كبيرة وشح العتاد

---

1) سليمان موسى : الحركة العربية، مرجع سابق، ص181.

2) نتيجة التصرفات السيئة لجمال باشا توجه معظم الشباب القوميون العرب إلى مناصرة إنجلترا وفرنسا ولم تدرك بوضوح إلخطر المحدق بالعالم الإسلامي من قبل إنجلترا وفرنسا عدا قلة قليلة وتمثلت بعبد الرحمن الشهبندر ومحمد كرد علي وأنصارهما، وآثرت هذه الفئة دعم تركيا تحت شعار الجامعة الإسلامية والمنادية إلى الجهاد المقدس، ومع ذلك فقد تصدعت هذه الجبهة الملتحمة مع الأتراك في ربيع 1915م نتيجة السياسية السوفيتية التركية والجوع واتجاهات الجماهير العربية ضد الحرب كل ذلك بدد الأوهام التي بناها الشهبندر وأنصاره على العثمانيين. وفي الوقت نفسه كان قادة حزب اللامركزية المجتمعون في القاهرة يدعون إلى الانفصال النهائي عن تركيا، وأرسلوا بعضاً من أنصارهم إلى سوريا وفلسطين، كما وزعت الطائرات البريطانية المنشورات السياسية التي دعت العرب إلى الفرار من الجندية وعدم دفع الضرائب وغير ذلك.. ولقيت تلك الدعايات ضد تركيا صدى أكبر بين السكان العرب، فلجأ جمال باشا إلى تشديد الرقابة على من تدور حولهم الشكوك، ونجح في عام 1916م في تسديد ضربات قاضية على الحركات الوطنية العربية بتهمة الاتصال بالبريطانيين والفرنسيين.. وحتى منتصف عام 1916م بلغ عدد من تم إعدامهم شنقاً أكثر من ثمانمائة شخصية نشيطة من مختلف التجمعات الحزبية السياسية العربية. كما تم إبعاد عشرات الآلاف إلى المعتقلات الصحراوية. [انظر : لوتسكي : مرجع سابق،ص442-443]، ونجح جمال باشا بإبادة قادتها البارزين سواءً في لبنان أو سوريا وفلسطين والعراق. في الوقت ذاته بادر عبدالرحمن الشهبندر إلى الفرار من دمشق سيراً على قدميه فوصل إلى البصرة بعد رحلة استغرقت ثلاثة أشهر وعندما قدم الشهبندر نفسه "لبرس كوكس" رفض هذا إبقاءه في العراق وطلب إليه التوجه نحو مصر ويلحق بأصدقائه هناك، وسافر عن طريق الهند ووصل إلى مصر في كانون الأول عام 1915م. [انظر : سليمان موسى : الحركة العربية، مرجع سابق،ص163].

العسكري لديه، حيث اصبح في نهاية 1916م بندقية واحدة لكل خمسة من محاربي قوات الامير فيصل والامير زيد، وبدلا من دعمه عسكريا بعثت اليه بريطانيا وفرنسا مستشارين من البريطانيين والفرنسيين، واغلبهم مرتبطون بالمخابرات الانجليزية والفرنسية، وعندما حاول الشريف حسين التاكيد على الخلافة العربية عقد في تشرين الثاني / نوفمبر 1916م اجتماعا للوجهاء من القبائل العربية وبايعوه ملكا على الامة العربية. وطبقا للتقاليد في هذه المناصب عين ابنه علي رئيسا للوزراء، وعبدالله وزيرا للخارجية، واعلن عن الدولة العربية المستقلة، فارسل اليه مكماهون رسالة اعرب فيها عن عدم ارتياحه مما نشر لدى حكومة انجلترا وفرنسا من انشاء المملكة العربية، واعلنت بريطانيا وفرنسا عدم اعترافها بتلك الدولة ولقب الحسين الجديد، وانهما لا تميلان الى اعتبار الحكومة الهاشمية حكومة تمثل كل العرب في الدولة العثمانية، ومن ثم تمت تسوية الخلاف بين الحسين وبريطانيا على اعترافهما بالحسين ملكا على الحجاز فقط[1].

ومع بداية الحرب بدات الدول الكبرى تناقش غنائم الحرب وتتطلع الى التهام كل ممتلكات الدولة العثمانية، لذلك اتصلت انجلترا بالروس للتفاوض حول المضايق البحرية.. وقام "سازونوف" وزير خارجية روسيا بتقديم رسالة في 4 مارس 1915م الى السفيرين البريطاني والفرنسي في بطرسبورغ تضمنت مقترحا عليها تزويده بموافقة خطية على تقديم المضايق الى روسيا.

1) لوتسكي : تاريخ الأقطار العربية الحديث، مرجع سابق، ص458.

تقبل الحلفاء هذا الاقتراح بكل سرور وخاصة الفرنسيون الذين اعلنوا عن موافقتهم على المطالب الروسية مقابل موافقة الاخيرة بالاعتراف بحق فرنسا في سوريا ولبنان وكيليكيا، وتصرفت انجلترا بحذر شديد، اذ انها طالبت بان تؤخذ اعتبارات خاصة في المستقبل في قضية تاسيس دولة عربية وتحديد حدودها.

وفي العاشر من شهر ابريل 1915م وقعت اتفاقية بين انجلترا وفرنسا و روسيا، بموجبها تعين منح المضايق لروسيا، والنظر في تكوين دولة اسلامية مستقلة في الجزيرة العربية، وفيما يتعين بمصير سوريا وفلسطين بقيت معلقة. واجريت مفاوضات اضافية حول هذه القضية بين انجلترا وفرنسا في نهاية عام 1915م، وبداية عام 1916.. وعندما تعرضت القفقاز لهجوم روسي في مطلع 1916م تم الاسراع في انهاء المفاوضات.. فوافقت انجلترا على التنازل الى فرنسا عن الاراضي الواقعة غرب خط حلب - حماه - حمص - دمشق، واصر الفرنسيون على اعتبار هذه المنطقة مستعمرة فرنسية مقبلة، وتكون شرقي سوريا منطقة نفوذ فرنسية[1].

وقبيل ذلك كانت روسيا القيصرية قد تقدمت بمقترح جديد في المسالة العربية.. يقضي المقترح باجراء مفاوضات سرية مع جمال باشا، لان المعلومات لدى روسيا باحتدام نزاع بين جمال باشا والباب العالي وبالتالي يمكن اقناع جمال باشا بالتعاون مع الحلفاء مقابل جعل جمال باشا على راس دولة مستقلة تتكون من ستة ولايات ذات حكم ذاتي منها اربع ولايات عربية.. الا ان الدول الغربية لم تكن مستعدة اطلاقا لتقديم البلدان العربية الى جمال باشا.

ولهذا اعلنت فرنسا عدم امكانية تحقيق هذه الخطة كما اعلنت انجلترا رفضها لهذا المقترح، وفي مارس 1916م قدم الى عاصمة روسيا المبعوثان

1) لوتسكي : نفس المرجع، ص461.

الخاصان (سايكس عن انجلترا.. وبيكو عن فرنسا) واتفق الطرفان على وضع اتفاقية تحدد طبيعة التقاسم وسميت بمعاهدة سايكس بيكو.

ومع مطلع عام 1917م رات بريطانيا وفرنسا ارسال بعثتين سياسيتين احداهما بريطانية برئاسة سايكس والاخرى فرنسية برئاسة بيكو، للالتحاق بقيادة الجيش الانجليزي من اجل القيام باتصالات مع سكان البلاد في كل من سوريا ولبنان ومصر.. وفي السادس من شهر مارس من نفس العام ابلغت وزارة الخارجية المندوب السامي البريطاني في القاهرة بقرب وصول البعثة بحيث ان سايكس سوف يتحدث مع الزعماء السوريين في القاهرة ويجري سايكس حديثا مع المهاجرين السوريين لذلك راى الحاكم البريطاني في مصر "وينجت" ضرورة ابلاغ الملك حسين بمضمون الاتفاقية.. وفي 19 مارس 1917م ابلغ الملك برسالة من "وينجت" تقول انه بالنظر لطرد الاتراك من سيناء فان حكومتي بريطانيا وفرنسا عينتا ضابطين سياسيين لمساعدة القائد العام البريطاني في علاقته مع الاهلين وراء الحدود المصرية وتطلب الحكومتان من الملك ان يرشح ممثلا عنه لمرافقة هذه الهيئة السياسية.. وبعث ولسون مع هذه الرسالة، رسالة خاصة الى الشريف حسين قال فيها : "ان المندوب البريطاني هو السير مارك سايكس الذي يضع مصالح العرب قريبا جدا من قلبه،و الذي يعرف كل الترتيبات التي وضعت بين الحكومة البريطانية وجلالتك بشان المملكة العربية"[1].

واجاب الملك معبرا عن سروره على ان هذا يبرهن ان بريطانيا تعمل على مساعدة الامة العربية، وهكذا لم يبلغ الشريف حسين فعليا بحقيقة اتفاقية (سايكس - بيكو) لان الرسائل تضمنت دعم بريطانيا وفرنسا للثورة العربية والبحث عن مستقبل سوريا.

---

1) سليمان موسى : الحركة العربية، مرجع سابق، ص351.

وفي 9 ابريل اجتمع الشريف حسين مع ولسن وطالب من الحكومة البريطانية ان تثق به مثلما يثق هو بها.. واجاب ولسن ان القصد من ذلك هو مساعدته وليس له علم بالاتفاقية البريطانية الفرنسية.. وكان بيكو قد اجتمع مع السوريين واللبنانيين وقال فيهم : "ان جميع دول الحلفاء قد انتخبوا فرنسا وصية على لبنان"[1].. ويعد هذا اول بيان علني يتعلق بخطة دولة اجنبية للاستيلاء على جزء من اراضيهم[2] ولم تكن نية بريطانيا وفرنسا حسنة تجاه دولة الوهم العربي للشريف حسين، فقد اوهم الشريف حسين نفسه ولم يكن يمتلك - بعد دخوله الحرب - قدرة اتخاذ القرارفي مسالة دولته المنشودة.

نتائج الحرب العالمية الاولى في المناطق العربية:

بعد اعلان وقف طبول الحرب بدا المنتصرون يوزعون غنائم الحرب من خلال مبدا – خارج نطاق توجهات منظومة عصبة الامم المتحدة – الانتداب على المناطق التي خاض رجالها حروبا قوية مشتركة مع انجلترا وفرنسا من اجل تحقيق الاستقلال،فاذا بهذه المناطق اصبحت تحت نطاق الدولتين اللتين كانتا تزعمان انهما تقاتلان من اجل حرية ابناء بلاد الشام والعراق.. وسقطت بلاد الشام ومنها شرق الاردن وفلسطين تحت الانتداب البريطاني.. اضف الى ذلك بلاد الرافدين (العراق).. اما سوريا ولبنان فقد فرضت عليها فرنسا الانتداب.. واقتطعت لواء الاسكندرون السوري لصالح تركيا.. وبدات انجلترا وفرنسا تعملان على استئصال فكرة الوحدة العربية والتي كرس لها المثقفون الشاميون جل جهدهم من خلال اطروحاتهم الفكرية القومية.

وبدا الاستعمار البريطاني الفرنسي في وضع خريطة لتقسيم الوطن العربي وفقا لتصور مستقبلي يكون ازليا لافكاك منه.. وعلى ضوء هذا التصور

1) نفس المرجع : ص353.

2) نفس المرجع : ص353.

وضع الاستعمار عقبات لا يمكن اجتيازها امام تصور وحدوي مستقبلي.. ووضعت لكل دولة خارطة مستقبلها واوجدت لها رجالا موالين لها يعملون وفقا لما يمليه عليهم الاستعمار.. ولذلك فقد بدات الرؤى الفكرية في الساحة العربية تناقش قضايا قومية من الصعب تحقيقها في وضعية الشان العربي والاسلامي.. كالدعوة للوحدة الاسلامية.. والمواجهة لها، الدعوة الى القومية العربية... وبدا التنظير الفكري يمخر عبابه ويبادر الاستعمار من وراء الستار يعمل على قبول الفكرتين وفي الوقت ذاته يحارب الفكرتين.. ونشط المثقفون في مصر وبلاد الشام والعراق والجزيرة العربية، لابداء روح الترويض بقبول فكرة التوجه سواء القومي او الاسلامي دون القبول للحوار والنقاش.. فاكتسبت المواقف السياسية صلابتها في مربع خارطة التجزئة العربية.

ونشط بعض المثقفين في مصر في الدعوة للهجة العامية بدلا عن الفصحى العربية.. وابرز هؤلاء سلامة موسى.. والدعوة الى خصوصية القطرية الحضارية.. كالحضارة الفرعونية في مصر.. والفينيقية والاشورية في بلاد الشام.. وكرس الاستعمار جهوده في سبيل تلك الخصوصيات التي تثبت المفاصلة بينها وبين العروبة.. وتكريسها ثقافيا.

وكان لهذا اثره الكبير في ولادة توجه اسلامي يحمل مشروعا سياسيا ودينيا بغرض مواجهة المعاقين فكريا في الداخل والاستعمار الاوربي والذي يفرض هيمنته ورؤاه.

خلاصة القول : ان الفترة التاريخية التي عاشتها الامة الاسلامية منذ بداية القرن 19م وحتى الثلث الاول من القرن العشرين كانت عصيبة للغاية فقد تمحورت في تكتلات اوروبية ضد الدولة العثمانية التي تبسط نفوذها على العالم العربي كله، وتطلعت الدولة العثمانية منذ ذلك الحين الى تحقيق اصلاحات على غرار الدول الاوربية، ومنحت الدول الاجنبية امتيازات تجارية مما جعل الاوربيين يسارعون بالعمل على فرض هيمنتهم على شمال افريقيا

وجنـوب البحـر الاحمـر - جنـوب الـيمن - وشـمال البحـر الاحمـر - مصر - كـما نشـط الاستعمار على اثارة النزعات العرقية والطائفية في اليونان، والبوسنة والهرسك، وغيرها مـن المناطق الاوربية التي كانت تخضع للنفوذ العثماني، ونجـح الاوربيـون في تشـجيع النزعـة "التتريكية" بين العسكريين الذين تلقوا تعليمهم في اوربا، مما اثار عرب الشام بوجه خـاص وفيهم ولدت فكرة القومية العربيـة لمناهضـة العثمانيـين.. وشـجع الاسـتعمار انصار هـذا الاتجاه اكثر عـلى الانفتـاح الثقـافي الاوربي.. وعبـث المسـتشرقون الاوربيـون كثـيرا بـالتراث الفكري الاسلامي.. واوجدوا لغة التشكيك في الفكر الاسلامي.

ودخلت الدولة العثمانية معمعة الحرب العالمية الاولى وخسرت العـالم العـربي كلـه.. وقسم المنتصرون غنيمة الحرب، وقطعت اوصال العالم العربي الى دويلات صغيرة.. واغـرت انصارها من العرب على ضرورة العودة الى النزعة الاقليمية.. واستعمال الـلـهجة العاميـة.. وهكذا نجح الاسـتعمار في نـزع الثقـة في الـنفس، وسـلب الارادة العربيـة وجعـل العـرب يمتنون كثيرا للفكر الاوربي المنتج للتكنولجيا.

قاوم العرب كثيرا المسـتعمرين باتجـاهين (الـديني والقـومي).. وقسـم المنـتصرون في الحرب العالمية الثانية فلسطين الى قسمين، القسم الاول : لاسرائيل ومنحها كامـل ضـمانات البقاء والقوة، والقسم الثاني : للعرب الفلسطينيين، وعمل الاستعمار البريطاني على التنكيـل بهم وشرذمتهم وتفكيك قدراتهم واجهاض مشروع دولتهم بالتعاون مع اليهود الاسرائيليـين والصهيونية العالمية.

وكانت كل هذه الهموم كفيلة لمحاولة قيادات فكرية اسلامية لتشـكيل تيـار اسـلامي لمواجهة الاستعمار العسكري والثقافي.. وسوف نناقش في الفصول التالية المشاريع السياسية من خلال برامج وافكار التيارات الاسلامية المناهضة لكل ملامح التغريـب والايـديولوجيات الوافدة..


@Ahmedyassin90

الفصل الاول

التكوين الحركي للجماعات الاسلامية

1981-1928

- جمعية الاخوان المسلمين.
- الاطار التنظيمي لجمعية الاخوان المسلمين.
- الاخوان المسلمون وبداية الصراع مع السلطة السياسية.
- الصراع السياسي بين الاخوان والسلطة في عهد عبد الناصر.
- المتغيرات السياسية والفكرية في مصر 1971-1981م.


@Ahmedyassin90

الفصل الاول

التكوين الحركي للجماعات الاسلامية

1928 - 1981

برزت الحركة الاسلامية كتيار ديني سياسي في معظم الاقطار العربية وبمظاهر متعددة، وحمل بعضها مشروعا يقوم على الدعوة لمحاربة البدع والمفاهيم الصوفية - وبمغالاة شديدة- كالدعوة الوهابية في الجزيرة العربية.. وظهرت دعوات اخرى مستنيرة وثورية تدعو للخلاص من الانظمة الديكتاتورية واستعمال مبدا الشورى الذي يكفل الحق لكل من يستحق المشاركة في حل مشاكل الناس ورعايتهم.. واخرى اتجهت الى النهضة ومحاربة الاستعمار، وتدثرت هذه الجماعة بالمفاهيم الصوفية المعتدلة.

والملاحظ ان الساحة العربية في الربع الاول من القرن العشرين كانت تعيش حالة مخاض فكري متناقض.. فقد برزت افكار من الوسط العلمي "الازهر" بمصر بوجه خاص تنادي بالاتجاه العلماني واعتبار الدين مسالة عقائدية مرتبطة بين العبد وربه.. وان الخلافة الاسلامية هي مفهوم بشري لا علاقة لها بالدين.. وانتصر لهذا الاتجاه العلمانيون بوجه عام.. ونتيجة لموقف الاستعمار الذي راهن ومازال الى اليوم على ايجاد حلبة صراع بين التوجهات الفكرية الساعية لاستغلال الاوضاع السيئة في العالم العربي والصعود على اكتاف الجماهير والوصول الى السلطة وبمفاهيم علمانية مقبولة داخل تجمعات او منظومات متباينة مدفوعة بشكل خفي من قبل الاستعمار والذي نجح بتفريخ الكثير من هؤلاء الطموحين.. ووجد توجه اسلامي جديد مدفوعا من قبل رغبات طبقات متباينة في حياتها المعيشية ممنية نفسها لايجاد حلول لازمة النظام السياسي وازمة الاخلاق الجديدة في المجتمع.. ومواجهة الغلو لدى بعض المثقفين ثقافة غربية والتي كانت تبشر بسقوط الشوفينية العربية

والاسلامية.. من هنا ولدت جماعات اسلامية تحمل كل منها فكرا او مشروعا سياسيا ومتفقة في كثير من المسلمات الدينية وتختلف البعض في الرؤى من حيث التطبيق، لذلك سوف نتتبع شريحة من المجتمع المصري حالفها الحظ لان يكون لها دور عالمي وهي جماعة الاخوان المسلمين.

وكانت مصر قد شهدت حركات اصلاحية حديثة من خلال رموزها سواء كانوا حكاما او مفكرين متاثرين بحركة النهضة الاوروبية.. وبرز الشيخ على عبدالرازق 1888-1966م يحمل مشروعا اقرب الى العلمانية من التشريعات الاسلامية، وكان الرجل يعمل رئيسا للمحكمة الشرعية في المنصورة.. وعنوان مشروعه "الاسلام واصول الحكم" عام 1925م يقول فيه : ".. ان الدين الاسلامي بريء من تلك الخلافة التي يتعارفها المسلمون، وبريء من كل ما؟ واحوالها من رغبة ورهبة، ومن عز وقوة، والخلافة ليست في شيء من الخطط الدينية (...) وانما تلك كلها خطط سياسية صرفه لا شان للدين بها"[1].

وناقش مفهوم الخلافة وان النبي (ص) لم يكن له خليفة وان سلطته كنبي قد انتهت بوفاته، وان خلفاءه كانوا حكاما سياسيين وليس لهم علاقة بالدين.. وخلص الى القول الى ان هناك خلطا بين ولاية الرسول وبين حكم الخليفة، فالاول كانت ولاية دينية انتهت بوفاة الرسول، ولم يمنح احدا الخلافة من بعده.. ولم يعرف المسلمون بعد الرسول انهم يقيمون حكومة "دنيوية" لذلك سمحوا لانفسهم تجربة الخروج على الحاكم ومعارضته [2] ولحق به "طه حسين" في كتابه "الشعر الجاهلي" الذي طبق فيه

---

1) علي عبدالرازق : الإسلام وأصول الحكم، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1993، ص103، والملاحظ أن رأيه مؤيد للحركة الإصلاحية في تركيا من إلغاء الخلافة العثمانية وإعلان الجمهورية.

2) نفس المرجع : ص81-89.

منهج ديكارت في الشك ودافع عنه "محمد حسين هيكل" من خلال مقالاته الصحفية الا انه تراجع فيما بعد، واصدر كتبا دينية "حياة محمد" عام 1935م و "في منزل الوحي" عام 1937م وكتبا دينية اخرى.

وفي هذا الخضم وقف علماء الازهر في وجه التوجه العلماني الجديد، وافرز ذلك صراعا فكريا بين علماء الازهر التقليديين والتيار العلماني. هذه الظاهرة اسرعت في ظهور تيار اسلامي منظم، تمثل ذلك بجمعية الاخوان المسلمين.. ولكن كيف قدر لحفنة من الناس العاديين ان ينشئوا حركة اسلامية واسعة النطاق دون دعم خارجي؟.. يبدو ان الظروف التاريخية التي اجتاحت مصر منذ عهد محمد علي باشا، وحتى منتصف القرن العشرين قد اسهمت الى حد كبير في ابراز تيارات سياسية متعددة استهوت الكثير من ابناء مصر المخلصين لوطنهم.

ومع بداية العشرينات من القرن العشرين تمخض النزاع السياسي بين الاحزاب السياسية الى انشاء عدد من الجمعيات الدينية تطالب برامجها بتطبيق الشريعة الاسلامية ابرزها "جماعة الاخوان المسلمين" و "جماعة شباب محمد" وكذلك "جماعة الشبان المسلمين".

جمعية الاخوان المسلمين:

اسسها المفكر والداعية (حسن البنا) وعرف والده "احمد عبدالرحمن البنا" بسعة معارفه الدينية وله مصنفات منها : "بدائع المسند في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن" وعلق عليه شرحا، ورتب جزءا من مسانيد الائمة الاربعة، ورتب مسند احمد، وسماه "الفتح الرباني في ترتيب مسند الامام احمد الشيباني" وشرحه باسم "بلوغ الاماني من اسرار الفتح الرباني"[1].

---

1) د. زكريا سليمان البيومي : الإخوان المسلمون والجماعات الإسلامية في الحياة السياسية المصرية 1928-1948م، القاهرة، مكتبة وهبة، ط1، 1979م، ص73.

في هذا البيت ولد "حسن البنا" في قرية المحمودية مديرية البحيرة عام 1906م [1] وحفظ القران كاملا قبل ان يلتحق بالتعليم الابتدائي، كما عمل مع والده في اصلاح الساعات، فتعلم من تلك الصنعة الدقة والمهارة والصبر [2]. وفي سن الثانية عشرة من عمره كون مع زملائه جمعية منع المحرمات وبطريقة سهلة جدا هي المراسلة السرية باليد تحت الذين يتعاطون المحرمات الاقلاع عنها.. كما اشترك في بعض الجمعيات الدينية مثل "جماعة السلوك الاخلاقي" و"جماعة النهي عن المنكر"[3].

وبحكم تكوينه الثقافي الديني، فقد كان مواظبا على حضور حلقات الذكر في المساجد، ودفعه ذلك لحضور جلسات الطريقة "الحصافية" الصوفية والتي تنسب الى الشيخ عبد الوهاب الحصافي والذي كان يوصي دائما مريديه بالا يرددوا كلام الملاحدة والزنادقة، والمبشرين [4].

وكانت ببلدة المحمودية ارسالية انجيلية تبشيرية تبشر بالمسيحية في ظل التطبيب وتعليم التطريز، وايواء اليتامى من بنات وبنين.. وكان رد فعل بعض الشباب انشاء "الجمعية الحصافية الخيرية" من اجل الحفاظ على المبادئ الاخلاقية للدين الاسلامي، ومقاومة التبشير المسيحي وراس الجمعية "احمد السكري" وكلف "حسن البنا" سكرتيرا للجمعية، وهو في سن الثالثة عشرة من عمره [5].

---

1) حسين بن محسن بن علي جابر : الطريق إلى جماعة المسلمين، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط4، 1990، ص315.

2) د. زكريا سليمان البيومي : مرجع سابق، ص74.

3) هالة مصطفى : الإسلام السياسي في مصر من حركة الإصلاح إلى جماعات العنف، الأهرام، مركز الدراسات الاستراتيجية، ط1992،1، ص85.

4) د. محمد أحمد خلف الله : الصحوة الإسلامية في مصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (ندوة) في الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي، ط2، 1989م، ص42.

5) هالة مصطفى : مرجع سابق، ص85.

وفي السنة الاخيرة لحسن البنا في المدرسة الابتدائية اندلعت ثورة 1919م، واشترك فيها كطالب في المظاهرات المؤيدة لسعد زغلول، وكان لذلك اثره البالغ في تشكيل وعيه السياسي، واهتماماته الوطنية، ومواجهة الاستعمار البريطاني في مصر[1].

وفي السنة الرابعة عشرة من عمره التحق بمدرسة المعلمين بدمنهور، ثم التحق بدار العلوم بالقاهرة وتردد كثيرا على بعض الجمعيات الدينية، والتقى بشخصيات ادبية وعلمية مثال محب الدين الخطيب، ومحمد الخضر حسين، ومحمد الغمراوي، واحمد تيمور وكانوا يحضرون مجالس الشيخ "محمد رشيد رضا" وكان رفقاءه يترددون على جمعية نهضة الاسلام التي اسسها "يوسف الرجوي" وتاثر "حسن البنا" بكل هؤلاء[2].

وكانت تركيا قد اعلنت الجمهورية والنظام العلماني، وتاجج الشارع المصري بين مؤيد ومعارض. وفي عام 1927م تخرج البنا من دار العلوم بمصر، وعاد الى الاسماعيلية حيث عين مدرسا في مدرستها الابتدائية، وبحكم تكوينه الفكري وتاثره بالفكر الصوفي او بالطريقة الحصافية الشاذلية حدد البنا عوامل ثلاثة [3] التي فرضت عليه الاستمرار في الدعوة:

---

1) نفس المرجع : ص85.

2) د. محمد أحمد خلف الله : الصحوة الإسلامية في مصر، مرجع سابق، ص43.

3) د. عبدالله فهد النفيس : الإخوان المسلمون في مصر : التجربة والخطأ، بحث مقدم إلى ندوة [الحركة الإسلامية، رؤية مستقلة، أوراق في النقد الذاتي]، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1، 1989م، ص207.

اولا : الانقلاب الكمالي على الخلافة العثمانية.

ثانيا : انتشار موجة العلمانية المضادة للدين.. عبر الجامعة، والاحزاب والجرائد والمجلات.

ثالثا : التواجد العسكري والمدني البريطاني في الاسماعيلية بكثافة بحكم موقع شركة قناة السويس.

وفي هذه المدينة بدا البنا مشروعه الدعوي من خلال المقاهي وليس المساجد، لان المساجد كانت مكان اثارة موضوعات خلافية، وكانت موعظته لا تزيد عن عشر دقائق.. وكان البنا يتمتع باسلوب جذاب[1].

ويشير احد الباحثين [2] الى ان الدعوة بخروجها من المسجد الى المقهى تميزت باسلوب فريد تحرى فيه الداعية الدقة في اختيار الموضوعات المناسبة العامة.. التي تذكر الناس بالله واليوم الاخر. وقد عرض ذلك باسلوب جذاب وفي وقت قصير لا يمل. وكان لذلك اثره في مجتمع الاسماعيلية، واقبل الناس على هذه المقاهي ينتظرون موعظة الشيخ البنا.

وحدد البنا العوامل المؤثرة في المجتمع وهي : العلماء، ومشايخ الطرق، والاعيان، والاندية[3]، وكانت البداية لتكوين رؤى تجتمع تحت مظلة تنظيمية وفي مارس من عام 1928م، اجتمع ثلة من المعجبين بالبنا، وقاموا بزيارته في منزله وهم : حافظ عبد الحميد، واحمد الحصري، وفؤاد ابراهيم، وعبد الرحمن حسب الله، واسماعيل عز، وزكي المغربي، وهؤلاء من الذين تاثروا بالدروس والمحاضرات التي كان يلقيها عليهم في المقهى.. وعزموا على مبايعته على (ان نكون لدعوة الاسلام جندا وفيها حياة الوطن

---

1) نفس المرجع : ص207.

2) د. زكريا سليمان بيومي : مرجع سابق، ص79.

3) حسن البناء : مذكرات الدعوة والداعية، ص66. نقلاً عن : د. زكريا سليمان بيومي، مرجع سابق، ص80.

وعزة الامة)، وتحدث احدهم بم نسمي انفسنا؟ وهل تكون جمعيـة او ناديـا، او طريقـة، او نقابة حتى تاخذ الشكل الرسمي؟ فقال البنـا "لا هـذا ولا ذاك، دعونـا مـن الشـكليات ومن الرسميات، وليكن اول اجتماعنا واساسه الفكرة والمعنويات والعمليات نحن اخـوة في خدمة الاسلام فنحن اذن "الاخوان المسلمون".. وبذلك ولـدت اول تشـكيلة مـن تشـكيلات الاخوان في الاسماعيلية[1]. وحدد البنا عشر كلمات للبيعة هي : الفهم، والاخلاص، والعمـل، والجهاد، والتضحية، والطاعة، والثبات، والتجرد، والاخوة، والثقة [2].

1) د. عبدالـلـه النفيسي : مرجع سابق، ص208، انظر : هالة مصطفى : مرجـع سـابق، ص87 : وتوضـح الطريقة التي تمت في إنشاء جمعية الإخـوان المسـلمين، يقـول البنـا في مذكراتـه : ".. في ذي القعـدة 1347هـ مارس 1928م زارني بالمنزل ستة من الإخوة من الـذين تـأثروا بالـدروس والمحـاضرات التـي كنت ألقيتها.. وقالوا : لقد سمعنا ووعينا وتأثرنا ولا ندري ما الطريقة العملية إلى عزة الإسـلام وخـير المسلمين، ولقد سئمنا هذه الحياة، حياة الذل والقيود وها أنت تـرى أن العـرب والمسـلمين في هـذا البلد لاحظ لهم من منزله أو كرامه وأنهم لا يعدون مرتبة الأجراء التابعين لهؤلاء الأجانب. ونحـن لا نملك إلا هذه الدماء تجري حارة بالعربي في عروقنا، وهـذه الأرواح تسرى مشرقـة بالإيمـان والكرامـة مع أنفسنا وهذه الدراهم القليلة من قـوت أبنائنـا ولا نسـتطيع أن نـدرك الطريقـة إلى العمـل كـما ندرك أو نتعرف السبيل إلى خدمة الوطن، والدين، والأمة كما تعرف، وكل ما نريده إلا أن نقـدم لـك ما نملك لنبرأ من التبعة بين يدي الـلـه، وتكون أنت المسؤول بين يديه عنا وعما يجب أن نعمل، وأن جماعة تعاهد الـلـه مخلصة على أن تحيا لدينه وتموت في سبيله ولا تبغي بذلك إلا وجهـه الجـديرة أن تنتصر وأن قل عددها وضعفت عددها..) وكانت هذه بيعة لحسن البنا الذي اختار بنفسـه اسـم الجماعة حين قال : "نحن إخوة في خدمة الإسلام فنحن إذن "الإخوان المسلمون".

2) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا : بيروت، لبنان، دار القلم، ت، ط (بدون)، ص7.

الاطار التنظيمي لجمعية الاخوان المسلمين:

وفي الاسماعيلية استاجر البنا (حجرة واحدة) سميت بمدرسة التهذيب.. تلقى الرعيل الاول من الاخوان دروسهم في القران الكريم تلاوة وحفظا.. كما حفظوا احاديث نبوية وتمرنوا داخلها على الخطابة والتدريس.. ولم تمض شهور قليلة حتى بلغ عدد المنتمين لمدرسة الاخوان ما يزيد على سبعين رجلا [1].

ثم بدا بجمع تبرعات لبناء مقر للجمعية، اشتملت الدار على مسجد ومدرستين احداهما للبنين والاخرى للبنات، وناد. ثم تطور العمل الدعوي الى ان يلحق بدار الجماعة مصانع صغيرة ثم شركات كبيرة من اجل الانفاق على الدعوة كما تقدم الجماعة من خلالها النموذج التطبيقي للشريعة الاسلامية[2] وبذل حافظ وهبة، مساعي جادة لانتداب البنا، للعمل في الحجاز ولم ينجح، وكذلك فشلت مساعي السيد محمد زبارة، وامير الديوان الملكي في اليمن لانتدابه مدرسا في صنعاء.. وفي عام 1932م انتقل البنا من الاسماعيلية الى القاهرة ليمارس عمله كمدرس بمدرسة عباس بالسبتية، وكان ذلك ايذانا بدخول الدعوة في مرحلة جديدة، واسس بالقاهرة المركز العام للاخوان المسلمين.

وفي مايو 1933م (28 صفر عام 1352هـ) تم تاسيس " مجلة الاخوان المسلمين" واختير السيد "محب الدين الخطيب" مديرا لها.. وفي نفس العام عقدت الجماعة مؤتمرين متتاليين في المؤتمر الاول حددت محاور هامة لمواجهة نشاط المبشرين، واوصى المؤتمر بمطالبة الحكومة باتخاذ موقف للرقابة

---

1) حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية، ص73 : نقلاً عن : د. زكريا سليمان بيومي، مرجع سابق، ص82.

2) ريتشارد ميتشل : الإخوان المسلمون، ص23 : نقلاً عن : د. زكريا سليمان بيومي، مرجع سابق، ص82.

عليهم، وبالتالي بدا الاخوان احتكاكهم بالقوى السياسية بالقصر.. اما المؤتمر الثاني فقد تم العمل على تنظيم الاخوان وفقا لهيكلة ادارية جديدة ورسم خطوط عريضة جديدة لمستقبل التنظيم[1].

وفي عام 1934م تعددت المؤتمرات في شعب الاقاليم.. وفي مدينة الاسماعيلية انعقد مجلس الاخوان في 22 صفر عام 1352هـ 1934م، وتم تكوين مكتب الارشاد العام، وبدات جولة البنا لزيارة شعب الاخوان في الاقاليم من منتصف ربيع الثاني عام 1352هـ [2].

وعقد المؤتمر الثالث للاخوان في مارس 1935م، وكان من نتائجه دراسة الوسائل العلمية التي تمكن للاخوان من الوصول الى غايتهم. وفي عام 1936م عقد الاخوان مؤتمرهم الرابع بمناسبة تتويج الملك فاروق خلفا لوالده الملك فؤاد.. وفي يناير 1939م (11 ذي الحجة عام 1357هـ) عقد المؤتمر الخامس، وكان بمثابة اعلان انتقال الجماعة للمرحلة الثانية وهي مرحلة التشكيل والاختبار والاعداد للمرحلة الثالثة التنفيذية.. وتم في هذا المؤتمر وضع الاسس التنظيمية للجماعة واعلان دخولها في الحياة السياسية، كما حدد المؤتمر نقاطا هامةً هي : (ا) ان الاسلام دين ودولة اي نظام شامل متكامل. (ب) المرجعية الرئيسية للاسلام هما القران الكريم وسنة النبي محمد عليه الصلاة والسلام. (ج) ان الاسلام مصدر النظم ومادة التفكير والتصوير والتشكل.. فهو قابل للتطبيق في كل زمان ومكان [3].

وقد حدد حسن البنا في خطابه الوثائقي في المؤتمر الخامس فكرة الاخوان في نقاط ثمان هي انها دعوة سلفية، طريقة سنيه، حقيقة صوفية،

---

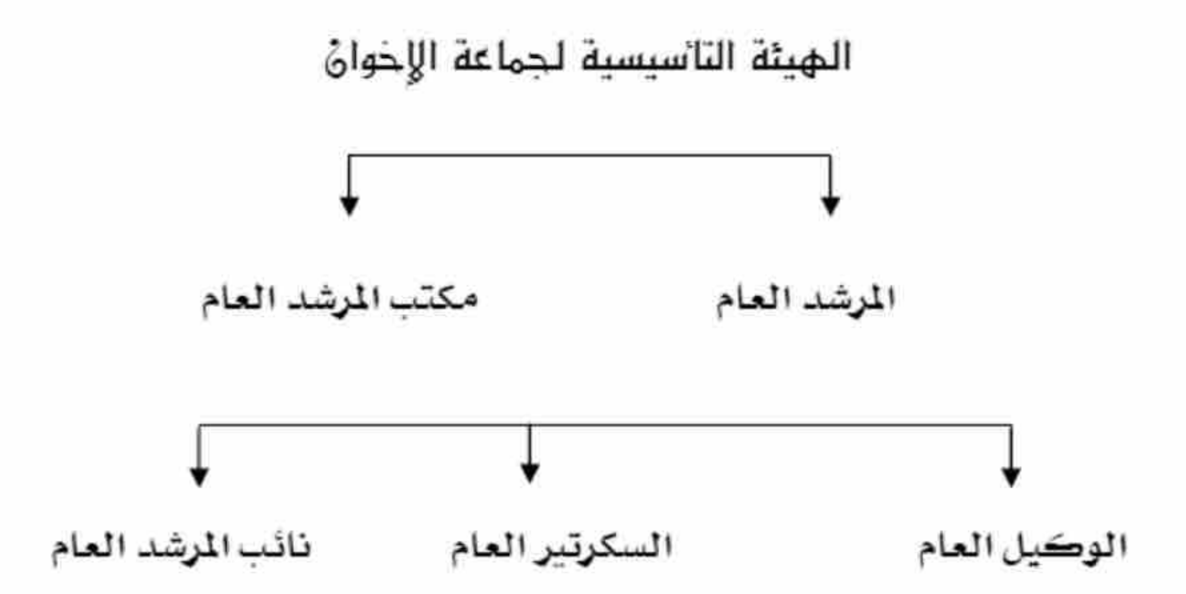
1) نفس المرجع : ص90-91.

2) نفس المرجع : ص87.

3) مجموعة رسائل الإمام : الشهيد حسن البناء : رسالة المؤتمر إلخامس، بيروت، دار القلم، ص237 – 298.

هيئة سياسية، جماعة رياضية، رابطة علمية وثقافية، شركة اقتصادية، وفكرة اجتماعية [1].

كما قرر المؤتمر تشكيل خمس لجان لنشر الدعوة، ودراسة الدستور القائم ومقارنة القانون الوضعي بالقانون الاسلامي، والاهتمام بالعقائد، وبناء مبنى للمركز العام للاخوان في القاهرة[2]، وحدد المرشد العام سبع خصائص لجماعته هي : البعد عن مواطن الخلاف، البعد عن هيمنة الاعيان والكبراء، البعد عن الاحزاب والهيئات، العناية بالتكوين والتدرج في الخطوات، ايثار الناحية العملية الانتاجية على الدعاية والاعلانات وشدة الاقبال من الشباب، وسرعة الانتشار في القرى والبلاد [3]، وتم الاتفاق على اقرار الهيكل التنظيمي والاداري التالي:-



---

1) نفس المرجع : 248-250.

2) د. زكريا سليمان البيومي : مرجع سابق، ص91.

3) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا : المرجع السابق، ص251.

الهيئة الفنية للجان	الوحدات المنفذة والاقسام الرئيسية		الهيئة الادارية
	الوحدات المنفذة	الاقسام الرئيسية	
المالية	مكاتب ادارية	قسم نشر الدعوة	موظفو السكرتارية للمرشد العام
السياسة القضائية	مناطق شعب	قسم العمال والفلاحين قسم الجوالة	السكرتارية العامة مراقب المركز العام ومعاونه
الاحصائية والخدمات	اسر	قسم الاسر قسم الطلبة	موظفو الخزانة قسم المبيعات والمكتبة
الافتاء		قسم التربية البدنية	سعاة وفراشون
الصحافة والترجمة		قسم الاتصال الخارجي قسم المهن وفروعها قسم الاخوات المسلمات	الاطباء - المهندسون القانونيون - المعلمون التجار - الزراعيون الاجتماعيون - الصحفيون - الموظفون[1]

فالهيئــة التاسيســية هــي تقــوم مقــام الجمعيــة العموميــة في التنظــيمات السياســية والاجتماعية الاخرى، وتتكون الهيئة التاسيسية مـن الاخـوان المسـلمين الـذين سـبقوا بالعمـل للدعوة ومهمتها الاشراف العام عـلى سـير الـدعوة، واختيـار اعضـاء مكتـب الارشـاد ومراجـع الحسابات، والهيئة التاسيسية هي مجلس الشورى العام للتنظيم، كما يتم انتخاب المرشد العام عن طريق الهيئة التاسيسية بحضور ما لا يقل عن اربعة اخماس اعضائها وموافقة ثلاثة اربـاع

1) حسين بن محسن بن علي جابر : مرجع سابق، ص322.

الحاضرين منهم، ومدة عضويته خمس سنوات ثم تجدد بموافقة الاغلبية، وان يكون عالما متصفا بالاخلاق والدراية بالشؤون العملية[1].

اما مكتب الارشاد العام الذي تقوم الهيئة التاسيسية بانتخابه ويتكون من اثني عشر عضوا ينتخبون من بين اعضاء الهيئة عدا المرشد العام، ويكون تسعة منهم من اخوان القاهرة والثلاثة الباقون من بين اخوان الاقاليم، ويتم انتخاب من بينهم سكرتيرا عاما، وامينا للصندوق، وتجدد عضويتها كل عامين. ومن بين الهيئة التاسيسية، والمرشد العام، ومكتب الارشاد، يتكون المركز العام للاخوان المسلمين [2].

ويبدو من السياق التاريخي للحركة ان "حسن البنا" كان هو المفكر والمنظر للتوجه الايديولوجي لتنظيم "الاخوان المسلمين" فخطابه الموجه للمؤتمر الخامس يعد تنظيرا فكريا لاهداف ومبادئ "الاخوان المسلمين" وعندما تحدث عن تنفيذ الخطوات قال : "اعدوا انفسكم واقبلوا عليها بالتربية الصحيحة، والاختيار الدقيق وامتحنوها بالعمل، العمل القوي البغيض لديها، الشاق عليها، وافطموها عن شهواتها ومالوفاتها وعاداتها، وفي الوقت الذي يكون فيه منكم -معشر الاخوان المسلمين - ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها روحيا بالايمان والعقيدة، وفكريا بالعلم والثقافة، وجسميا بالتدريب والرياضة، في هذا الوقت طالبوني بان اخوض بكم البحار، فاني فاعل ان شاء الله"[3].

---

1) نفس المرجع : ص324 : وبقسم المرشد بأن يكون حارساً، أميناً لمبادئ الإخوان المسلمين، ونظامهم الأساسي.إلخ أما مبايعة أعضاء الجماعة أمام المرشد فهي معاهدة الله على التمسك بالدعوة والجهاد في سبيل الله..إلخ.

2) نفس المرجع : ص326.

3) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا : مرجع سابق، ص258.

حاول الاخوان اجتذاب الملك فاروق لتاييد اهدافهم الدعوية من خلال تاييدهم للملك فاروق بعد اعتلائه العرش، وبتكليف "علي ماهر" لتشكيل الحكومة المصرية في اغسطس 1939م توطدت علاقة الاخوان بالسلطة الحاكمة والذي ساعد ذلك هو كراهية علي ماهر، لحزب الوفد، ولذلك ضمت حكومته كلا من محمد صالح حرب رئيس جماعة الشبان المسلمين وزيرا للدفاع الوطني، وعبد الرحمن عزام الذي التقى مع الاخوان في بعض اهتماماتهم وزيرا للاوقاف، وعزيز المصري الذي كان يتفق مع الاخوان في ميوله العدائية ضد الاحزاب البرلمانية رئيسا للاركان[1].

ومرت مرحلة بناء جماعة الاخوان عبر مراحل تنظيمية معقدة، الاولى مرحلة التعريف من خلال المحاضرات والمجلات والمنشورات، وانشاء الفروع التي سميت بالشعب في القاهرة والاقاليم، واقامة المؤتمرات الدورية والمساهمة في الاحتفالات الدينية، وتكوين لجان لدراسة التجربة من عام 1928-1939م.. وتاتي المرحلة الثانية والتي يمكن تحديد بدايتها مع بداية الحرب العالمية الثانية عام 1939م عندما انشغلت كل الهيئات والمنظمات السياسية بمجريات الحرب، وانشغال الحكومة البريطانية بالحرب ايضا لذلك نجح البنا في هذه الفترة بالاتصال بالخارج.

في عام 1945م انتهت الحرب وكانت مصر ترزح تحت النفوذ البريطاني طبقا لمعاهدة 1936م، وطالب الاخوان بالغاء معاهدة 1936م.

1) د. زكريا سليمان بيومي : مرجع سابق، ص95.

الاخوان المسلمون وبداية الصراع مع السلطة:

بدا الاخوان يشاركون الهيئات التنظيمية في ارائهم السياسية.. وعقب انتهاء الحرب اجتمعت الجماعة في 8 سبتمبر 1945م، واقرت نظامها الاساسي الذي تم الاتفاق عليه في المؤتمر الخامس عام 1939م مع ادخال بعض التعديلات، كما تم توزيع السلطات بين المرشد ومكتب الارشاد والهيئة التاسيسية ونشط الاخوان في كل من القرى والمدن، ومن خلال المحاضرات والرسائل والمؤتمرات بغية الحصول على الاستقلال التام.

وتحت ضغط القوى الوطنية بما فيهم جماعة الاخوان تقدمت الحكومة المصرية بطلب للحكومة البريطانية في اعادة النظر في معاهدة 1936م فردت الحكومة البريطانية بالرفض، وتجمعت الحركات الحزبية الطلابية بما فيهم الاخوان ايضا وتوجهوا متظاهرين نحو قصر عابدين تعبيرا عن احتجاجهم يومي 9و10 فبراير 1946م، واثناء وصولهم لكوبري عباس تصدى لهم البوليس واطلق عليهم الرصاص وسميت هذه الحادثة بحادثة كوبري عباس، وعلى اثرها استقالت وزارة النقراشي في 15 فبراير لتليها وزارة اسماعيل صدقي[1]. واعلنت حكومة صدقي عن عزمها بدء المفاوضات مع

1) د. زكريا سليمان بيومي : مرجع سابق، ص98-99، ويشير المرجع إلى أن زيادة نشاط الإخوان تمثلت بتوزيع المنشورات التي تدعو للتخلص من المستعمر وطلب معونات مالية وبعضها يوضح كثرة الاجتماعات التي كان البوليس يقوم بحماية بعضها، وبعض المنشورات تشير إلى عدم ارتياح السلطات البريطانية لنشاط الإخوان.. وعلى إثر إقالة حكومة الوفد في أكتوبر 1944م، تشكلت وزارة برئاسة زعيم الحزب "السعدي" الدكتور أحمد ماهر واتخذت الوزارة الجديدة الإعداد للانتخابات، وخاض الإخوان معركة الانتخابات، إلا أنهم خسروا المعركة الانتخابية، وأعلن أحمد ماهر الحرب ضد الألمان، وبسبب ذلك دفع حياته حيث اغتاله أحد شباب الحزب الوطني، وتم القبض على البنا والسكري وعابدين، ثم أفرج عنهم، وبرأتهم المحكمة بعد القبض على القاتل واعترافه.. وبمجيء محمود فهمي النقراشي، فقد فرض على الإخوان قيوداً مشددة.

بريطانيا، فطالبه الاخوان ان يقتحم المفاوضات وهو حر من كل قيد متاثر بمذكرة الحكومة المصرية السابقة، وحدد الاخوان هدفهم من هذه المفاوضات في تحقيق الجلاء التام.

وتوقفت المفاوضات، وخيم السكون والحكومة تنتظر.. والقى المرشد العام بيانا دعا فيه الى عدم جدوى استمرار المفاوضات وضرورة الاستعداد للقوة "لان الحقوق تؤخذ ولا تعطى".وكان من شان هذا البيان تعبئة الجماهير والهيئات السياسية ضد الحكومة. فقامت الحكومة بحملة اعتقالات واسعة لاعضاء الاخوان ووضعت الحكومة رقابة شديدة عليهم حتى داخل المساجد، واوقفت نشاط "الجوالة".

وفي 9 ديسمبر 1946م شكل "محمود فهمي النقراش" حكومة جديدة تقاسمها السعديون -انصار سعد زغلول- والدستوريون.. فنشر البنا مقالا "دعا فيه الحكومة الجديدة الى اختصار الطريق واحترام ارادة الامة، وانهاء المفاوضات والسير في طريق الجهاد"[1].

وعندما قررت حكومة النقراشي في 25 يناير 1947م عرض قضية مصر على مجلس الامن وهو ما دعا اليه جماعة الاخوان وارسل البنا برقيات تاييد للنقراشي، وعارض ممثل حزب الوفد، وابرق الى مجلس الامن موضحا ان النقراشي لا يمثل الامة، كما دعا زعيم الكتلة (مكرم عبيد) معارضته عرض القضية على مجلس الامن ومطالبا بعودة المفاوضات. وقاد الاخوان مظاهرة مؤيدة للنقراشي امام مبنى الامم المتحدة[2].

شعر الاخوان ان الحكومة تراجعت عن رايها فتغير موقفهم وصاروا يهاجمونها، ولكن عاد موقف الاخوان مؤيدا للحكومة مرة اخرى عندما

---

1) د. إسحاق الحسيني : الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية في العالم العربي، بيروت، ط2، 1955، ص42.

2) زكريا سليمان بيومي : مرجع سابق، ص113.

تقدم سفير مصر في الامم المتحدة "محمود حسن" بطلب من حكومة مصر في عرض القضية المصرية في 8 يوليو1947م، وانزعج حزب الوفد وانكر على الحكومة حق تمثيل الامة.. فشنت جماعة الاخوان من خلال منشوراتهم هجوما على حزب الوفد متهمة اياه بانه يقوم بدور (الطابور الخامس) الذي يعتمد عليه البريطانيون، وقام الاخوان بمظاهرة تاييد للحكومة ومطالبتها بعدم العودة الى المفاوضات[1].

وتشير مصادر الاخوان[2] الى ان قناصل الدول الغربية (انجلترا، فرنسا، وامريكا) عقدوا اجتماعا في منطقة (فايد) في نوفمبر عام 1948م طلبوا من السفير البريطاني ان يطلب من النقراشي اصدار قرار بحل جماعة الاخوان، وبالفعل تم حل جماعة الاخوان في ديسمبر عام 1948م، وان بعض شباب الاخوان قد قاموا باغتيال "احمد الخازندار" في 22 مارس 1948م.

واذا صدقت هذه التهمة التي ينفيها الاخوان، فذلك يدل على ان جماعة الاخوان قد اصبح لديهم جهاز سري او ما سمي بالجهاز الخاص، يقوم بادوار ما يطلب منهم مثل الاغتيالات ويدل ذلك على الوقائع التي حدثت فيما بعد.

بعد اكتشاف مخبا للاسلحة في منطقة (عزبة الشيخ محمد فرغلي) قائد كتائب الاخوان في فلسطين، بدا التركيز من جانب الحكومة لوقف نشاط الاخوان، ويبدو ان الحكومة كما يرى احد الباحثين [3]، كانت تبحث عن سبب يهيئ لها تحقيق ما تنطوي عليه النية ضد الجماعة، واثناء المظاهرات الطلابية المعارضة لاعلان الهدنة في فلسطين لقي حكمدار القاهرة "سليم

---

1) نفس المرجع :ص115.. وقد جرح في هذه المظاهرات الكثير وتوفي ثلاثة أشخاص من المتظاهرين.

2) مجلة الدعوة (1950/1/20م) ، جابر رزق، الأسرار الحقيقية لاغتيال حسن البنا، نقلاً عن الدكتور: زكريا سليمان، مرجع سابق، ص117.

3) د. زكريا سليمان بيومي، مرجع سابق، ص120.

زكي" مصرعه من جراء انفجار قنبلة القاها تجاهه احد الطلاب، والصقت التهمة بجماعة الاخوان.. وصدر قرار باغلاق صحيفة الجماعة.. وعقب ذلك صدر القرار بحل جماعة الاخوان بكل فروعها، واعتقل البوليس الكثير من الشباب المحيطين بالمركز، وصودرت اموال الجماعة وصفيت شركاتهم حيث وضعت تحت اشراف مندوب من وزارة الداخلية للانفاق منها على الاعمال الخيرية وفق قوانين الشؤون الاجتماعية. والقت الحكومة على العديد من اعضاء التنظيم السري للاخوان، الا ان البعض منهم قد اعدوا انفسهم للانتقام.. وفي الثامن والعشرين من ديسمبر اطلق شاب من شباب الجماعة هو "عبد الحميد احمد حسن" -طالب طب بيطري- الرصاص على رئيس الوزراء "محمود فهمي النقراشي" اثناء دخوله وزارة الداخلية فارداه قتيلا[1].

وتاجج الموقف بين الدولة والاخوان[2]، وفي 12 فبراير 1949م قام البوليس السري باغتيال المرشد العام حسن البنا.. وظلت الجماعة بدون قيادة حتى 19اكتوبر 1951م عندما تم انتخاب حسن الهضيبي مرشدا عاما للاخوان المسلمين.

1) آخر ساعة (1948/12/29)م.

2) تشير إحدى رسائل حسن البنا بعنوان : "دعوتنا في طريق جديد" إلى التوجه السياسي لجماعة الإخوان، فهو يقول : المصرية أو القومية لها في دعوتنا مكانها ومنزلتها وحقها من الكفاح والنضال.. وإننا حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والإسلام.. والعروبة أو الجماعة العربية لها في دعوتنا مكانها البارز، وحظها الوافر فالعرب هم أمة الإسلام الأولى وشعبه المتخير، وبحق ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم : "إذا ذل العرب ذل الإسلام" ولن ينهض الإسلام بغير اجتماع كلمة الشعوب العربية ونهضتها وإن كل شبر أرض في وطن عربي نعتبره من صميم أرضنا ومن لباب وطننا، فهذه الحدود الجغرافية والتقسيمات السياسية لا تمزق في أنفسنا أبداً معنى الوحدة العربية الإسلامية. انظر مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا : مرجع سابق، ص69-70.

ويبدو ان الفراغ السياسي والقيادي لحركة الاخوان مدة ثلاث سنوات تجسد مفهوم الشخصية الفردية لا المؤسسية الجماعية ولذلك يتفق الباحث مع كثير من الباحثين الاخرين ان جماعة الاخوان بحاجة للعمل الجماعي المؤسسي، كما يؤخذ على الاخوان الاستعلاء السياسي على الاخرين بعدم تقبلهه الدائم للحزبية مما يعكس لدى الجماعة غياب نظرية متكاملة للعلاقات التنظيمية داخل المؤسسات السياسية الحزبية المصرية.. فالحزبية في المفهوم السياسي هي ظاهرة ترتبط بالنظم السياسية الحديثة،، والنظم السياسية الحديثة تظل في الغالب نظما حزبية سواء كانت ليبرالية ام سلطوية ام شمولية ام تعددية ام احادية[1] ويتفق معظم المفكرين الاوروبيين على ان الاحزاب تعد ظاهرة من ظاهرات الاجتماع السياسي.. فالحزب هو اتحاد بين مجموعة من الافراد بغرض تحقيق مصالح اقليمية او قومية وفقا لمبادئ يتفق عليها الجميع[2].

فالصراع بين الاحزاب ظاهرة ايجابية ووسيلة مهمة امام الشعب لاختيار الافضل وبذلك تعد جماعة الاخوان حزبا سياسيا ولا يعد ذلك انتقاصا من حقهم ومكانتهم ودورهم النضالي الذي لعبوه في تاريخ مصر المعاصر. فدعاوى الاخوان لالغاء الاحزاب السياسية في مصر ادى الى توتر العلاقات بين الاخوان والاحزاب الاخرى، وجعل الاخوان في زاوية حادة من حيث علاقاتهم السياسية بالفرقاء السياسيين وقطع كل الروابط السياسية مع الاخرين.. ويبدو ان ذلك كان اجتهادا خاطئا، عاد الاخوان اليوم من جديد ياملون عودة العلاقات مع التنظيمات السياسية في الساحة المصرية.

1) د. أسامه الغزالي حرب : الأحزاب السياسية في العالم الثالث (عالم المعرفة - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، سبتمبر عدد (117) 1987م، ص5.

2) د. عبدالله النفيس : مرجع سابق، ص221.

وخلاصة الدور الذي لعبه الشيخ حسن البنا في بناء جماعة الاخوان المسلمين تمثلت بالاتي : اولا: طاعة المرشد العام باعتباره ولي امر الجماعة "اطيعوا الله والرسول واولي الامر منكم". ثانيا: الايمان المطلق باحكام الشريعة الاسلامية، وهو النظام الالهي الذي جاء به القران الكريم على لسان نبيه المصطفى محمد وهو نظام صالح لكل زمان ومكان ومن يعترض على ذلك فقد بدل دينه. ومن بدل دينه فقد كفر. ثالثا: يجب العمل على المفاصلة بين النظام الاسلامي والنظم البشرية الاخرى. رابعا: الاعتصام بحبل الله والاستعداد بالقوة لمواجهة العدو المتربص بالامة العربية والاسلامية. خامسا: اقامة علاقات متينة بين الاقطار العربية والاسلامية.

وتشير معظم المصادر غير الاخوانية الى الدور الذي لعبه الاخوان المسلمون في مشاركة الضباط الاحرار في التخطيط والتنفيذ لثورة 23 يوليو 1952م[1]. ولذلك فقد حرص رجال الثورة على فتح ملف اغتيال البنا مؤسس الاخوان ومحاكمة من لهم علاقة بذلك الحادث، وتم اصدار اربعة احكام ضد اربعة ضباط من ضباط الامن في عهد الملك فاروق.. ايضا تبدو العلاقة واضحة من خلال استثناء جماعة الاخوان من حل كافة الاحزاب السياسية في مصر في 16 يناير 1953م[2] وامكانيات هذا التحالف لو قدر له الثبات من الممكن ان يتحول الى تحالف استراتيجي بين قيادة الثورة والاخوان[3].. وكان الانقلابيون يرون العمل وفقا لاولويات استراتيجية منها تحديث وتطوير القوات المسلحة،

---

1) انظر : طارق البشري : الديمقراطية ونظام 23 يوليو 1952-1970م، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1987،ص53.

2) د. عبدالله النفيس : مرجع سابق، ص223.

3) يشير الباحث : حسين بن محسن جابر، مرجع سابق (إلى أن عدد الجماعة في سنة 1948-1950م مليون رجل، وأن عدد الجوالة "الجهاز السري" فيها سبعون ألف رجل مسلح.

والامر الثاني، العمل على جلاء الاحتلال البريطاني باعتبار ذلك مطلبا شعبيا عاما.

الامر الثالث القيام باصلاح زراعي لسببين : الاول : الغاء النظام الاقطاعي الذي تغلغل في الريف المصري، والثاني : كسب ثقة الفلاحين الذين يرون في الثورة الخلاص من رقيَّة الاقطاعيين.. من هنا بدا الخلاف بين الاخوان ورجال الثورة.

ويبدو ان سلطات محمد نجيب قد قلصت، مما ادى الى صراع من اجل السلطة بينه وبين عبد الناصر، وشايع الاخوان محمد نجيب، واتخذوا من عبد الناصر عدوا لدودا، وكانت اللعبة اكبر منهم.. الا ان هذا المنعطف التاريخي انعكس على كثير من الاخوان سلبا واستطاع عبد الناصر ان يحتوي البعض منهم، وعند تشكيل الحكومة طلب عبد الناصر من الاخوان ترشيح عناصر منهم ليتم ادخالهم في حكومته الجديدة، فرفض الاخوان الاشتراك في الوزارة، وتحول الموقف الى صراع بين عبد الناصر والجماعة.. وكانت معادلة الصراع تميل لصالح مجلس قيادة الثورة وبرئاسة عبد الناصر الذي كان يمتلك زمام الدولة والته الاعلامية[1].. وكان الجهاز الخاص يكون ازدواجية داخل التنظيم لجماعة الاخوان.. وبالتالي كانت تحركات الجهاز الخاص سرية وتخضع لرئيسها عبدالرحمن السندي، لذلك طلب الهضيبي من الجمعية العمومية اتخاذ قرار فصل "السنوسي" واعوانه الثلاثة و هم احمد عادل كمال ومحمود الصباغ واحمد حسن، وتم انتخاب بديلِ عنهم يوسف طلعت رئيسا للجهاز الخاص وابراهيم الطيب رئيسا لمجموعة القاهرة.

وفي فبراير 1954م اطاح الرئيس عبدا لناصر باللواء محمد نجيب وتسلم السلطة علنا.

---

1) د. عبداللـه النفيس : مرجع سابق، ص225.

الصراع السياسي بيـن الاخوان والسلطة في عهد عبد الناصر:

في يناير وحتى شهر مارس عام 1954م تـم حـل الجماعـة، وتـم اغـلاق بـاب الشـعبة بالقاهرة[1] ويشير (ريتشارد هريـر دكمجيـان)[2]، ان الصراع بـين الاخـوان وعبـد النـاصر لم يشتد الا حين عقد عبد الناصر اتفاقية مع بريطانيا في 19 يوليو 1954م يتم بموجبها الجلاء عن القناة.. وكان للاخوان راي معارض للاتفاقية واعتبروها "خيانة".. فهل جماعة الاخـوان انزلقوا الى هاوية الصراع مع عبد الناصر؟ وهل الظروف التي كان يعيشها الاخـوان مواتيـة لان يبدؤوا بتصفية عبد الناصر؟ او العكس هل كان عبدالناصر مستعدا لتصفية معارضيه؟ وبالتـالي قـام باعـداد عمـل تمثـيلي كـما يقـول الاخـوان، بمـا يسـمى "حادثـة المنشـية" بالاسكندرية ويشير علي عشماوي في مذكرته [3] انه كان يتدرب مع زملائه في "ميـت عمـر" ان الخطة المقترحة للصدام تعتمد على الاتي:-

_ العمل على تحييد الجيش من خلال بعض عناصر الاخوان المنخرطين بالجيش والتاكد من عدم تحرك وحدات لقمع الحركة الشعبية.

_ القيام بالقبض على عناصر مهمة لهـا ثقـل مؤيـد لعبـد النـاصر، واذا لم يـتم القـبض عليهم يتم اغتيالهم.

_ قيام جميع الاخوان على مستوى الجمهورية بالاستيلاء على اقسـام البـوليس والمبـاني المهمة كل في حدوده والاستعانة بعدد من الاخوان المدربين.

---

1) مـذكرات : عـلي عشـماوي : التـاريخ السري لجماعـة الإخـوان المسـلمين، القـاهرة، دار الهـلال، 1993م،ص17.

2) ريتشارد هرير دكمجيان: الأصولية في العالم العربي : ترجمة "عبد الوارث سعيد" القـاهرة، دار الوفـاء للطباعة والنشر، ط3، 1992م،ص154.

3) التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، مرجع سابق، ص28.

_ تكلف المجموعات الوافدة الى القاهرة بالانضمام الى اخوان القاهرة في عملية الاستيلاء على المباني الحكومية ذات التاثير وقد كانت محددة بدقة.ويناط بالاخوان الوافدين من الاقاليم الى القاهرة مهام يتم تنفيذها تحت قيادة اخوان القاهرة وهي:

1- اقسام البوليس في جميع احياء القاهرة.

2- مبنى الاذاعة.

3- قطع الطرق المؤدية من المواقع العسكرية الى داخل القاهرة.

يقوم بعض الطلاب باستكمال حصار القصر الجمهوري والاستيلاء عليه[1].

لكن هل يا ترى ما سبق كان بالفعل خطة مرسومة على هذا الشكل الانقلابي؟ ومن المستفيد من القادة العسكريين المناوئين لعبد الناصر؟ واذا كانت الخطط العسكرية الانقلابية مكشوفة بهذه الطريقة.. لم يعد عملا سريا.. واذا كان عبد الناصر قد اكتشف المخطط كما يشير عشماوي، فرد الفعل الطبيعي هو اقامة عمل تمثيلي كما يحلو لجماعة الاخوان بتصوير الموقف الانقلابي في اغتيال عبد الناصر في المنشية في 26 اكتوبر 1954م واجريت المحاكمة ضدهم[2]. لذلك يشير عشماوي[3]، الى ان كمال

---

1) مذكرات عشماوي : مرجع سابق،ص28.

2) يشير التقرير عن الحالة الدينية في مصر : الصادر عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ط 4، 1995م (رئيس التحرير : نبيل عبدالفتاح)، ص164 –165.. إلى أن الإخوان بعد اغتيال الشيخ حسن البنا كرد فعل لاغتيالهم رئيس الحكومة المصرية محمود فهمي النقراشي أنه تم وقف وحل الإخوان، إلا أن حكومة حزب الوفد المشكلة في مطلع إلخمسينات قد عملت على إعادة العمل لجماعة الإخوان بشكل علني عام 1951م.. وبعد قيام ثورة 1952م تطورت العلاقات مع الضباط الأحرار من الصداقة إلى الصدام.. وبلغ ذروته في حادث المنشية عام 1954م وفيه حاولت الجماعة اغتيال جمال عبد الناصر، وهنا انعقدت محكمة الثورة، وحاكمت عدداً من الإخوان وأوصت بحل الجماعة.. ومنذ ذلك الحين وجماعة الإخوان المسلمين في حكم الجماعة المحظورة أو السرية.

3) مذكرات علي عشماوي : التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين، مرجع سابق، ص29. مما سبق يمكن تحليل موقف الإخوان بأنهم جعلوا من أنفسهم شركاء في السلطة، وأصبح لديهم جهاز سري إلا أن وثائق الإخوان غير متوفرة.. وإن كانوا بين الحين والآخر يعلنون أن لديهم وثائق ولكنهم يتريثون إلى حين ليتم نشرها في الوقت المناسب على الرغم من أن الظروف التي عاشها الإخوان بعد وفاة عبد الناصر منحوا خطأ لكشف أوراقهم.. إلا أنه يبدو أن ما يعلنون عنها عبارة عن مدارات دفاعية عن دورهم السياسي في ذلك الحين.

السنانيري اجتمع مع القادة من الاخوان وقال لهم ان جمال عبدالناصر قد باع القضية الوطنية، وسلم للانجليز ما كانوا يحلمون به حيث منحهم الحق بالاحتفاظ بالقاعدة العسكرية البريطانية والعودة للقتال في اوقات الازمات، وان ذلك انتقاص لسيادة مصر[1].

كانت المحاولة الفاشلة لاغتيال عبد الناصر، مبررا منطقيا لقيام حكومة عبد الناصر باعتقال معظم قيادات الاخوان، وعلى ما يزيد على اربعة الاف من اعضاء التنظيم وتكونت محكمة من "جمال سالم" و "حسين الشافعي" و "انور السادات" وحكم على ستة من المتهمين بالاعدام، كما حكم على المرشد العام الهضيبي بالسجن مدى الحياة.

وسعى النظام الحاكم الى تحطيم جهاز الاخوان، اواخر عام 1954م.. من جهة اخرى عمل عبد الناصر على اكتساب ولاءات الجماهير المصرية والعربية.. واقتبس عبد الناصر من فكر الاخوان الدعوة الى الوحدة العربية التي هي

---

1) يشير عشماوي إلى أن عملية الاغتيال كانت مفاجئة، حيث كانت إلخطة تقضي باغتيال عبد الناصر حين عودته من الإسكندرية وكان تصورهم أنه سيحضر عن طريق محطة مصر في باب الحديد وينبغي القضاء عليه بأي شكل.. وكان آخرون يرون تنفيذ باقي إلخطة فوراً -أي في الليلة نفسها- وقبل أن تبادر الحكومة بالهجوم على الإخوان، لكن كلا الرأيين لم ينفذ لأن الأمر يحتاج إلى أوامر القيادة بالتنفيذ وهيهات لتلك القيادة الجديدة.. انظر نفس المرجع.. ص30.

مقدمة للوحدة الاسلامية، ونجح عبد الناصر في الدعوة في الحفاظ على الكرامة العربية، والوحدة، والمشاركة الشعبية.. وكذلك معارضته للغرب، والدعوة للعدالة الاجتماعية، والتكامل الاقتصادي العربي، ومكافحة الاستعمار في الساحة العربية.. الا ان انفراط الوحدة المصرية السورية عام 1961م، والجهود التي بذلها عبد الناصر في حرب اليمن، هيات تلك الاجواء العودة للاخوان الى الظهور ثانية عام 1964م.. في هذا العام افرج عبد الناصر عن الاخوان ربما ليواجهوا الشيوعيين[1].

من جهة اخرى لعبت شخصية محورية هامة دورا مهما في تاريخ حركة الاخوان المسلمين هي شخصية "سيد قطب"[2] لذلك يرى احد الاخوان "فريد

---

1) ريتشارد هرير دكميجان : الأصولية في العالم العربي [ترجمة : عبد الوارث سعيد]، مرجع سابق،ص125.

2) ولد سيد قطب في صعيد مصر في مدينة أسيوط عام 1906م من أسرة متدينة، وقد تلقى تعليمه الأولي قبل أن ينتقل وعائلته إلى حلوان، وواصل تعليمه في دار العلوم.. التحق بجامعة القاهرة عام 1929م، وحصل على دبلوم الفنون والآداب في عام 1933م، عمل فترة وجيزة مفتشاً في وزارة التعليم، ثم ترك الوظيفة ليتفرغ للكتابة التي اتجهت وجهة دينية تماماً منذ عام 1939م، سافر إلى أمريكا في الفترة (1949-1951م).. وبعد عودته انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، أسندت إليه الجماعة مهمة "الدعوة" ثم أصبح رئيس تحرير مجلة الدعوة في عام 1955م، وهو ما عرضه للمواجهة مع النظام بسبب جرأته في طرحه السياسي من خلال كتاباته، وخاصة معارضته للمعاهد الإنجليزية المصرية – البريطانية، عام 1954م، مما دعاإلي وقف المجلة في سبتمبر عام 1954م، والحكم على سيد قطب بالسجن خمسة عشرة عاماً في يوليو 1955م، وفي السجن كتب كتابة الشهير "في ظلال القرآن" وأطلق سراحه عام 1964م، ثم عاد إلى السجن مرة أخرى، وحكم عليه بالإعدام في 29 أغسطس 1966م. انظر : فريد عبد إلخالق : الإخوان المسلمون في ميزان الحق، ص108-109، نقلاً عن : هالة مصطفى : الإسلام السياسي في مصر من حركة الإصلاح إلى جماعات العنف، مرجع سابق، ص97-98.

عبدالخالق"[1] ان التعذيب الذي واجهه الاخوان في السجون في عهد عبد الناصر كان له رد فعل انعكس ذلك فكريا على السجناء من الاخوان الذين دخلوا السجون اثر محاكمات عام 1954م، وقادهم ذلك الى تكفير الحكام والمحكومين الذين عملوا على ظلمهم وذهبوا للبحث في مسالة جاهلية المجتمع، وقضية الجماعة والبيعة، وكان سجن القناطر مسرحا لهذه الافكار.. وبانتهاء العقوبة المحددة بعشر سنوات خرجوا من السجن ما بين عامي 1963-1965م، وكان لوجود سيد قطب ضمن المعتقلين قرابة تسعة اعوام بين عامي 1955-1965م دور كبير في تاثيره الفكري على الشباب.. ويضيف من ثم نشا فكر التكفير من شباب بعض الاخوان في سجن القناطر في اواخر الخمسينات ومطلع الستينات والمتاثرين بفكر "سيد قطب."[2]

وعلى الرغم من ان هذا الراي اخذ بعدا سياسيا يجنح لاتجاهات السلطة الحاكمة واعلامها، الا ان الظروف التي خضع لها المعتقلون من شباب الاخوان، واساليب التعذيب ووسائل القهر في استخراج المعلومات، وكذلك

1) فريد عبد إلخالق : المرجع السابق، ص108-109، نقلاً عن : هالة مصطفى، ص97.

2) يرى "سيد قطب: في كتابه : معالم في الطريق : القاهرة، دار الشروق، ص38، أن الإسلام ليس نظرية تعامل مع الظروف، إنه منهج يتعامل مع الواقع، فلابد أولاً أن يقوم المجتمع المسلم الذي يقر عقيدة "أن لا إله إلا الله" وأن الحاكمية لله، ويرفض الإسلام شرعية أي وضع لا يقوم على هذه القاعدة.. والمسلون في مكة لم يكن لهم سلطان على أنفسهم ولا على مجتمعهم وما كانت لهم حياة واقعية مستقلة هم الذين ينظمونها بشريعة الله.. ومن ثم لم ينزل الله لهم في هذه الفترة تنظيمات وشرائع، وإنماأنزل لهم عقيدة، وخلقاً منبثقاً من هذه العقيدة بعد استقرارها في الأعماق البعيدة فلما أن صارت لهم دولة في المدينة ذات سلطان تنزلت عليهم الشرائع وتقرر لهم النظام الذي يواجه حاجات المجتمع المسلم الواقعية والتي تكفل له الدولة بسلطانها الجدية و النفاذ) ويضيف في ص97: وطبيعي أن المجتمع المسلم لا ينشأ ولا يتقرر وجوده إلا إذا بلغ درجة من القوة يواجه بها ضغط المجتمع الجاهلي القديم قوة الاعتقاد والتصور..

مورس ضد بعضهم القتل بدون محاكمة داخل السجون، وكان من الطبيعي ان تنعكس على مفاهيمهم وافكارهم في اجتهاد فقهي من قبل "سيد قطب" بانعدام العدالة الاجتماعية داخل المجتمع المصري، وكذلك معاملة المساجين، وانعكاس ذلك على شرائح كثيرة وكبيرة داخل المجتمع.. فاعتبر "سيد قطب" ان هذه الممارسات رجعية جاهلية لا تمت بصلة لواقع القرن العشرين.

ومرت جماعة الاخوان بعد ذلك بمعارك سياسية.. وهي معارك بدات منذ عهد مؤسس الجماعة "حسن البنا" الذي يقول في احدى رسائله : " ايها الاخوان انتم لستم جمعية خيرية ولا هيئة موضعية ولا حزبا سياسيا، ولكنكم روح جديد يسرى في قلب هذه الامة فيحييه بالقران ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله وصوت مد ويعلو مرددا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم"[1].. ودخل الاخوان معارك جانبيه واتخذت موقفا معاديا من كل الاحزاب السياسية في مصر.. وطالبت الدولة بالغائها.. وواجهت الجماعة سياسة التبشير المسيحي بكل حزم.. وطالبت الجهات المختصة بتشديد الرقابة عليه.. ومن ثم دخلت في صراع مع النظام الحاكم.

ومن المنطق القول، ان سياسة العداء هذه لم تكن مبرمجة سياسيا وتكتيكيا بحيث تكون لها مرونة في التعامل معها بشكل مقبول ولذلك فقد كونت التيارات الحزبية والشخوص الاخرى المثقفة والنظام الحاكم.. جبهة معادية قوية وصلبة للجماعة، واحاطتها من كل جهة.. وعملت على افنائها.

---

1) مجموعة الرسائل : مرجع سابق، ص231.. وقد لاحظ الدكتور/ ريتشارد ميشل، في كتابه أيديولوجية الإخوان المسلمين،ص88، إلى أن عدد جماعة الإخوان المسلمين وصل عددهم ما بين عامي 1948-1950م مليون عضو.. وأن عدد الجوالة وهم "الجهاز السري" فيها سبعون ألف مقاتل مسلح.

ولقد لعبت الظروف السياسية الدولية دورا كبيرا في الستينات من القرن العشرين تمثلت ببروز الشيوعيين ومحاولتهم زعزعة الاوضاع السياسية وخلقوا نوعا من الاقلاق للحكومة المصرية.. ادى ذلك الى اجترارهم الى اقبية السجون وهناك التقى النقيضان التاريخيان "الاخوان المسلمون والشيوعيون" واختلطا في السكن والماكل والمشرب.. وجرت بينهما حوارات فكرية جدلية طريفة عرض كل منهما مشروعه السياسي والايديولوجي.. وتبلور الحوار حول جدلية التوجه السياسي في اصلاح المجتمع.. وفقا للمعطيات الفلسفية الايديولوجية الماركسية – والمناقض لها التوجه الفكري الاسلامي الحركي[1].

---

1) يشير : عبد الحليم خفاجي : حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون، الكويت، دار القلم، ط1، 1974م، ص25-66، إلى أن أحد الشيوعيين تم اختياره من قبل زملائه لعرض فكر جماعته التنظيمي.. وبدأ قوله : "إن انتصار الشيوعية في مصر أصبح حتمياً.. وكل يوم يمر يقرب من هذه الحقيقة، وأمام هذا اليقين الحازم الذي تعددت شواهده تنتهي كل مبررات إلخوف والحذر.. وإذا شئتم تحديداً لهذا اليوم الموعود فإنه بكل ثقة وإطمئنان سيكون مع أخر حجر يوضع في بناء السد العالي، يومها سنكون قد ركبنا على البلد "بإلخسروان".. قلنا له.. فلندخل إلى الموضوع إذن.. قال : المادية الجدلية هي الإطار الفلسفي للماركسية (...) وأضاف.. وقد عرفت المادة قديماً بأنها كل ما تقع عليه الحواس.. وعرفت حديثاً بأنها الوجود الموضوعي خارج الذهن.. والمادة قوانين ثلاثة : (1) المادة سابقة في الوجود على الفكر. (2) أن الفكر يشكل المادة ويغيرها. (3) تخضع المادة لقوانين ثابتة هي : أ) قانون التناقص. ب) قانون الحركة. ج) قانون التغيير. د) قانون الترابط. كما أوضح فكرة نظرية فائض القيمة.. والتي تقول أن العمل أساس القيمة.. فقيمة السلعة المواد والجزء المستهلك من المعدات وقيمته عنصر لخدمة العمل من جانب العمال لإعداد هذه السلعة.. والقيمة التي تنتج بواسطة فائض عنصر العمل من جانب العمال تسمى فائض القيمة. والاستيلاء الرأسمالي عليها تحت ستار الربح هو جوهر الاستغلال واستمرار الرأسمالي على زيادة الربح يفضي إلى ثلاثة قوانين حتمية تؤدي في النهاية إلى تقويض النظام الرأسمالي: وهي : 1- قانون تراكم رأس المال. 2- قانون تركيز رأس المال. 3- قانون زيادة البؤس. ثم تأتي مرحلة الاشتراكية وهي وصلة بين

والملاحظ ان الحكومة السعودية كما يرى صاحب كتاب "التاريخ السري لجماعة الاخوان المسلمين"[1] بعثت باسلحة للاخوان -او بالاصح تم شراؤه على حساب المنتسبين للاخوان بالسعودية- وكان رجال الاخوان قد كسبوا عنصرا مهما لصفهم هو "اسماعيل الفيومي" وكان احد حرس الرئيس عبدالناصر.. وكان من الهدافين الذين لا يخطئون الرماية.. وكان يمكن الاعتماد عليه بالقيام باغتيال عبد الناصر.. الا ان احد الاخوان ويسمى

عصرين متتالين عصر الرأسمالية وعصر الشيوعية العالمية هي مجرد جسر بينهما، وهي تسمى أيضاً بالشيوعية الأولى.. ثم يتم الانتقال إلى عصر الشيوعية العالمية.. ويحل العلم محل العقائد والفلسفات ويتحرر الإنسان ويصير من كل حسب قدرته ولكل حسب حاجته.. وتنتهي سلطة الدولة.. وتقوم المعاشرة الاختيارية "المشاعية الجنسية" في علاقة الرجل بالمرأة محل الشكل الأسرى المليء بالقيود.. من ثم تتغير الطبيعة البشرية وتتطور وستعيش في مشاعية الوفرة والغنى.. هذا هو كل ما نؤمن به"

وأجاب أحد الإخوان بالقول : " إذا كان القول بالمادة وقوانينها قد انتقلنا به من الميدان العلمي القطعي إلى ميدان الظن والاحتمال، وأنه مجرد فرض يحتمل إلخطأ والصواب.. فماذا لو فرضنا أن الحياة أوجدها خالق.. خذوها كفرض.. ولا نطالبكم بمنطقنا فهي عندنا اعتقاد له حججه وبراهينه. فماذا يدخل على منهجكم من تغيير لوصح هذا الفرض؟ وكيف سيكون مركز فلسفتكم المادية وما تفرع عليها؟.. فقال أحدهم : نحن لا نعتمد على الفروض.. وإنما نتبع المنهج التجريبي.. ويوم أن تجيب العلوم نفكر..".

وكان الحوار ينتهي بعرض كل من الجانبين ما يؤمن به وفقاً لمنهجه الفكري ومعتقده السياسي والأيديولوجي، وكما يقول صاحب المرجع السابق الذكر، ص166: أن ردهم كان في إطار فهم المصطلحات أولاً، ثم الاستدلالات العلمية من ذلك أن كلمة الجدلية معناها البحث والمناقشة للوصول إلى الحقيقة بالكشف عن المتناقضات التي تنطوي عليها على حجج المتنازعين.. وكلمة النقيض ليست سوى مقولة عقلية مجردة ابتدعتها الفلسفة لتفسير الظواهر المختلفة.. وقد استخدم سقراط الجدلية في محاورات أفلاطون..إلخ.. أما مقولة قانون التناقض فهو خطأ علمي.. يطبع السلوك بالتمزق فالعلاقات في الوجود قائمة على التوازن والتزاوج والإنسان..".

1) علي عشماوي : مرجع سابق، ص118-119.

"مجدي" كان متحمسا لان يقوم هو بالعملية في الاسكندرية.. وكلف بهذه المهمة. وكان الخارجون من السجون قد وقعوا تحت حبال تنظيم جديد يشرف عليه سيد قطب. وبدا الاعداد للاغتيالات وتدمير المنشات.. وكان "احمد عبدالمجيد" ينسق المعلومات بصفته مسئوولا عن جمع المعلومات للتنظيم "وكانت هناك مجموعة اخرى مسؤولة عن سماع الاذاعات الاجنبية، وكتابة تقارير عنها ومجموعة ثالثة مسؤولة عن قراءة الصحف الاجنبية وكتابة تقارير يومية عنها.. وتحول مشروعهم السياسي من الحوار والنقاش الى الاعداد لمواجهة خصومهم بالعنف.[1]

---

1) يشير : رفعت سيد أحمد : النبي المسلح، الرافضون، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط1، 1991م، ص12 : إلى أن أسباب ظاهرة العنف السياسي الإسلامي في مصر تعود إلى بداية الأربعينات من القرن العشرين عندما انشق "شباب محمد" عن جماعة الإخوان المسلمين، محبذين العنف الديني ومنتقدين السياسية الإصلاحية للإمام "حسن البنا" وتدريجياً تكون داخل جماعة الإخوان ذاتها "الجهاز إلخاص" والذي مارس العنف في النصف الثاني للأربعينات، والذي قام باغتيال النقراشي باشا، واستتبع ذلك اغتيال مضاد للشيخ حسن البنا. ومع ثورة يوليو 1952م دخل جماعة الإخوان مرحلة جديدة من العنف.. ومحاولتهم اغتيال جمال عبدالناصر، في المنشية بالإسكندرية عام 1954م.. ويبدو أن فلسفة التكفير والتفكير بالعنف بدأت تحديداً عام 1958م على يد شاب إسلامي الاتجاه كان مسجوناً مع الذين تم القبض عليهم من جماعة الإخوان المسلمين آنذاك يسمى "نبيل البرعي" الذي انشق عن الإخوان المسلمين مكوناً بدايات تنظيم سمي وقتها "تنظيم الجهاد" اتخذ من أفكار ابن تيمية منهاجاً للحركة.. وفيما بعد أنضم إليه عن إقتناع كل من "إسماعيل الطنطاوي، ومحمد عبدالعزيز الشرقاوي، وأيمن الظواهري، وحسن الهلاوي، وعلوي مصطفى " وأصبح إسماعيل الطنطاوي قائداً لهذه المجموعة، نظراً لإمكاناته الفكرية الفذة.

واستمرت ظاهرة العنف الديني في النمو في مصر.. ويبدو أن، كتابات "أبي الأعلى المودودي، وسيد قطب، وشكري مصطفى، وصالح سرية.. ومن بعد عبد السلام فرج" وذلك في ثقافة العنف لدى هذا التنظيم. وخرج من تحت عباءة جماعة الإخوان المسلمين الكثير من التنظيمات العنيفة.. واختلفت تفسيرات وتحليلات أسباب تطور ذلك الانتشار..

مما سبق نلاحظ ان جماعة الاخوان المسلمين هم الذين صنعوا لانفسهم تلك المحنة.. فالمسالة لم تكن مرتبطة بالتطبيق التشريعي الاسلامي في مصر،او ان الدولة ترفض ذلك.. وكان التقييم لنظام عبد الناصر على انه نظام علماني على الرغم من ان الحكومة المصرية لم تعلن سواء قبل الثورة او بعدها اعلانا دستوريا بتطبيق الاحكام العلمانية.. ومن المعلوم ان الاجراءات التشريعية سواء في الاحوال الشخصية او الجنائية قائمة على مفاهيم فقهية ومعظم تلك الاحكام منذ عهد "محمد علي باشا (1805-1848) مقننة يجرى العمل بها حتى اليوم .. هذا من جهة . ومن جهة اخرى ان الذين امتطوا صهوة حصان طرواده من الاسلاميين في تاجيج الصراع مع النظام واقامة مشروعهم

ويرجع بعضها إلى أساليب ووسائل التعذيب الجسدي والمعنوي الذي اتبع داخل السجون ضد الإسلاميين بوجه خاص في الحقبة الناصرية.. ويراها آخرون أنها نتيجة لأسباب اقتصادية واجتماعية ظالمة.. وتارة ثالثة يرجعها البعض إلى نقص الوعي الديني لدى الشباب المتحمس.

إلا أن الإيمان بالفكر الديني لدى هذه المجاميع يعطي الإيحاء أن أسلوب القهر والقسوة الظالمة التي مورست ضد هؤلاء في السجون وخاصة في بداية الستينات والسبعينات جعلهم عدوانيين في رؤاهم الفكرية إلى حد بعيد وأصبحوا يغالون في طرحهم الدعوة على الطريقة الوهابية.. فما دونهم فهو كافر.

ويشير رفعت سيد أحمد، المرجع السابق،ص13 : إلى أن ما حدث عام 1989م في مصر، وتحديداً منذ بدايات أحداث العنف مع تنظيم.. الناجون من النار عام 1986م.. ويضيف إلى أنه يوجد حول "القاهرة" كعاصمة مدن هامة في مصر ما يقارب عشرين مدينة هي أحزمة من الفقر ومن انعدام الحد الأدنى للمعيشة. ومن الغياب الحقيقي للمرافق وإلخدمات التي يختص بها وسط العاصمة، وكذا المدن الرئيسية العشرون.. ويعد ذلك أحد أضلاع المثلث الذي يعد أحد أسباب العنف، أما الضلع الثاني فهو حالة الاغتراب والاستغراق شبه الكامل في تقليد كل ما هو غربي مما يصطدم وجوهر المشاعر الإسلامية لدى القطاعات العريضة من أبناء الشعب المصري.. أضف إلى ذلك غياب القدوة على صعيد الأحزاب والقوى السياسية المؤثرة وعلى صعيد الإدارات والمؤسسات المختلفة، ويمثل ذلك الضلع الثالث من أضلاع مثلث العنف الديني..".

السياسي كانت الضرورة تقتضي من رجال ثوار يوليو الدفاع عن مشروعهم السياسي ايضا.. الذي يعمل على اقامة نهضة مصرية قوية.. من خلال اقامة اكبر مشروع في الشرق الاوسط، المتمثل بالسد العالي، وتاميم قناة السويس.. واعلان الدفاع عن الشعوب العربية الخاضعة للاستعمار الاستيطاني الفرنسي بالجزائر والاستعمار البريطاني في عدن.. وبدا عبد الناصر باعلان الوحدة الاندماجية مع سوريا، مما ازعج القوى الرجعية في العالم العربي والتي تمثل احدى دوائر الاستعمار في المنطقة.

ونجح الاستعمار والقوى الموالية له في المنطقة بفك الارتباط الوحدوي مع سوريا عام 1961م، ولم ينكسر عبد الناصر امام هذا الاعصار، فقد نجحت ثورة اليمن في اواخر سبتمبر 1962م، ويعد نجاح هذه الثورة نجاحا لرؤى عبدالناصر.. وانتصر عبدالناصر لثورة اليمن كما انتصر من قبل لثورة الاستقلال في الجزائر في مارس 1962م.

اما سياسة عبد الناصر في الداخل.. فقد نجح اهل الحظوة من العسكريين في السيطرة على معظم مقاليد الامور في الدولة.. واصبح جهاز المخابرات المصرية.. دولة داخل الدولة، وعاثوا فسادا وحكموا بالقهر، واحتجز واطيح بالكثير من السياسيين الذين ابدوا قلقهم على مصر.. وبدت مصر من الداخل مهترئة هزيلة اخترقتها المخابرات الاجنبية نتيجة للفساد المالي والاداري وسيطرة اجهزة المخابرات وبعض القادة العسكريين امثال المشير عبدالحكيم عامر، وانصاره كشمس بدران، وصلاح نصر، على مفاصل الاقتصاد والسياسة. وكانت نكسة 1967م امام العدوان الاسرائيلي الغاشم تلخص ذلك الواقع السياسي.. وحاول عبد الناصر من جديد ان يصحح الوضع من الداخل.. وايدته بعض العناصر الوطنية الصادقة.. وتنفس الاسلاميون الصعداء بازاحة الكثير من العناصر الاستخبارية السيئة والعسكرية خاصة الذين كانوا مهيمنين على السجون.. وبوفاة عبد الناصر

في سبتمبر عام 1970م بدا الرئيس السادات يعمل على اخراج السياسيين والاسلاميين بوجه خاص من السجون.. لمواجهة "مراكز القوى" والمعارضة لسياسة السادات.

المتغيرات السياسية والفكرية في مصر(1971-1992م):

بعد تصفية مراكز القوى التي سماها الرئيس المصري مع عام 1971م بدات الحكومة المصرية تعمل على الخلاص من اثار الماضي، ومن ذلك قضية المشتبه بهم.. واعلنت حكومة انور محمد السادات، ان من يريد الخروج من السجن يجب ان يعلن التوبة وتاييده للحكومة.

وكانت قضية التاييد تحتل الدرجة الاولى من ثم يتم السماح لجماعة الاخوان الخارجين من السجون ان يمارسوا نشاطهم الدعوي في الدرجة الثانية.. وكانت الدولة لها محاذير وشروط معروضة على الاخوان بحكم تاريخهم الذي يحمل بصماتهم في استعمال العنف ضد الدولة.. وسبق ان قاموا باغتيالات الافراد.. وتخريب منشات على مر التاريخ كما يروى احدهم[1]. لذلك كانت الدولة حريصة على اخذ تعهدات منهم لترك تلك الاساليب الارهابية.. وتم الاتفاق بين الاخوان وامن الدولة في السجن على التالي:-

- الافراج عن الاخوان واسقاط القضية.
- عودتهم الى اعمالهم.
- عدم التعرض لهم في نشر الدعوة.. والسماح لهم بالخطابة على المنابر ونشر الدعوة بالكلمة، يلتزم الاخوان بالتالي:-
- عدم محاربة الحكومة.
- عدم رفع السلاح في وجه الدولة[2].

---

1) مذكرات : علي عشماوي، مرجع سابق، ص173.
2) نفس المرجع : ص179.

وكلف الشيخ عمر التلمساني.. وكان قد سبق ان اطلق سراحه بالتوقيع.. وصدر قرار جمهوري بالعفو العام عن الجميع وتم اخراجهم من السجون على شكل مجاميع.. كل مجموعة على حدة.

في عام 1978م تم تشكيل تنظيم جماعة الجهاد الاسلامي، وتولى "كمال السعيد حبيب" -ابو عبدالرحمن - قيادة التنظيم [1] خارج مصر.. وقاد التنظيم في مصر "عبدالسلام فرج" عام 1980م، وكان من مهام هذا التنظيم اغتيال الرئيس "محمد انور السادات"، وتم القاء القبض على كمال السعيد فيما بعد.. وحكم عليه بالسجن مدة عشر سنوات، ويشير صاحب الوثيقة الاحيائية الى ان جماعته تسعى الى تطبيق الاسلام الاجتماعي ممثلا في الزواج،اللباس، الاختلاط، الاسرة..الخ، وعلى المستوى السياسي يسعى ابناء الاسلام -كما تقول الوثيقة- الى الحكم بما انزل الله، ورفض الحكم بالجاهلية في كل صورها واشكالها.. ومظاهرها، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، على نطاق واسع وفي كل المجالات والمشاركة الفعالة في الاحداث التي مرت بها الدولة الاسلامية.

وتشير الوثيقة الى ان الثورة الايرانية تعد اعظم ثورة اسلامية في القرن العشرين.. وفي مصر كان مقتل السادات، وفي افغانستان كان انبعاث حركة الجهاد الاسلامي.. ومن العجيب ان صاحب الوثيقة الاحيائية لا يعير اهتماما للخلاف المذهبي، والتوجه الايديولوجي الايراني.. وهو عند الاتجاه السلفي الوهابي يعد توجها غير اسلامي، ومن منظورهم ايضا ان الشيعة مشركون.. ويبدو ان السياق الفكري جعل صاحب وثيقة الاحياء يغض الطرف عن الخلافات المذهبية ربما من حيث لا يدري !!

---

1) كمال السعيد محمد : وثيقة الإحياء الإسلامي، نقلاً عن : د. رفعت سيد أحمد، النبي المسلح، مرجع سابق، ص199-238.

ويضيف على ان الاسلام كفكر اثار الرعب في نفوس الحكومات الغربية – الصلبية- بحكم مواريث الرعب والفزع التي عاشها هذا العالم خوفا من الاسلام، والتي تمثلت في حركة الاجتياح السريع التي شهدها العالم بعد فترة تاسيس الدولة الاسلامية الاولى في المدينة المنورة، وكذلك عندما تعرض العالم الغربي للفتح مرتين اولها في القرن الثالث الهجري على يد السمح بن مالك الخولاني، ثم عبدالرحمن الغافقي (113-114هـ) المرة الثانية في القرن العاشر الهجري على يد العثمانيين، والذين وقفوا دون ابواب فيينا ولم يتمكنوا من ذلك.. ويوضح مشروعه الاسباب، بعد عرض تلك المقدمة الى ان عودة الاسلام يمثل رعبا ومن ثم اهتماما وبالدرجة نفسها من

جانب الانظمة العلمانية التي تحكم بلدان العالم الاسلامي فقيام دولة اسلامية تعني انهاء وجود الانظمة العلمانية[1].

---

1) تضيف الوثيقة على أن ظاهرة الإحياء الإسلامي ترتكز على المحاور التالية : علاقة العالم الغربي بالعالم الإسلامي.. وتتمثل بالآتي: 1- لمرحلة الأولى.. وتبدأ من العصور الوسطى، والحروب الصليبية التي واكبتها بدايات لحركة فكرية هدفها إقناع العالم الإسلامي أن نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم من حيث جوهره كان كاثوليكياً، وأن الإسلام حلقة من حلقات التطور بين الإلحاد والكاثوليكية.. والمرحلة الثانية : وهي مرحلة تقف فيها الحضارة الغربية (النصرانية) موقف الدفاع من الفيضان الإسلامي، الذي مثلته الدولة العثمانية، وعاصرت هذه المرحلة مرحلة عصر النهضة الأوربية وبداية التهديد للدولة العثمانية.. أما المرحلة الثالثة : وفيها تحول الاهتمام بالعالم الإسلامي والذي عرف باسم الاستشراق إلى أحد أدوات الغزو الأمبريالي للعالم الإسلامي.. وشهد العالم الإسلامي هجمة استعمارية شرسة من جانب العالم الصليبي "الغربي" خلال القرن 18م و19م والتي بدأها "نابليون بونابرت" بحملته على مصر عام 1798م، وانتهت باحتلال العالم الإسلامي كله.. وتم احتلال الهند عام 1857م واحتلال مصر عام 1882م، واحتلال الجزائر عام 1830م، واحتلال تونس عام 1882م، وليبيا عام 1911م، والمغرب عام 1911م.. وظل الاستعمار الصليبي يقطع أوصال العالم الإسلامي حتى أخضعه له نهائياً تقريباً بعد الحرب العالمية الأولى.

وفي هذه المرحلة كان الاستشراق يمثل أداة من أدوات الغزو الاستعماري لتمكينه من تنظيم عملية الإدارة والتعامل مع تلك المناطق الإسلامية.. وتعد المرحلة الرابعة استمراراً لما سبق، ولكنها بوجه يهودي صهيوني قبيح وتسمى هذه المرحلة بمرحلة الغزو الصهيوني، وعملت على تأسيس حركة سياسية في المنطقة الإسلامية أساسها الغزو والاستيعاب.. وكان على الدعوة الصهيونية أن تقوم بتشويه الإسلام وتفتيت الذات الحضارية.

وكان من نتائج هزيمة يونيو 1967م أن اختزلت الحقيقة لمفهوم القومية العربية في عيون الرأي العام الدولي.. وأنها الوجود السياسي للعرب.. ويعود ذلك إلى اختفاء الدولة العثمانية كدولة إسلامية، وكان الوارث لها القوى الاستعمارية الصليبية، وأضيف لليهود دور كبير من خلال دولتهم إسرائيل.

وكون الجماعة الاسلامية بما تمثله من رؤى معارضة للسلطة.. وتبنت لتوجهاتها السياسية مشروعا تضمن خليطا من المفاهيم الدينية وفقا لاجتهاداتهم.. وسياسيا تمثل بخيارهم في مواجهة السلطة والتمرد على النظام الحاكم.. والمعارضة ظاهرة موجودة في المجتمع سواء اعترف بها او لم يعترف بها. ومن الطبيعي فالنظام لا يستطيع ارضاء جميع من يحكمهم، والاعتراف بشرعية المشاركة الشعبية في الحكم اصبح امرا مسلما به في العصر الحديث من خلال الانتخابات البرلمانية، وان كان في العالم العربي تفرض الدولة شخوصا تدفع بهم للانتخابات، وهؤلاء من منظور الدوائر الانتخابية غير مقبولين.. ولذلك تعمل الدولة على اسلوب التزوير للاطاحة بمن ينافس مرشحي النظام.. وبالتالي تبقى المعارضة للنظام وتاخذ صورا سياسية ودينية متعددة.. فتشكل حالة اقلاق للنظام.. وتبدا مدخلات خارجية يستعين بها النظام الحاكم عندما تحاول قوى المعارضة الالتفاف والتكتل لمواجهة السلطة الحاكمة بعمل انقلابي -كما حصل بجمهورية موريتانيا في اواخر الاسبوع الاول من شهر يونيو2003م- فالمعارضة تشكل مشروعا سياسيا مغايرا لما هو قائم من نظام سياسي حاكم سواء كان ديمقراطيا او ديكتاتوريا.

والسؤال الذي يعلن عن نفسه : هل اخوان السبعينات تختلف رؤاهم الفكرية عن فكر المؤسس الشهيد حسن البنا؟. وهل هناك فرق بين الدين والدولة؟. ام ان الاسلام دين شمولي.. وان النظام الاسلامي غاية يسعى اليها "الاخوان المسلمون"..؟ ولو رجعنا لفكر البنا سوف نلاحظ ان رسائله اكدت على ان الاسلام ليس عبادة روحية، ولكنه عبادة وقيادة، ودين ودولة، وروحانية، وعمل، وصلاة وجهاد، وطاعة وحكم، ومصحف وسيف، لا ينفك واحد من هذه عن الاخر.

لذلك كان مشروع الاخوان ومازال يقوم على فكرة عودة الخلافة، وتناول البنا هذه القضية بالقول : " الاخوان يعتقدون ان الخلافة رمز الوحدة الاسلامية، ومظهر الارتباط بين امم الاسلام، وانها شعيرة اسلامية يجب على المسلمين التفكير في امرها والاهتمام بها، والاخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لاعادتها في راس مناهجهم" .ويضيف: " ان الاسلام الحنيف يفرض الحكومة قاعدة من قواعد النظام الاجتماعي الذي جاء به الناس فهو لا يقر الفوضى ولا يدع الجماعة المسلحة بغير امام"[1].

وبنفس المنطق يرى "مصطفى مشهور" المرشد العام للاخوان المسلمين في الثمانينات من القرن العشرين ان الاخوان اولا وقبل كل شيء يرفضون مسالة فصل الدين عن السياسة، ويريدون الفرد المسلم والبيت المسلم، والشعب المسلم والحكومة المسلمة، والدولة الاسلامية التي تضم شتات المسلمين وتستعيد مجدهم وارضهم المفقودة وبلادهم المغصوبة، وتحمل علم الجهاد ولواء الدعوة الى الله[2].

اذا كان منطق الاخوان في مشروعهم السياسي هو الوصول للسلطة، فهو منطق كل توجهات القوى المعارضة سواء اليسارية او اليمينية او الوسطية، سواء يتم ذلك عن طريق الديمقراطية والاقتراع بالانتخاب او عن طريق الانقلاب العسكري، فالمعارضة هي من ابرز مظاهر الرقابة على السلطة والتي كانت -بالفعل- مكفولة ومصونة في ظل نموذج "الخلافة" وقد حل مكانها التهديد والوعيد والسجن كجزاء متوقع لمن يقوم باي معارضة، او حتى نصيحة[3].

1) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، مرجع سابق، ص75.
2) د. رفعت سيد أحمد : النبي المسلح، مرجع سابق، ص74.
3) انظر : د. نيفين عبدإلخالق مصطفى : المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي، القاهرة، مكتبة فيصل الإسلامية، ط1، 1985م، ص199: وتشير إلى : أن ما أبداه معاوية بن أبي سفيان في

ويكشف لنا التاريخ امثلة واقعية، فتاريخ الشيعة والخوارج حيث مثل كل منهما طرفي نقيض وكلاهما مسلمان.. وكل منهما اتخذ قرارا خارجا عن اطار الفكر الاسلامي الدعوي، فبينما تطرف الخوارج في ذلك الى حد التكفير، تطرف الشيعة في الناحية المقابلة الى "التاليه" عند بعض فرقهم المتطرفة.

واذا كان مفهوم الديمقراطية من حيث المعنى الاصطلاحي الغربي هو ان المعارضة هي حكومة الظل، ولذلك فالسلطة تعترف للمعارضة بتبادل الادوار بين اطراف يشتركون في لعبة واحدة وهي "السلطة".. الا ان المقابل عبر حركة التاريخ الاسلامي توضح ان المعارضة لم تتمكن من الحصول على مثل هذا الاعتراف بتبادل الادوار هذه، فالسلطة كانت حكرا على طرف واحد والتعامل مع المعارضة يتم عن طريق منطق الاحتواء بالسجن او الاستيعاب او الاستئصال، وبالتالي امكانية التعايش كانت غير موجودة

عصره الذي أرسى فيه التحول من الخلافة إلى الملك بقتله "حجر بن عدي" عام 41هـ وذلك لمعارضة ما سنه معاوية من لعن "علي بن أبي طالب" فوق المنابر وسبه، فقتله معاوية ومعه سبعة من رفاقه. كما رد معاوية أحدهم، وهو عبدالرحمن بن حسان إلى زياد واليه على الكوفة وكتب له أن اقتله شر قتله فدفنه حياً.. وما فعله الحجاج حين خطب يوماً وأخر الصلاة فاعترض عليه عبدالله بن عمر وقال له : "إن الشمس لا تنتظرك" فما كان من الحجاج إلا أن قال له "لقد هممت أن أضرب الذي فيه عيناك" كما يظهر نفس ذلك الأسلوب.. في قول عبدالملك بن مروان حين قدم إلى المدينة عام 75هـ وارتقى منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : "إني لن أواري أمراض هذه الأمة بغير السيف.. والله لا يأمرني أحد بعد مقامي هذا بتقوى الله إلا ضربت عنقه".. ومثل ذلك ما فعله الوليد بن عبدالملك حين أطال مرة خطبة الجمعة حتى اصفرت الشمس فقام إليه رجل وقال : "إن الوقت لا ينتظرك وإن الرب لا يعذرك، فما كان من الوليد إلا أن قال له : "صدقت ومن قال مثل مقالك فلا ينبغي له أن يقوم من مقامك؟ وقتله حرسه. [انظر : ابن كثير : البداية والنهاية، ج8، ص50-55. أيضاً : ابن سعد : الطبقات الكبرى، ج4، ص184، وانظر كذلك : ابن عبد ربه : العقد الفريد،ج1،ص62.

بالاساس بين الطرفين.. ولذلك تبادل الادوار هو مفهوم جديد على واقعنا السياسي.

الا ان تبادل الادوار بغرض نظام التوجه العلماني.. بينما التيار الاسلامي ومرجعيته الدينية وهي جوهر الصراع السياسي تتعلق بالايمان او الكفر بالعقيدة، وهذه المسالة تتسم بالثبات لا بالتغير، لذلك فالمصطلح الغربي -الديمقراطي وتبادل الادوار - هو عمل مرفوض من قبل الجماعات الاسلامية خوفا من تغييب مشروعهم الذي يطمحون من خلاله الى الوصول الى السلطة وتحييد المشروعات السياسية المطروحة من قبل القوى المعارضة الاخرى.. لذلك كان اقصاء التيار الاسلامي في الجزائر الذي دخل معترك الاقتراع الانتخابي عن طريق الديمقراطية.. وقبل وصولهم الى النجاح التام بدات التصريحات لبعض قادتهم انهم يطمحون عند وصولهم الى السلطة بتطبيق مشروعهم الرامي الى فرض الشريعة الاسلامية والغاء مفهوم الديمقراطية.. وهذا يلغي امكانية التعايش بين كل الفئات والشرائح الطبقية في المجتمع.

من هنا اصبح الصراع قائما على تطبيق التعايش من منظور غربي الراعي للديمقراطية الذي يعمل جاهدا على تسويقها الى العالم الاسلامي والعربي خصوصا.

وان كان منظرو الفكر السياسي الاسلامي يعدون طلب السلطة ممنوعا او مكروها، ومن ثم كانت كل الحركات المعارضة هدفها الاساسي موجه نحو تطبيق تصورها الامثل فقط.. فالخوارج مثلا ثاروا من اجل مشروعهم القائم على فكرة "الحكم لله" وعودة الخلافة شورى بين المسلمين، كما اعترض اصحاب اتجاه الفكر المعتزلي على المظالم واغتصاب الحقوق الذي كان الامويون يقومون به.. وقد عرفت بعض الحركات الاسلامية بتوظيف مبادئ الدين لخدمة مشروعها السياسي.

والتيار الاسلامي المعارض يرى ان الفرد حاكما او محكوما هو من منظور النص الحرفي للسنة النبوية، ان كل فردٍ "راعٍ" وكل فردٍ مسؤول عن رعيته.. ومن ثم فالمشروع السياسي يقوم على الشورى، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر. اما القيادة فهي تقوم على شروط القائد وهو راس الجماعة والمرتبطة بالبيعة.. فاهل الحل والعقد هم الذي يقومون بذلك.. والمفكرون من الفقهاء هم الذين تتمثل فيهم ديناميكية الاجتهاد، ومن ثم فالمعارضة هي شبيهة بالتدخل العلاجي لاصلاح حالة الجسد المريض، اذا هي معارضة لمن يخالف توجهات الشريعة الاسلامية[1].

اذا الحركة التنظيمية للمعارضة الاسلامية تشعر بالتماسك والقوة، فعندما حاولت السلطة الحاكمة تحطيم تنظيم الاخوان المسلمين، وتصفية اعضائه، وتعرضوا للاضطهاد، كما تروى كتبهم المبالغ فيها، وتشتت معظمهم. وانهم التمسوا الماوى في الانخراط في تنظيمات فرعية اسلامية اخرى. ولذلك حافظت على كينوناتها حتى اذا خف الحصار والمتابعة ظهرت من جديد.. لكن الحقيقة انهم لم يختفوا كثيرا من اعين رقابة الدولة، فظهور التنظيمات الجديدة المتطرفة هي التي جعلت تفك الحصار عنهم وتلاحق العناصر المجددة لفكرة الجماعات الاسلامية.. والحركة الاسلامية كمفهوم وكنظام سلوكي راى بعض المتعاطفين معهم ضرورة النقد الذاتي

1) من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم التي يرد فيها لفظ السلطة إلى كونها أمانة : يقول عليه الصلاة والسلام لأبي ذر الغفاري حين سأله أن يوليه شيئاً من أمور المسلمين فقال له : "إنها إمانة، وأنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها" (رواه مسلم : انظر في النووي – رياض الصالحين)، وترى : د. نيفين عبد إلخالق مصطفى، مرجع سابق، ص105.. إلى أنه إذا كانت المعارضة تعنى الغضب لحدود الله أن تنتهك وللشريعة أن تخالف فإن معارضة السلوك أو الفعل المتعدي على حد من حدود الله أو المخالف لحكم من أحكام الشريعة تعد "واجبة حيث لا طاعة لمخلوق في معصية إلخالق".

لتقويم اعوجاجهم.. وكان قديما قد وضع العلماء قواعد واصول النقد تحت اسم "علم الجرح والتعديل" وكان ذلك لتوثيق علم الحديث.

والملاحظ ان الصورة التي تمت في تصفية "الرفاق للرفاق - مثل ما حصل في العراق في الستينات وسوريا كذلك من القرن الماضي - والشطر الجنوبي من اليمن في عام 1986م" يمكن ان يكرره الاسلاميون وتصفية بعضهم لبعض.. واذا كان المصطلح المبرر لتصفية الرفقاء الشيوعيين والقوميين لبعضهم البعض اتخذ صفة الرجعي والخائن والعميل فان الاسلاميين لديهم سلاح التكفير.

وعند مجيء الرئيس السادات اتخذت جماعة الاخوان المسلمين اسلوب المهادنة مع النظام.. وقد تناول هذا الشان الشيخ عمر التلمساني -المرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين- في مجلة الدعوة[1] ما نصه : " اما اذا كان المقصود بالحركة هو التظاهر فما قرانا في كتب السيرة ان الصحابة صاحوا يوما بحياة فلان او سقوط فلان وهذا ادب اسلامي ناخذ به انفسنا مهما تقول المتقولون الذين ينسبون الينا اننا محل رضا الحكم القائم".

ثم بدات الاتصالات الشخصية بين الاخوان والسادات.. وبدا السادات اول خطوة على طريق سياسة تفريغ السجون من المعتقلين السياسيين سواء من العناصر الاسلامية او غيرها التي كانت على ذمة قضايا سياسية معارضة للنظام الناصري السابق.. واتيح لهذه العناصر ممارسة نشاطها السياسي على ساحة الواقع الجديد.. وبدا السادات يخطط لركوب الموجة الاسلامية من خلال الشعار الذي اعلنه.. "العلم والايمان" ووجد في الاخوان ضالته وبدا باللقاءات السرية والعلنية بينه وبين القادة منهم، ووجه التلمساني[2] دعوة الى السادات في احدى افتتاحيات مجلة الدعوة -التي تصدر عن جماعة الاخوان

---

1) نقلاً عن : د. رفعت سيد أحمد : النبي المسلح (2) الثائرون، مرجع سابق، ص75-76.

2) نفس المرجع : ص76.

المسلمين- بعنوان : "يا حكام المسلمين كونوا اخوانا مسلمين" وفي مقاله هذا قال : "نحن لا نتهم حاكما في نواياه فما جعل اللـه ذلك الينا، ولكننا نتناول الاعمال وحدها بالنقد او المدح". ولكن شهر العسل لم يدم فقد قام السادات باعتقالهم ضمن من شملتهم الاعتقالات في سبتمبر 1988 بتهمة تفتيت الوحدة الوطنية.

ويبدو ان اثار الاعتقالات وما ترتب عليها من اساليب التعذيب في الستينات هي السبب الرئيسي التي اظهرت العنف في السبعينات.. فاستعلاء العسكريين واجهزتهم القمعية التي كانت تلبي رغبات خارجية وخاصة في عهد السادات ادى الى رفض التوجهات الاسلامية للانقياد والطاعة للحاكم لذلك كانت الحركة الاحيائية قد اتخذت قرارا للوصول الى السلطة، وتبنت مشروعا سياسيا يتمثل بتبني نظرة شاملة للاسلام وتحدٍ كامل للفكر السياسي الوافد الى الداخل. وانتهجت سياسة العنف سبيلا لذلك.. وبدا ذلك الاتجاه بعد الثورة الايرانية التي اتسم توجهها بالنزعة العقلية المعتدلة، والتركيز على البعد الاجتماعي للاسلام.. وقدمت فكرا تجديديا تجاوز الاطار الضيق للاجتهاد الفقهي.. وطرحت مشروعها الاسلامي المتمثل بالايديولوجية الثورية والذي يقضي برفع الظلم الاجتماعي والدعوة الى اتحاد المستضعفين والمقهورين ضد طواغيت العصر[1].

1) كمال السعيد حبيب.." أمير تنظيم الجهاد الإسلامي" وثيقة الإحياء الإسلامي.. نقلاً عن : د. رفعت سيد أحمد : النبي المسلح (2) مرجع سابق، ص205.. يتساءل صاحب الوثيقة بالقول: أليس الذي يحكم قيم مجتمعنا في مصر اليوم ويوجهها هي قيم أعدائنا خاصة الأميركان.. فكل ما هو أميركي دليل على التحضر والمدنية، وكل ما ينتمي إلى الإسلام هو دليل التخلف والرجعية.. أليس كل ما ينتمي إلى عالم المادة والمتعة والراحة وقضاء وطر النفس العاجل يعبر عن أفكار بالية لا معنى لها؟ " ويضيف : " وهنا علينا كطليعة مجاهدة للأمة –رغم وجودنا خلف الأسوار- أن ننبه إلى خطر ما يتعرض له شعبنا من

واستمرارية لهذا الطرح الفكري تتحدث وثيقة فلسفة المواجهة[1]، انه اضحى من اليقين ان الجهاد هو الحل الوحيد في ظل جبر الجاهلية وعتوها.. وفي ظل حملات الابادة التي يتعرض لها المسلمون في انحاء العالم، اضحى الجهاد هو السبيل والسبيل الوحيد "حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله

عملية غسيل مخ جماعته وإعادة تشكيل كاملة لقيمه من خلال الهيمنة الأمريكية التي تستهدف صميم وجودنا كمسلمين وتتبع في ذلك ثلاث مراحل:- المرحلة الأولى : التعامل مع أدوات حمل العدوى الفكرية وهم النصارى المحليين وكذلك اليهود حيث تشعر هذه الأقليات بأنها تعبر عن قيم لا تنتمي للمنطقة وأنها استمرار لقيم العدو. "سلامة موسى" في مؤلفه اليوم والغد " يؤكد هذه الحقيقة حيث يقول : إن مصر دولة أوربية وإن علينا أن نسرع للتخلص من ذلك العار المخجل الذي يرتبط بانتمائنا العربي". المرحلة الثانية : التعامل مع الطبقات المختارة لإضعاف المفاصل المتحكمة في الجسد السياسي.. ويمثل هذه المرحلة الطبقة المختارة بشكل أساسي رجال الحكم السياسي ثم قادة الفكر والثقافة والتوجيه "كتاب مشهورون صحفيون، أساتذة جامعات، محامون، قادة نقابيون وغيره" ثم رجال المال والأعمال وأصحاب المصالح والمنتفعون والانتهازيون..إلخ. المرحلة الثالثة : هي مرحلة الصراع على المستوى الجماعي والكلي حيث أصبح الجسد الاجتماعي جثة هامدة بعد أن فقد أهم أدوات الدفاع عنه وهي طبقة العلماء والمفكرين.. هذه الجثة المهلهلة تصبح في هذه الحالة أداة سهلة للتطويع وإعادة التشكيل حيث تصبح قيم الفرد هي الأصل وهي القيمة العليا بينما قيم المجتمع الأصلية هي القيم الفرعية.

1) بقلم أبو الفداء : سنة الإصدار 1987م : ضمن الوثائق التي نشرها د. رفعت سيد أحمد في كتابه الثائرون النبي المسلح (2)، مرجع سابق،ص293.

لله"[1] ولذلك اعلنت حركة الجهاد المواجهة مع الجاهلية في كل مكان واعلنت حربها على الجاهلية[2].

الا ان التوجه الحاد والصريح هو الذي اخذ على جماعة الجهاد كونهم اتخذوا موقفا تنظيميا بما يؤمنون به وعملوا على تطبيق ذلك بالسلاح.. والفرق بينهم وبين التوجهات الاسلامية الاخرى هو ان الاخرين لم يعلنوا الجهاد مباشرة ولكنهم تحدثوا بنفس المنظور[3] ويسترشد صاحب الوثيقة بابن تيمية عندما قال : "فمن عدل عن الكتاب قوم بالحديد، ولهذا كان قوام الدين بالمصحف والسيف"[4].. ويعلق ابو الفداء على ذلك الى ان التغيير الاسلامي بمصر قد اصبح هدفا للحركة الاسلامية في العالم.. وان التحول الاسلامي يمر اليوم بمرحلة مخاض ثوري، ان مصر التي مرت بها الحركة الاسلامية

1) يضيف صاحب الوثيقة : "لقد قفزت حركة الجهاد في المرحلة الأخيرة بالحركة الإسلامية قفزة كبيرة إلى الأمام، فقطعت بذلك أشواطاً طويلة نحو الهدف ما كان لها أن تقطعها لولا ذلك الذي اتخذه تنظيم الجهاد في الثامن من ذي الحجة 1400هـ السادس من تشرين الأول / أكتوبر1981م.

2) يقول أبو الفداء: " ما أحوجنا اليوم إلى رفع السلاح لنذود به عن عرضنا وعن أمتنا وعن ديننا.. ما أحوجنا إلى بذل الدماء لنظهر به أرضنا ونزيل منها رجس الجاهلية الغربية ونجسها.. ما أحوجنا إلى رفع السلاح وبذل الدماء لنحرر عقولنا وإرادتنا مما علق بها طيلة فترات الاحتلال والعربدة فترات الاستعمار والعلمنة".

3) انظر كتاب : الدكتور : محمد البهي: الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم، مصر، دار الفكر.. وكتاب : على مائدة الفكر الإسلامي للشيخ محمد متولي الشعراوي، منشورات دار العودة، بيروت.. وكيف نفهم الإسلام لنفس المؤلف.

4) ابن تيمية : الفتاوى، ج28،ص63.

باطوارها المختلفة قد اصبحت اليوم على ابواب الثورة[1]، وينظر بعض المحللين الى ظاهرة العنف لدى بعض من هذه الحركات الاسلامية المتعددة التوجهات سياسيا ودينيا بانه يعود الى احتكاك حضاري بدا مع مجيء الحملة الفرنسية على مصر عام 1798م.

ويشير "جمال حمدان" الى ذلك الصراع انه يقوم على مراحل ثلاث، الاولى منها "مرحلة التقليد المتهافت"، والثانية جاءت في صورة رد فعل عكسي بعد عملية الانبهار الحضاري، اما الثالثة فبدات بما يمكن تسميتها بمرحلة الاتزان. "ادركنا اننا لا بد ان نستعير، ولكن استعارة هضم وتمثيل لا اغراق وذوبان واستعارة تمالك لا تهالك"[2].

وقد تكونت جماعة التكفير والهجرة عام 1969م برئاسة شكري احمد مصطفى، وقد انشقت من جماعة "الاخوان المسلمين" وتبنت الدعوة الى الله، واقامة الدولة الاسلامية عن طريق الاعتزال والهجرة ثم استخدام العنف.

---

1) يوضح صاحب الوثيقة النقاط التالية : 1- أن عام 1981م كان يعد عاماً حاسماً في إطار تصعيد حركة الجهاد.. ويمكن متابعة هذا التصعيد ابتداءً من محاولة تهريب "عبود الزمر" وزملائه من السجن الحربي وانتهاءً بوفاة محمد كاظم بقرية"سنتريس". 2- أن الواقع المصري يكاد يقطع بأن الإسلام هو الوحيد القادر على استيعاب هذا الموقف. 3- حققت الحركة الجهادية بمصر توسعاً شعبياً هائلاً يصعب على النظام بإمكانياته الحالية – الأمنية والأيديولوجية- أن يلاحقه إلى حد أن دعاة العلمانية يصرحون بأنهم مطاردون من الإرهابيين. 4- نتيجة لذلك النجاح للحركة الإسلامية.. تجاوب معها أندية هيئة التدريس بالجامعات، والنقابات بكل شرائحها، وأصبح الوجود الإسلامي بداخلها يشكل حصاراً للتوجه العلماني. 5- في ظل مناخ إرهاب الدولة تعاطف معها الكثير وزاد من تماسك أعضائها.

2) د. جمال حمدان : شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان، ج2، القاهرة، عالم الكتب، 1981م، ص442-443.

في عام 1974م اتجهت "جماعة شباب محمد" والتي ظهرت في عام 1927م واقتصر توجهها الفكري الى المسالة الدعوية عندما انضمت الى جماعة الاخوان المسلمين.. وفي منتصف السبعينات ظهرت بثوب جديد تحمل مشروعا يقوم على اساس العنف.. وعرفت اعلاميا باسم "الفنية العسكرية" وذلك بسبب قيامها بالهجوم على الكلية الفنية العسكرية، مما تسبب في مقتل احد عشر فردا، وجرح ما يقرب من سبعة وعشرين شخصا[1].

من المعلوم ان كل جماعات الرفض الاسلامي كانوا جزءا لا يتجزا من جماعة الاخوان المسلمين في الاربعينيات من القرن العشرين.. في عام 1958م برز شخص من هذه الجماعة يدعى "نبيل البرعي" وقد خرج من جماعة الاخوان من داخل السجون، وطالب بالعنف المسلح، واتخذ من افكار ابن تيمية برنامجا سياسيا للحركة.. وانضم اليه فيما بعد كل من "اسماعيل الطنطاوي، محمد عبدالعزيز الشرقاوي، ايمن الظواهري، حسن الهلاوي، وعلوي مصطفى " واختير اسماعيل الطنطاوي قائدا لهذا التنظيم [2].. ويعد

---

1) Saad Eddin Ibrahim :Islamic Militancy as Social Movement the case of two groups in Egyptin Ali Hillal Dessouki (ed.) Islamic Resurgence in the Arab world" pp.117-137.

نقلاً عن : هالة مصطفى : الإسلام السياسي في مصر، ص139.. ويشير المرجع إلى أنه تم في ذلك الهجوم خطة اقتحام على القيادة السياسية المصرية وهم في الاجتماع الذي يلقى رئيس الجمهورية أنور السادات، ويعد ذلك أول صدام مع السلطة.

2) رفعت سيد أحمد : النبي المسلح (2) الثائرون (1)، مرجع سابق، ص80: ويشير إلى أن "علوي مصطفى" انشق عن هذه المجموعة عام 1973م ومعه بعض من أعضاء التنظيم، وكونوا تنظيماً جديداً يسمى "بتنظيم الجهاد" وقرر الدخول في حرب مع اليهود على حدود القناة، وانضم إليه الملازم "عصام القمري" الذي أصبح فيما بعد من أبرز عناصر تنظيم الجهاد الذي قاد عملية اغتيال السادات عام 1981م

"صالح سرية" مؤسس تنظيم الفنية العسكرية، وقد اعدم عام 1975م بعد ان اتهم بمحاولة قلب نظام الحكم[1].

وفي الفترة ما بين 1977-1979م انشا مصطفى يسري تنظيما مسلحا في القاهرة، وتم اعتقاله وتصفية تنظيمه عام 1979م، وفي نفس العام تكون تنظيم الجهاد الاسلامي من ثلاث مجموعات : الاولى : بقيادة "محمد عبدالسلام فرج" و"عبود الزمر"..و الثانية بالوجه القبلي بقيادة ناجح ابراهيم وكرم زهده، وفؤاد الدواليبي، والمجموعة الثالثة بقيادة سالم الرحال وهو "اردني الجنسية" وبعد ترحيله الى الاردن تولى مكانه "كمال السعيد" وقد عمل هذا التنظيم على اغتيال السادات عام 1981م.

ويمكن القول : ان جماعة الاخوان المسلمين تعد ابرز واهم تنظيم سياسي ديني، يتطلع اعضاؤها لبناء تنظيم دولي، لذلك يمكن النظر الى الدائرة التاريخية وتنظيم الاخوان من خلال احتكاكهم بالسلطة السياسية، فقبل الثورة المصرية احتد الصراع بينهم وبين الحكومة الى حد جعل رئيس الحكومة "النقراشي" يتخذ قرار حل تنظيم الاخوان عام 1948م.. وكان رد فعل الاخوان هو اغتيال "رئيس الحكومة" مما اوجب على الحكومة القيام برد مماثل باغتيال "حسن البنا" في 12 فبراير 1949م.

---

1) المرجع السابق : ص80: ويضيف المرجع إلى أن عام 1975م أنشأ وكيل نيابة ذو اتجاه إسلامي يسمى "يحيى هاشم" تنظيماً إسلامياً يضم "300" عضو من الإسكندرية وعمل على محاولة اقتحام السجن الذي فيه الدكتور صالح سرية وزملاؤه، إلا أنه فشل وقتل في الاشتباك "يحيى هاشم" الذي كان يعتنق أفكار صالح سرية نفسها الداعية إلى الجهاد المسلح ضد الحاكم.. كان تنظيم سرية يقوم على خطة تتضمن الهجوم على الكلية الفنية العسكرية من أجل الحصول على الأسلحة، ثم يتم اقتحام اللجنة المركزية أثناء خطاب السادات، من ثم يتم الاستيلاء على السلطة.. وكان سبب فشل هذه الحركة اعتمادها على السلاح الأبيض فضلاً عن أن التوقيت كان غير مناسب..".

وبعد ثلاث سنوات تم اختيار "الهضيبي" مرشدا عاما للاخوان، كما تم رفع الحظر عن نشاط الجماعة وساهم الاخوان في التخطيط لثورة 23 يوليو 1952م، ولذلك بقي الاخوان يمارسون نشاطهم السياسي وخاصة عندما اعلنت القيادة السياسية وقف الانشطة الحزبية بمصر كلها.. الا ان الخطا الجسيم الذي ارتكبه الاخوان هو معاضدتهم لرئيس الجمهورية "محمد نجيب" ضد عبد الناصر رئيس الوزراء، وبانتصار عبدالناصر على الموقف المتازم مع محمد نجيب عام 1954م اسرع الاخوان لمحاولة اغتيال الرئيس عبدالناصر بعد ان اتخذ الرئيس قرارا بحل جماعة الاخوان وفشل الانقلابيون.. وتم اعتقال الانقلابيين منهم والزج بهم في السجون.

وكانت محنة السجون كفيلة بانقلاب العديد منهم على المنظومة الاخوانية.. وعند خروجهم من السجون في عهد الرئيس السادات تكونت مجاميع منهم والذين انسلخوا عن تنظيم الاخوان وسموا باسماء عديدة منها : الناجون من النار، ومنظمة الجهاد، او جماعة التكفير والهجرة، واتخذوا من العنف مبدا سياسيا ودينيا لمواجهة النظام، وكانت المذبحة التي قام بها الجماعة التي سميت "بالفنية العسكرية" وبعد ذلك تم اغتيال الرئيس المصري السادات عام 1981م.

وكانت حركة الجهاد الاسلامي قد اتخذت قرارا للوصول الى السلطة وتبنت مشروعا سياسيا يتمثل بتبني مبدا تطبيق الشريعة الاسلامية وفقا لتفسير الحركة.. ومواجهة الفكر السياسي الوافد الى الداخل.. وانتهجت سياسة العنف سبيلا لذلك. ولم تكن سياسة العنف الا وليدة افكار واراء نخبة من المفكرين الاسلاميين والعرب.. كعمل وقائي لبقاء ونماء التنظيم اولا، ثم التمكن من الوصول الى السلطة.. وكان ذلك هو مشروعهم السياسي، وسوف يناقش الفصل التالي : الفكر السياسي الغربي ومواجهته للاسلام والدور الذي لعبه الاسلاميون في مواجهتهم للفكر الغربي..

الفصل الثاني

الغـرب والعالم الاسلامي

1979 - 1992

- سقوط المعسكر الاشتراكي.
- الثورة الاسلامية الايرانية 1979م.
- حكومة الامام الخميني.
- النار تشتعل في الخليج "1980-1992م.
- الحرب الايرانية العراقية "1980-1988م".
- الحرب العراقية الكويتية "1990-1992م".
- التحالف الاستراتيجي الاوربي في مواجهة الاسلام.
- تصادم العقل الوافد مع الواقع الاسلامي.


@Ahmedyassin90

الفصل الثاني

الغرب والعالم الاسلامي

1979-1992م

اتجه الاعلام الاوربي الامريكي والصهيوني الى تشويه صورة الاسلام والمسلمين منذ مطلع القرن العشرين، وتجسدت تلك الرؤية الاعلامية في ان شعوب العالم الاسلامي غير متحضرة ودمويون وغير منطقيين، وتبلور الموقف السياسي على تكوين ثقافة الكراهية ضد العالم العربي والاسلامي ونجح الصهاينة والمتصهينون في اوربا في تقييم سلوكيات العالم العربي والاسلامي وفقا لمفاهيم مسبقة، واعدوا الخطط الاستعمارية لنهب ثرواتنا.

وللصهيونية العالمية دور كبير، بحيث جعلت نفسها بواسطة اشياعها في الغرب، ان تكون "اسرائيل" هي مصدر المعلومات عن الاقطار العربية، والبلاد الاسلامية المجاورة لها، واقتضى الحال ان تكون "اسرائيل" مصدر التحليلات والتعليقات على الاوضاع السياسية والاجتماعية لهذه الاقطار، وعلى ما يجري فيها من احداث، وعلى تطور الصراع بينها وبين اسرائيل -ربيبة الغرب- (فقد قرر مركز شيلوح لدراسات الشرق الاوسط وافريقيا - التابع لجامعة تل ابيب - اصدار مجلة سنوية بالتعاون مع دار نشر هولمز وميئير في نيويورك بعنوان "مسح شؤون الشرق الاوسط المعاصر"[1].

---

1)The Middle East Contemporary Survey, Holmes and Meier Publishers, Newark.
نقلاً عن : د. محمد توفيق حسين : الإسلام في الكتابات الغربية - مجلة عالم الفكر "دراسات إسلامية" ، وزارة الإعلام - الكويت - 1984م،ص23.

ويشير "ريتشارد نيكسون"[1] الى ان بعض المراقبين يحذرون من ان الاسلام سوف يصبح قوة "جيو بوليتيكية" متطرفة وانه مع التزايد السكاني اضافة الى الامكانيات المادية المتاحة سوف يشكل المسلمون قوة خطيرة، مما يجعل الغرب ان يتحد مع موسكو لمواجهة العالم الاسلامي.

هذه هي النظرة الاوربية بعد سقوط المعسكر الاشتراكي، واصبح المفهوم السياسي الجديد بان الغرب والاسلام متضادان، وان المسلمين يوحدون صفوفهم للقيام بثورة ضد الغرب بحكم المنظور السياسي الاسلامي الفقهي بتقسيم العالم الى قسمين "دار الاسلام" و"دار الحرب" وعلى الغرب ان يتحد مع الروس لمواجهة هذا الخطر الداهم.

هذه الرؤية السوداوية للعالم الاسلامي، ولدت رد فعل لدى بعض الاتجاهات الاسلامية،و بدات الدراسات الاوربية تعمل على ايجاد ثغرات يمكن من خلالها تقسيم العالم الاسلامي ولقوا ضالتهم في المذاهب السنية والشيعية والصوفية، لذلك يرى نيكسون[2]ان هذه الطوائف التي يبلغ طول اضلاعها عشرة الاف ميل، وتمتد من مراكش الى يوغسلافيا، ومن تركيا الى باكستان، ومن جمهوريات اسيا الوسطى في روسيا الى اندونيسيا، كما يوجد مسلمون في الصين اكثر مما هو موجود في شبه الجزيرة العربية

---

1) ريتشارد نيكسون : الفرصة الأخيرة "ترجمة : أحمد صدقي مراد"، القاهرة، دار الهلال، 1992، ص135.

2) ريتشارد نيكسون : الفرصة الأخيرة، مرجع سابق، ص136 : ويشير المرجع إلى أن المنطقة العربية بوجه خاص فيها دول عدوانية كالعراق وسوريا وليبيا، وأنها تمتلك أكبر كم من السلاح في عالم الدول المتخلفة، وأنفقت هذه الدول حوالي 8% من دخلها القومي على التسليح في حين كان إنفاق الدول الغربية أقل من 5% إضافة إلى ذلك أصبحت المنطقة مركزاً لأسلحة الدمار الشامل والصواريخ المدمرة، وتمتلك تسع دول إسلامية نامية من مجموع خمسة عشرة دولة نامية صواريخ بعيدة المدى، وخطت العراق وباكستان خطوات كبيرة نحو صنع سلاح نووي.

كلها.. وتعداد المسلمين في اندونيسيا اكبر من تعداد المسلمين في الشرق الاوسط، وتعداد المسلمين في الاتحاد السوفيتي السابق يبلغ حوالي خمسين مليون مسلم، كما ان التنافس بين دول العالم الاسلامي جعله بؤرة للصراعات، كما هو الحال في الصراع الحدودي بين دول العالم العربي، والصراع المذهبي بين السنة والشيعة، واضف الى ذلك ان معظم هذه الدول مصطنعة من عدة قوميات او اجناس مختلفة، فقد سادت المنطقة حروب اهلية كلبنان واليمن والسودان والجزائر.

وتحكم الدول الاسلامية انظمة معظمها دكتاتورية قائمة على السيطرة العسكرية بدلا من الانتخابات الحرة، وقد ادى التحرر السياسي في بعض الدول الاسلامية الى التفكك بدلا من الديمقراطية، تقودنا هذه الرؤى الى تتبع عناصر تقويم التعايش بين الغرب المسيحي والشرق الاسلامي على ضوء المعطيات التاريخية المعاصرة لنتمكن من توضيح المفاهيم على حقيقتها.

سقوط المعسكر الاشتراكي:

كانت السياسة الامريكية معنية باسقاط المعسكر الاشتراكي وبوجه خاص الاتحاد السوفييتي، ومنذ عهد الرئيس الامريكي "ترومان" 1945-1951م اتجهت الحرب بين المعسكرين على شكل حروب محلية في البلقان وفي ايران، وفي كوريا.. وبمجيء الرئيس الامريكي "ايزنهاور" الى الحكم 1952-1960م اتخذ سياسية اسلوب الردع النووي الشامل، وجاء كيندي عام 1961-1963م من بعده واتخذت ادارته سياسة سباق التسلح، ويشير "هيكل"[1] الى ان "ماكنمارا" وزير الدفاع في عهد "كيندي" وضح في محاضرة له امام اساتذة كلية الدفاع الوطني في واشنطن "14 سبتمبر 1961م" بقوله : علينا ان نرغم الاتحاد السوفيتي على تغيير اولوياته، كون

1) محمد حسنين هيكل : حرب إلخليج، أوهام القوة والنصر، القاهرة، الأهرام، ط1، 1992م، ص9.

النظام الشيوعي يعد جماهيره بمجتمع من الرفاهية ينتهي فيه الفقر، ومجتمع خال من التمايز الطبقي.

والملاحظ ان جذور النظرية الشيوعية تعود الى المراحل التاريخية السابقة لمرحلة التطور الصناعي في اوربا الغربية، وقد اعتمدت على فكرتين اساسيتين هما "المادة وحتمية التطور" فالمادية الديالكتيكية تشكل المنطلق الاساسي للشيوعية الماركسية الكلاسيكية[1].

اعتقد "كارل ماركس" المنظر للفكر الشيوعي ان نهاية النظام الراسمالي ستتم خلال الصراع بين طبقتين "البرجوازية والبروليتاريا" - القوى العاملة - وكانت الثورة الصناعية في القرن 19م في اوربا تحمل جملة من التناقضات، وهي التي اوحت لماركس بان الثورة الدموية تشكل الحل الوحيد لانهاء الانظمة الراسمالية[2].

ويبدو ان فكرة الشيوعية لم تنجح بتحقيق المظاهر الثورية، الا في البلدان المتخلفة صناعيا والتي لا تسمح بنهوض التطور الصناعي كروسيا ومن ثم الصين، في ذات الوقت لم تحقق الافكار الماركسية اي دور في الدول المتقدمة اقتصاديا.

واختلفت الصورة في مضمون الفكر الماركسي، فانجلترا كانت تعاني من اوضاع متردية بعد الحرب العالمية الاولى، وتبدلت تماما بعد ماركس.. واصبح الفقر مستشريا بشكل مروع ومثير للرهبة والفزع في روسيا والبلقان واسيا[3].

واصبحت ديكتاتورية البروليتاريا هي ديكتاتورية الطبقة الجديدة، فانتشر الفساد نتيجة تمركز السلطة في ايدي فئة سياسية حزبية معينة،

---

1) ميلوفان دجيلاس : الطبقة الجديدة، بيروت، دار الكاتب العربي، ط (بدون)، ص20.

2) نفس المرجع : ص23.

3) المرجع نفسه : ص26.

وكانت تقرر اخطر القضايا المصيرية في الدولة على مادبة عشاء في اجواء حميمة او خلال رحلة صيد او في نطاق محادثات بين رجلين او ثلاثة رجال[1]. وكان "ستالين" يعتقد بان كل تراجع عن ديكتاتوريته انما هو تراجع عقائدي، وكان لينين قد حاول صياغة طبيعة الدولة بشكل مصطنع. لذلك دعا لينين لتدمير الجهاز القديم للدولة عن طريق استخدام الثورة الدموية والقوة.

لذلك ما ان حل العهد الستاليني حتى اختفت ادارة الموظفين القدامى وحل محلهم ادارة شيوعية جديدة تعتمد على لوائح الكوادر الحزبية.

لقد قام نظام الاتحاد السوفييتي على مبدا "الحتمية" المستعار من العلوم الطبيعية بغروب القرن 19م وتجاوزته تطورات العلوم في الربع الاول من القرن العشرين، فضلا عن ان "الحتمية" لم تقم بتغيير المفاهيم الاجتماعية والسياسية والثقافية في المجتمعات البشرية وحركاتها التاريخية، ومع ذلك انصرف الماركسيون للتاكيد على النجاحات الاقتصادية للاشتراكية، فلما فشلت التجربة الاقتصادية السوفياتية في تحقيق رفاهية شعبية بسبب ضخامة الاستثمارات العسكرية، وكان لا بد ان تنهار المنظومة الاشتراكية كلها.. و يشير بعض الباحثين [2] الى ان تمسك الحزب باحتكار السلطة والعمل السياسي وفرض دوره القيادي على الجميع بقوة القانون كنظام داخلي للحزب الذي ادى الى تحويل قياداته الى طغاة وبيروقراطيين، وتميزوا بمزايا طبقية، وانفصلوا عن الشعب وارتبطت مصالحهم بالاوضاع المجمدة، ادى اخيرا الى الانهيار.

---

1) المرجع نفسه : ص117.

2) نبيل زكي : أحداث الاتحاد السوفياتي وأثرها على إلخريطة السياسية العالمية، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، تصدر عن مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، العدد (5)، شتاء 1992م،ص17.

وكان النظام السوفياتي السابق قد احاط نفسه بسياج امني قوي، وبرز الاتحاد السوفياتي كدولة عظمى تمتلك القوة النووية واصبح يمثل القطب الثاني في العالم، وبدات العلاقات بينه وبين الولايات المتحدة الامريكية، التي تمثل القطب الاخر في العالم تتميز بمسارات اربعة اطلق عليها مسميات ساسية، كالحرب الباردة والتي بدات بعد الحرب العالمية الثانية وحتى اواخر الخمسينات حيث سادت فلسفة حتمية الصراع الشامل بينهما بالادوات العسكرية دون الوصول الى اشعال الحرب العالمية الثالثة، واتبعت واشنطن سياسة تطويق الشيوعية العالمية بالاحلاف، لذلك وجد الحلف الاطلنطي يضم المعسكر الغربي واخر سمي بحلف "وارسو" يضم المعسكر الاشتراكي.. وتم ذلك بعد مؤتمر يالطا الذى جرى فيه تقسيم اوروبا الى نفوذ.. ومنذ اواخر الخمسينات حتى اواخر الستينات برز مفهوم التعايش السلمي، وتميزت بالتراجع عن حتمية الحرب العسكرية بين القطبين، والتنافس المصلحي السلمي في نطاق العالم الثالث، وكانت البداية هي قدرة الاتحاد السوفياتي على اللحاق بالولايات المتحدة الامريكية في مجال التسلح النووي العابر للقارات، وادى ذلك الى نشوء ما يسمى بتوازن الرعب النووي.. ثم برز مفهوم الوفاق الدولي منذ اواخر الستينات وحتى اواخر السبعينات من القرن الماضي اتخذت سياسة المفاوضة بدلا من المواجهة، ومارست الحوار والتنسيق وصفقات غير معلنة في القضايا الدولية المصيرية، وعلى راسها قضية التفاوض الثنائي المباشر ما بين الدولتين في موضوعات الحد من التسلح النووي، وساد التعاون التكنولوجي والاقتصادي بين المعسكرين "اوروبا الشرقية واوربا الغربية".

وفي اواخر السبعينات عادت الحرب الباردة من جديد، وفي هذه المرحلة قام السوفييت بغزو افغانستان، وبدا الصراع بين القطبين الامريكي والروسي على ارض افغانستان، وجندت الولايات المتحدة الامريكية كل

امكانياتها بما في ذلك فرضها على الدول العربية التي تسير في ركابها الدعم العسكري من خلال تجنيد متطوعين من المملكة العربية السعودية، ومصر، واليمن، والاردن لمواجهة الغزو الشيوعي بافغانستان، وتم تدريبهم على ايدي خبراء امريكيين، وبرز الى الساحة اسلوب اعلامي موجه وغريب على الفكر المعاصر والفكر الاسلامي بوجه خاص.. وتم طبع النشرات والكتيبات التي تتحدث عن معجزات لم تحدث في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وتقبلها المراهقون الصغار والعامة من الناس.. ونجحت المعارك الضارية ضد الروس بانتصار المقاومة المحلية والعربية المشاركة.. وانسحب الجيش السوفييتي من افغانستان منكسرا، وظهر فيما بعد ما سمي بعرب الافغان، ودارت الدائرة عليهم من قبل الامريكان وعملائهم من الحكام العرب واصبحوا يشكلون نموذجا عدوانيا للسياسة الامريكية الاستعمارية التوسعية.

وكان البديل للحزب الشيوعي بافغانستان تيار اسلامي عرف بجماعة "طالبان" وهم مجموعة من الشباب الذين كانوا يتلقون العلوم الاسلامية في باكستان.. ودعمتهم باكستان كثيرا لزحزحة ما تبقى من الفلول الشيوعية والجماعات الشيعية المدعومة من ايران، ونجحت طالبان في الاستيلاء على السلطة، وكانت افكارهم سلفية راديكالية، وعادوا بالبلاد الى القرون الوسطى.

اما الاتحاد السوفيتي فقد برز فيه زعيم اكاديمي هو "جوربا تشوف"عام 1985م، وكانت افكاره بمثابة زلزال عنيف عصف بدعائم وادارات نظام القطبية الثنائية الدولي، وتمثل مشروعه السياسي بالمقايضة السياسية وهي تنازل السوفييت عن وضعية القطبية الكونية ويسقط من حساباته الاستراتيجية السياسية كلا من الايديولوجية الشيوعية والتسابق على التسلح

النووي مقابل تقديم امريكا للسوفييت متطلبات التنمية الاقتصادية والتقدم التكنولوجي الفني في الصناعة والزراعة.

ويشير احد الباحثين [1] الى ان مؤتمر مالطا المنعقد في الفترة من (3الى 5 ديسمبر 1989م) اوضح الصورة الكلية للوضع السياسي المتازم للاتحاد السوفييتي، وذلك لان المؤتمر قد انعقد في ظروف دولية مختلفة، كما كان ايذانا ببدء ارهاصات نظام دولي جديد، لذلك اعلن مؤتمر مالطا نهاية الحرب الباردة، وبداية تحديد مستقبل العلاقات السوفيتية الامريكية خلال العقد الاخير من القرن العشرين، وعقد مؤتمر مالطا كما سبق في ظروف دولية مليئة بالاحداث منها ما جرى في اوربا الشرقية خلال الشهور الاخيرة من عام 1989م كاعلان الوحدة بين الالمانيتين، وانهيار النظم الحاكمة الشيوعية في بولندا، ورومانيا، وتشيكوسلوفاكيا، وبلغاريا، والمجر، كان ذلك التغيير متاثرا بفلسفة جوربا تشوف، والمتمثلة بالبيروسترويكا -اعادة البناء- واستندت الى تنازل موسكو نهائيا عن مبدا "بريجنيف" الذي كان يحكم القبضة السوفييتية على اوربا الشرقية.

1) نازلي معوض : التصالحية في العلاقات الأمريكية السوفيتية، وانقضاء القطبية الثنائية، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، العدد (5)، شتاء1992م، ص68 : ويضيف الباحث نازلي إلى أن الأمريكان أعلنوا تقليص حجم القوات الأمريكية من (320 ألف إلى 275ألف جندي) خلال نهاية عام 1990م، وكان قد سبق إعلان "البنتاجون" وزارة الدفاع الأمريكية، يوم 1989/11/16م عن تخفيض النفقات العسكرية بمقدار 180 بليون دولار ما بين عامي 1990-1995م، ولاقى ذلك ارتياحاً كبيراً من قبل دوائر النظام في موسكو. كما دعا "بوش" في مبادرته أمام قمة مالطا الاتحاد السوفيتي إلى عقد قمة تالية في واشنطن خلال يونية 1990م يتم فيها التوقيع على اتفاقية بين الدولتين العظميين بشأن تخفيض حجم الأسلحة النووية الطويلة المدى بنسبة 50% من الترسانة العسكرية النووية لكل من الجانبين، كذلك وافق بوش على إبرام اتفاقية مع الاتحاد السوفيتي لحظر إنتاج الأسلحة الكيميائية.

واهم قرار صدر عن هذا المؤتمر هو اعلان الرئيس الامريكي بوش عن عزمه على تخفيض القوات التقليدية الامريكية المرابطة في القارة الاوربية ودعوته للاتحاد السوفيتي الى تخفيض مماثل لقواته في دول شرق اوربا.

من جانب اخر وافق الرئيس الامريكي بوش على منح الاتحاد السوفييتي صفة المراقب في منظمة الجات -الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفة الجمركية- وكان ذلك مطلبا روسيا ملحا من جانب جوربا تشوف وذلك لتنشيط الاقتصاد السوفييتي بتيارات الاقتصاد الدولي وحركة التجارة العالمية.. اضف الى ذلك وافق جوربا تشوف على تشجيع هجرة اليهود الروس الى اسرائيل.. وفي اول يونيو 1990م عقد مؤتمر قمة في واشنطن، وقع فيه الرئيس الامريكي والرئيس السوفييتي على اتفاقية تقضي بتخفيض الترسانات النووية طويلة المدى في ترسانات دولتيهما بنسبة 30% تبادليا، كما ابرم الرئيسان اتفاقا اخر يقضي بتخفيض الاسلحة الكيميائية بنسبة 80% فضلا عن سلسلة اخرى من الاتفاقات التفصيلية في مجالات نزع الاسلحة المختلفة، كالحضر والرقابة، ومنع النشر والتفتيش التبادلي فيما بينهما.. من جهة اخرى وقعت 35 دولة اوربية وغير اوربية من بينها دول حلف الاطلنطي الست عشرة ودول حلف وارسو الست معاهدة باريس لانهاء الحرب البارة بين المعسكرين، كما التزمت الدول الموقعة على معاهدة باريس بالنظام الديمقراطي، وبسيادة القانون، واحترام حقوق الانسان في القارة الاوربية[1].

ثم عقد مؤتمر اخر في موسكو في الفترة من (30 يوليو الى اول اغسطس 1991م) وكان قد سبق ذلك المؤتمر احداث هامة، ففي الاسبوع الاول من يناير 1991م اعلن عن حل الكوميكون -مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة بين دول اوربا الشرقية والاتحاد السوفيتي - وفي الاول من يوليو

1) نفس المرجع السابق،ص71-72.

1991م اعلنت براغ عن بروتوكول الغاء الهيكل السياسي لحلف وارسو، وهكذا تم تصفية الهيكل العسكري للحلف الذي انشا عام 1955م لمواجهة حلف الاطلنطي داخل القارة الاوربية.

وحققت موسكو في المؤتمر المذكور سابقا جملة من المصالح الاقتصادية منها منح موسكو حق الدولة بالرعاية في التجارة مع الولايات المتحدة الامريكية مما يعني الغاء كافة القيود والعقبات المفروضة على التبادل التجاري بين واشنطن وموسكو. كذلك التدرج في منح موسكو العضوية الكاملة بصندوق النقد الدولي والبنك الدولي للانشاء والتعمير، وبحيث يصبح الاتحاد السوفييتي عضوا بالانتساب حتى يتم بحث منحه العضوية لاحقا.

واهم قرار تم التباحث بشانه هو التوقيع على ابرام واشنطن وموسكو معاهدة تخفيض الاسلحة الاستراتيجية المعروفة باسم ستارت.

وفي يوم 19 اغسطس 1991م حدث انقلاب سياسي وعسكري ضد جوربا تشوف، وفشل الانقلابيون الشيوعيون الراديكاليون الذين ارادوا اعادة الامور الى ما كانت عليه سابقا، وعاد الزعيم الاصلاحي الى السلطة رغم اخفاقه في تحقيق نشاط اقتصادي فاعل من خلال المساعدات المالية التي وعد بها من قبل الولايات المتحدة الامريكية مقابل التنازلات الجسيمة التي وافق عليها السوفييت والمتمثلة في التراجع العقائدي عن الايديولوجية الاشتراكية، وكذا في مجال الحد من الاسلحة النووية.

وانفصلت الجمهوريات الثلاث (استونيا - لاتفيا - ليتوانيا) عن منظومة الاتحاد السوفييتي ثم اعلنت معظم الجمهوريات السوفييتية السلافية منها والاسيوية استقلالها عن موسكو في صورة دول مستقلة جديدة ذات سيادة (جورجيا - مولدافيا - ارمينيا - الجمهوريات السوفييتية الخمس الاسيوية - اوكرانيا) وذلك في اعقاب فشل الانقلاب.

هذه الاوضاع السياسية الجديدة تفرض على المتابع لها سؤالا يبحث عن الدور الذي لعبه الاسلاميون في ظل الحياة السياسية في عهد جوربا تشوف، والزعيم "يلتسن" فكيف ادارت بعض الشخصيات الاسلامية توجهاتها السياسية الجديدة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي؟

ففي طاجكستان سجل حزب النهضة الاسلامي نفسه في موسكو لان سلطات اوزبكستان وطاجسكتان رفضت تسجيله لديها، واصبح تعداد اعضائه حوالي مائة الف عضو، وكان من اهدافه توحيد كل المسلمين السوفييت بغض النظر عن قومياتهم، ويطالب بوقف انشطة الحزب الشيوعي، والعودة الى الابجدية العربية، وجعل يوم الجمعة يوم عطلة رسمية، وذبح المواشي على الطريقة الاسلامية، ويسمح للجنود المسلمين بممارسة الصلاة في ثكناتهم العسكرية[1].

كما برز حزب الى الساحة السياسية هو "حزب تركستان الاسلامي" وقد انشئ في اقليم اوزبكستان، ومؤسسه مجزوم جابات، ومن اهدافه توحيد اسيا الوسطى في شكل اتحاد فيدرالي، او كونفيدرالي، ويعلق الحزب امالا على القوميات الاسلامية في الساحة كالتتار والبشكير والاذربيجانيين.. من جانب اخر عارض الحزب استقلال الجمهوريات حتى لا يؤدي الى تفتيت الامة التركية[2].

بالإضافة إلى حزب الاش الكازاخي، ومقره كازاخستان، وتقوم دعوته على تضامن اسلامي وعلى الحريات الديمقراطية والتعاون مع الشيوعيين، برزت ايضا جماعة الاسلام، والتي يتركز نشاطها في داغستان بزعامة

---

1) إيمان يحيى : مستقبل الجمهوريات الإسلامية السوفييتية (احتمالات المستقبل وإرادات الواقع)، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، العدد (5)، شتاء 1992م، ص147-148.

2) أكبر رشيدوف : الأتراك يستيقظون فهل سيرتجف العالم ؟ "مجلة مجيابوليس أكسبريس.. نقلاً عنها : المرجع السابق،ص148.

"حسب اللـه حسب اللاتوف" ومن اهدافها : اسلمة الجمهورية، ولبس الحجاب، وفصل الاولاد عن البنات في التعليم.. ويوجد داخل الدولة صراع بين الاسلام الرسمي الذي يؤمن بالعلمانية، وبين التوجهات الجديدة من الاصوليين، والذين استطاعوا الاطاحة بمفتي الادارة الدينية لمسلمي اسيا الوسطى وكازاخستان.

ومن الملاحظ ان الاحزاب الشيوعية في البلدان الاسلامية السوفييتية قد غيرت توجهاتها بعد انقلاب اغسطس الى الوجهة القومية، وابرز تلك الاتجاهات القومية هي الجبهة الشعبية في اذر بيجان وترفع شعارات ثلاثة هي : الاستقلال لاذربيجان، لا للشيوعية، والدفاع عن ناجورنوكاراباخ"[1].

وهناك العديد من الاحزاب القومية الاخرى التي تحمل توجها قوميا، منها ديمقراطي، كما هو الحال في طاجكستان والمتحالف مع الاصوليين الاسلاميين، ففي الشيشان يتزعم مؤتمر عموم شعب الشيشان الذي كان يقوده الجنرال جوهر دودايف، ودعا المؤتمر للاستقلال عن روسيا.

لكن السؤال الملح كيف اندمجت هذه القوميات المتعددة ذات الايديولوجية الاسلامية في المحور المسيحي الروسي؟

نلاحظ ان التاريخ يحدثنا ان ذلك يعود الى فترة الستينات من القرن 19م، ذلك ان وقوف اوربا امام التوسع القيصري الروسي في املاك الدولة العثمانية ابان حرب القرم 1853-1856م دفع روسيا القيصرية الى الاتجاه شرقا نحو التوسع في اسيا الوسطى والقوقاز تعويضا عن هزائمها في اوربا.. لقد انتهزت روسيا تفكك الاوضاع الداخلية في اسيا الوسطى فاستولت على "خوقند" عام 1865م، وعلى بخارى عام 1868م، وعلى "خيفا" عام 1873م.. وتم ذلك باتفاق

1) فلاديمير أورلوف : هذه الكلمة الحلوة - الحرية، أنباء موسكو - بالروسية، العدد [37] 1991/9/15م، نقلاً عن مجلة مستقبل العالم الإسلامي لكتاب "أكبر رشيدوف" المرجع السابق، ص148.

روسي - بريطاني عام 1869م على ان تكون الاراضي الواقعة غرب نهر جيحون منطقة نفوذ روسي والاراضي الواقعة شرق "افغانستان" منطقة نفوذ بريطاني[1].

ونتيجة للسياسة القمعية التي قام بها الحزب الشيوعي الروسي ضد القوميات الاسلامية المتعددة طوال فترة حكم الاتحاد السوفيتي فجرت هذه القوميات في بلدانها، كرد فعل ابتداءً من عام 1972م عندما صرح احد العلماء السوفييت بقوله : "ليس هناك مكان في الاتحاد السوفييتي يتعاظم فيه النفوذ الديني، كما هو الحال في اسيا الوسطى.. فالنفوذ الاسلامي في تلك المنطقة قوي للغاية"[2].

في هذا الاطار نلاحظ ان السياسة الجديدة لروسيا تبدلت في مواقفها تجاه القضايا العربية وخاصة قضية فلسطين.

وزاد من قوة تلك القوميات الاسلامية بعد فشل الانقلاب المضاد للرئيس جوربا تشوف في اغسطس 1991م، وحدوث التحول الجذري لشكل الدولة السوفييتية، قوامه انهيار السلطة المركزية للدول السوفييتية، ونقل السلطات الى الجمهوريات، واعقب ذلك توقيع معاهدة الاتحاد الجديد في الخامس من

1) محمد السيد سليم : مستقبل الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، مرجع سابق،ص167، ويضيف المرجع، أن روسيا استمرت بالتوسع من عام 1877م في آسيا الوسطى وكثفت من ذلك التوسع بعد مؤتمر برلين عام 1878م الذي كان بمثابة ضربة كبرى للأهداف التوسعية الروسية في أملاك الدولة العثمانية في البلقان.. واصطدمت المناطق المنظمة إلى روسيا بالقوى الروسية الأرثوذكسية قد أيقظ لديها الإحساس بالانتماء إلى الإسلام باعتباره قاسماً مشتركاً بينها.

2) The ottaw Journal (canada), I , December 1972.

نقلاً عن : محمد السيد سليم : مستقبل الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص177.

سبتمبر 1991م والتـي بموجبهـا تحـول الاتحـاد السـوفييتي الى دول مسـتقلة ذات سـيادة يربطهـا ربـاط كونفيـدرالي، وفي هـذا الاطـار اعلنـت جمهوريـة اذربيجـان، واوزبكسـتان، وقيرغيزيـا الاسـتقلال عـن الاتحـاد السـوفييتي - بعـد ان اسـتقلت دول بحـر البلطيـق - وطالبت هذه الدول الاسلامية الانضمام الى المؤتمر الاسلامي بصفة مراقب.

وعندما بدات روسيا الجديدة اعادة بنائها، كان ذلك في ظـروف مفعمـة بالاحباطـات نتيجة الخلل السياسي الذي ورثته من عهد الحكم الحديدي السابق، ونتيجة افراط القـادة السياسيين الروس الذين انطلقوا من مقدمات خاطئة ادت الى نتـائج خاطئـة، بعبـارة اكـثر وضوحا نتيجة تقديم تنازلات متتابعة من جانب واحد للغرب جريـا وراء اقناعـه بـالتغيير، كما ادت عملية اعادة البناء على الصعيد الداخلي الى استفحال الازمة التي كانت موجـودة داخل البنية السوفييتية واشاعة الفوضى في المجتمـع والاقتصـاد، وكانـت في الواقـع عمليـة هدم دون استعداد كاف للبنـاء الجديـد. وانعكـس ذلـك عـلى السياسـة الخارجيـة للـدول الروسية وادى ذلك الى دخول روسيا في شراكة مع الولايات المتحـدة الامريكيـة مـن موقـع ضعف وتبعية[1].

خلاصة القول، لقد كان النظام في المعسـكر الاشـتراكي يقـوم عـلى مبـدا المفاصـلة بـين الامال التي كانت ضمن الاهداف الاستراتيجية والمتمثلة برفاهية الشعب وبين السباق على التسلح لمواجهة اوربا الغربية والولايات المتحدة الامريكية.. ونتيجـة ان الهـدف الاول كـان هدف ترغيب معلق على امال مستقبلية فقد تحول الى شعار سياسي واصبح السـباق عـلى التسلح هو الهدف المنشود والـرئيس، وهـو الفـخ الـذي وضـعته امريكـا للايقـاع بالاتحـاد

1) وحيد عبدالمجيد : تأثير تفكك الاتحاد السوفيتي في العالم العـربي والإسـلامي، مجلـة مسـتقبل العـالم الإسلامي، مرجع سابق،ص214.

السوفيتي والذي استنزف كل امكانياتها.. وبالتالي بدا العد التنازلي السريع لسقوط الاتحاد السوفيتي، بفضل الشخوص السياسية التي قدر لها ان تحكم موسكو، وكان معظمهم من اوساط الطبقة البروليتارية.. ولم يكونوا من النخبة المثقفة، والتي همش دورها السياسي.. هذا من جهة.. ومن جهة اخرى المبدا الايديولوجي الشيوعي الالحادي ادى ذلك الى مواجهته سرا وعلانية من الداخل والخارج.. ونجحت القوى المعارضة للفكر الشيوعي الالحادي في الخارج في هزيمته فكريا وسياسيا، فانتهت الشيوعية في الصومال وفي اثيوبيا وفي اليمن الجنوبي -سابقا- ويعد ذلك هزيمة لكل الانظمة التي فرضت عن طريق المعسكر الاشتراكي في القرن الافريقي وفي افغانستان، وانهزمت ايضا الاحزاب الشيوعية المنضوية تحته سرا في البلدان العربية الاخرى، ويعد ذلك انتصارا للمعسكر الغربي الذي عمل جاهدا لمؤازرة القوى المعارضة للانظمة الشيوعية.

الثورة الاسلامية الايرانية عام 1979م:

في القرن 16م ولد الفكر الشيعي كمذهب رسمي في ايران على يد الشاه اسماعيل الصفوي، وبدا اول احتكاك عسكري بين الدولة الوليدة، والدولة العثمانية ودارت معركة في سهل "جالد يران" عام 1514م وعلى الرغم من هزيمة الايرانيين الا ان المذهب انتشر في معظم الاراضي الايرانية وامتد الى جنوب العراق، واصبح للمذهب في ايران مرجعية دينية في النجف، وعلى الرغم من الاحتكاك المذهبي الا ان الاتجاه الوهابي الذي ولد مع محمد بن عبد الوهاب (1702-1792م) كان اشد كراهية للشيعة والمذاهب السنية الاخرى، واتجه ابن عبد الوهاب الى محاربة الشيعة الاثني عشرية في العراق، ومحاربة الشيعة الزيدية في اليمن حتى مجيء محمد علي باشا -والي مصر - (1805-1849م) ونجح في كبح جماح الوهابيين ما بين (1811-

1818م)، واستمر الصراع بين الشيعة في ايران والدولة العثمانية حتى مطلع القرن العشرين، والفكر الشيعي ايديولوجيا تقمص عقدة كربلاء. الاستغراق في فكرة الاستشهاد باعتباره قد يباركه الله ويجزي صاحبه اكبر الثواب اقتداء بالمثل الذي ضربه الحسين.

يشير هيكل[1] الى انه "لا بد من الاعتراف بان المذهب الشيعي في ايران يتسم بنوع من الحزن الماساوي، فالتوتر والحزن هما السمتان الواضحتان في احتفالات المحرم الخاصة باحياء ذكرى استشهاد الحسين".

ومنذ عهد الشاة اسماعيل اعيد تنظيم الحياة الدينية في ايران، وتركزت مدارس العلم الشيعية في مسجدين، واحد خارج البلاد مسجد علي بالنجف، واخر مسجد فاطمة المعصومة بمدينة قم. وهناك ست مراتب للمنخرطين في سلك الدراسة في هذه المساجد، الاولى هي مرحلة "طالب العلم" وعند تخرجه يصبح "مجتهدا"، والثانية الاجتهاد الذاتي ليكوِّن رايا، والثالثة هي "مبلّغ الرسالة"، والرابعة "حجة الاسلام، والخامسة "اية الله"، والسادسة والاخيرة هي "اية الله العظمى" والذي يعد مرجعا دينيا.. وطبقا لدستور 1906م يمنح اية الله العظمى حصانة سياسية، وعندما كان "الخميني" مجرد اية الله كان من الممكن للشاه ان يامر بالقبض عليه لكنه عندما اصبح "اية الله العظمى" اصبح من غير الممكن القبض عليه لذلك تم نفيه.

والمدرسة الاساسية للشيعة هي "الحوزة" وهي حلقة المريدين الذين يتجمعون حول المعلم يتلقون علومه، واذا وصل احد الدارسين الى مرتبة "حجة الاسلام" يمكنه ان يؤسس الحوزة الخاصة، واذا زاد عدد المتلقين للعلوم حوله قد يصل الى مرتبة "اية الله"، والذين هم في هذه المرتبة يمكنهم ترشيح

---

1) محمد حسنين هيكل : مدافع آية الله، قصة إيران والثورة، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1982م، ص111.

احدهم لمرتبة اية اللـه العظمى، ويقدم بذلك بحثا دينيا، وكانت رسالة "الخميني" بعنوان "تحرير الوسيلة".

في منتصف القرن 19م كانت روسيا وبريطانيا تتصارعان على دولـة ايـران وخاصـة في فترة الشاه نصر الدين، والذي يمثل في سوء تصرفه في الشؤون المالية "الخـديوي اسـماعيل" في مصر، وشاه ايران منح بريطانيا امتيـازات انشـاء السـكك الحديديـة، والـترام، والمنـاجم، والترع، والطرق، والاشغال العامة، والمطاحن، والمصانع، ومكاتب الـبرق، والبنـوك، والالتـزام بالجمارك لمدة خمس وعشرين عاما، كل ذلك مقابل مبلغ سـنوي قـدره عشرة الاف جنيـه استرليني"[1].

الا ان الاحتجاجات الروسية والشعبية ادت الى تراجع الشاه عن الامتيازات بعد ثمانية عشر عامـا، وفي 8 مـارس 1890م منحـت حكومـة الشـاه امتيـازا الى رجـل انجليـزي هـو "ج.هـ.ف.تالبوت" يسمح له بانتاج وبيع وتصدير التبغ الايراني لمـدة خمسـين عامـا مقابـل خمسة عشر الف جنيه استرليني تدفع سـنويا الى الشـاه، وفي هـذه المرحلـة اصـدر الحـاج "ميرزا شيرازي" زعيم المجتهدين فتوى اعلن فيهـا اسـتعمال المـؤمن للـدخان يعتـبر رذيلـة، واطاع الشعب الايراني هذه الفتوى واعتبر الانجليز ذلك ثـورة، وادى ذلـك الى طـرد جـمال الدين الافغاني (1839-1897م) من ايران عام 1891م،وقام احد اتباعه باغتيـال الشـاه نصر الدين في اول مايو عام 1896م بعد حكم دام تسعة واربعـين عامـا، وخلفـه الشـاه مظفـر الدين، وكان شخصية ضعيفة في ادارة الدولة.

في خضم هذه الفترة لحق بـايران هـزات سياسـية عنيفـة ومنهـا مطالبـة الشعب عام 1905م شاه ايران على موافقته على الدستور، وتم عقـد مجلـس البرلمان واقـرار الدسـتور عـام 1906م، وكانـت روسـيا القيصريـة تؤيـد الشـاه

---

1) المرجع نفسه : ص45.

برفضه للدستور الذي انقض عليه والغى الدستور، وحظي الدستوريون من قبل بريطانيا بتعاطف شديد.. وفي اغسطس 1907م جرت مفاوضات سرية بين روسيا وبريطانيا، تم بموجبها الاتفاق على تقسيم ايران الى ثلاث مقاطعات وهي: منطقة نفوذ روسي في الشمال، ومنطقة نفوذ بريطاني في الجنوب، ومنطقة محايدة تشمل طهران في الوسط.. وعندما اعلن الجيولوجيون ان منطقة الشمال الايراني مليئة بالبترول عمل البريطانيون على التنقيب في الجنوب، وتم استخراج البترول لاول مرة عام 1908م عند مسجد سليمان.

واثناء الحرب العالمية الاولى اصبحت ايران مسرحا للاحداث، فقد احتلت الجيوش البريطانية والروسية بعض المناطق منها، وذلك لوقف تقدم الالمان والاتراك[1]، وعندما اندلعت الثورة البلشفية الروسية عام 1917م انسحب الجيش الروسي من شمال ايران.

وبعد الحرب العالمية الاولى وصلت ايران الى حالة من الفوضى الشاملة، وقام "رضا ميرزاخان" وهو احد الضباط العسكريين الاقوياء، بالاستيلاء على فرقته العسكرية اولا، ثم استولى على العاصمة طهران، واخيرا على كل ايران، وبالتالي قام بخلع الشاه والذي كان من اسرة القاجار الحاكمة، واعلن ايران جمهورية الا ان النظام الجمهوري كان غريبا على رجال الدين الايات، لذلك اعلن نفسه شاها على ايران عام 1925م، وكان الشاه رضا من اصل ريفي واميا تماما.. في الوقت ذاته اتخذ لنفسه لقب "بهلوي" للاسرة، وكان يميل الى جمع المال.. وعندما تنازل عن العرش عام 1941م قدرت ممتلكاته بالفي قرية يعمل فيها ربع مليون فلاح.. وتزوج الامير محمد رضا بهلوي من اخت الملك فارق "الاميرة فوزية" عام 1938م، وطلقت منه عام 1948م بعد وفاة والده رضا بهلوي في منفاه.

---

1) المرجع نفسه : ص45.

واثناء الحرب العالمية الثانية عمل الامريكيون بجهود مضنية لتدعيم وضع ايران الاقتصادي ومع نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945م، اعلن وزير خارجية امريكا "دين اتشيسون" ان امريكا في وضع افضل من روسيا وبريطانيا من اجل تولي زمام التوجيه فيما يختص بايران لتكون لامريكا مصالح ذاتية فيها[1].

ودخلت امريكا في منافسه مع بريطانيا وروسيا.. وكان لروسيا طابور خامس داخل ايران تمثل بحزب "توده" الشيوعي، وبحلول مايو 1946م كانت القوات البريطانية والروسية قد انسحبت بناء على طلب ايراني، وابتداء من عام 1949م كان الامريكيون يقيمون لانفسهم مواقع قوة في كل مناحي الحياة الايرانية.

في عام 1950م اردي رئيس الوزراء الايراني "رازمارا" قتيلا على يد انصار "اية الله كاشاني" بسبب ولائه الشديد للامريكان، وعين من بعده شخصية وطنية الدكتور "مصدق" في 19 ابريل 1951م، وشكل مصدق حكومة وطنية، واعلن قانون تاميم البترول في 30 ابريل من العام نفسه، وايده بذلك رجال الدين، وفي 31 يوليو توقف تكرير البترول كلية.. واعلنت بريطانيا رفع دعوى قضائية على الحكومة الايرانية بشان تاميم امتيازاتها باغلب حقول النفط الايراني في المحكمة الدولية.

وفي الثاني والعشرين من اغسطس عام 1952م كان انقلاب مصدق على وشك النجاح لولا الانقلاب المضاد الذي اعاد الشاه الى قصره، واعتقل مؤيدو" مصدق" وسلم مصدق نفسه للسلطات العسكرية، وقضى نحبه في السجن نتيجة اصابته بالروماتيزم الحاد نتج عنه شلل كامل.

---

1) محمد حسنين هيكل : مدافع آية الله، مرجع سابق، ص55.

وكان للامريكان دور كبير بانجاح هذا الانقلاب المضاد، واصبحت السلطة الحقيقية في طهران مركزة في يد السفارة الامريكية، ولتثبيت اقدام الدولة الايرانية وخزانتها المالية الفارغة، قامت الولايات المتحدة الامريكية بمنحها قرضا قدره خمسة واربعون مليون دولار.. وتقدمت شركات البترول بتقديم قروض سخية للدولة الايرانية مقابل الارباح التي ستحصل عليها فيما بعد.

ومن الملاحظ ان ايران ارتبطت بعلاقة حميمة مع اسرائيل منذ عام 1953م، وقد انضم ضباط اسرائيليون من الموساد الى قائمة الخبراء الذين يعملون على تنظيم جهاز المخابرات الايرانية -السافاك- في الوقت ذاته انتشر الفساد المالي والاداري داخل حاشية الشاه، كما اسهمت القيم الاوروبية والامريكية، والصهيونية بانحلال الشعب الايراني المسلم.. لهذا كله كانت مسالة التغيير ضرورة دينية وسياسية وبدا التجمع العلمي والذي يعرف بالحوزة العلمية في مدينة "قم" العمل على مناهضة الفساد الذي يرعاه الشاه، ومن هنا ولد المشروع الاسلامي السياسي على يد "روح الله الخميني" نسبة الى مدينة "خمين" والذي كان يقوم بتدريس الفقه والمنطق.. وجمع الخميني بين تدريس الدين والعمل السياسي، وبعث برسائل لجميع رؤساء دول العالم الاسلامي والعربي يطلب منهم مساعدات للعمل الثوري.. وعندما ارسل الزعيم "جمال عبدالناصر" مبلغ "150" الف دولار عن طريق جهاز مخابراته الا انه تم القبض على العميل اللبناني في مطار طهران، وترتب على ذلك اعلان الرئيس جمال عبدالناصر بالمبلغ بانه كان خاص لسد حاجات الارامل والايتام، الذين ترملوا وتيتموا من جراء حكم الشاة وحكم ابيه.. وبالتالي كان "الخميني" اول زعيم ديني شيعي يعلن استنكاره للتقية.

ومن الملاحظ انه في عام 1962م اعلن الشاه "الثورة البيضاء" وتمثلت ثورته بالاصلاح الزراعي وتحرير المراة، وتعديل قانون الانتخابات، وعارض "الخميني" هذه القوانين فبرزت سمعته كمعارض وخاصة بشان تحرير المراة.

ورفع الخميني مطالبه للشاه وتمثلت بالاتي : 1- ان لا يضحي الشاه بمعتقدات الشعب واستقلال الامة في سبيل تامين مصالح امريكا والصهيونية. 2- ان يحترم الشاه الحريات الاسلامية، والا يفرض حكمه بالرصاص. 3- ان يقوم الشاه بمكافحة الفقر والجهل[1]. فبعث اليه الشاه احد رجال السافاك بصحبة احد رجال الدين يطلب من الخميني الكف عن مهاجمته، ومهاجمة اسرائيل وامريكا.. ورد عليه "الخميني" في موعظة القاها في مسجد "فاطمة المعصومة" يتساءل ماذا يريد الشاه، ولماذا لا يسمح له بمهاجمة اسرائيل، ويتساءل هل للشاه والد اسرائيلي او ام اسرائيلية؟[2]. واضاف في ختام موعظته متوجها للشاه مرة اخرى "لم اعدً قلبي لتقبل انذارك، وانما اعددته لتلقي رماحك".

وفي الخامس من يونيو 1963م توجه الخميني "لمجلس الاربعين" الذين قتلوا اثناء الهجوم على المدرسة الفيضية والقى خطابا عنيفا موجها الى الشاه مباشرة يقول فيه " اسمع الى نصحي استمع الى اولئك الذين تهمهم مصالح الشعب بشكل حقيقي.. استمع ايها البائس العليل، لقد عشت حتى الان خمسا واربعين عاما في هذه الدنيا، فلتتوقف هنيهة ولتتامل ماذا قدمت لبلدك، وليكن مصير ابيك درسا تتلقنه، تتهمنا بالرجعية، انما انت الرجعي الاسود"[3].

---

1) هيكل : المرجع السابق،ص117.

2) هيكل : المرجع السابق : ص117.

3) نفس المرجع، ص121.

في هذه الفترة العصيبة اقر اية الله الاخر، واية الله شريعة مداري، باجازة رسالة "الخميني" تحرير الوسيلة، وبالتالي اصبح لقبه "اية الله العظمى".. واصبح امر اعتقاله امرا غير مالوف قانونيا، وكان على السلطة الحاكمة اتخاذ قرار نفيه الى خارج ايران، واقلته سيارة الى الحدود التركية وترك وحده في منطقة مهجورة الا انه نجح بالوصول الى مدينة "النجف" عبر الحدود التركية ثم لحقت به زوجته واسرته في نهاية الامر.. من جهة اخرى كان الشاه قد وصل الى مرحلة التشبع في المال والقوة، واصيب بجنون العظمة واصبح يميل الى المبالغة في كل شيء.. ففي عام 1972م احتفل الشاه بمرور الفين وخمسمائة عام على قيام الحكم الملكي، واتسم الاحتفال بالعظمة وحضره معظم زعماء اوربا واسيا وافريقيا، وكلف الاحتفال خزينة الدولة حوالي مائة وعشرين مليون دولار[1].

وفي بغداد نشط الخميني كثيرا نتيجة سوء العلاقات بين بغداد وطهران.. وفي عام 1977م تمت تسوية النزاع بين العراق وايران، واصبح امر الخميني مقلقا للشاه، مما اضطر العراق الى طرد الخميني منها.. في الوقت ذاته كان مصطفى ابن اية الله الخميني قد سقط قتيلا في كمين اعده له رجال المخابرات الايرانية -السافاك- في العاصمة طهران.

وفي السادس من اكتوبر عام 1977م وصل "الخميني" الى فرنسا، ومن باريس بدا يعمل على التحريض والثورة ضد الشاه، ونجح الخميني باسلوبه الاعلامي المتميز ان يثير قطاعات الجيش ضد الشاه، وفي اول يناير 1978م قامت كتيبة كاملة مضادة للطائرات مكونة من خمسمائة جندي في منطقة "المشهد" بالفرار من الخدمة العسكرية باسلحتها، وانتشر الاضطراب في كل ايران.. واعلن "الخميني" للشعب الايراني بعدم الاصطدام بالجيش

---

1) المرجع نفسه : ص126.

فالجيش جزء من الشعب ويحملون نفس المشاعر مثل بقية الشعب.. ووزع منشورا باسم الخميني يقول فيه : (على الشعب ان يعرف ان الشهيد هو جوهر التاريخ، وعلى المتظاهرين تعرية صدورهم للجيش لان الشاه سوف يستخدم الجيش ضدهم.. وفي الاخير سوف يجد الجيش نفسه بحاجة الى ان يحرر نفسه من نظام الشاه).

وصرح الرئيس الامريكي "جيمي كارتر" بان الولايات المتحدة الامريكية تامل في ان يتم تشكيل وزارة تحالف، واضاف ان وجود دولة ايران قوية ومستقلة يعد عاملا للاستقرار في المنطقة[1].

وعين الشاه "شاهبور باختيار" رئيسا للوزراء في 29 ديسمبر 1978م، وكان عضوا في الجبهة القومية، وفي الثالث من يناير 1979م وصل الى طهران نائب قائد القوات الجوية الامريكية في اوروبا "روبرت هويزر" وكان يرغب ان يرحل الشاه ويؤيد الجيش "بختيار" رئيس الوزراء.. واعلن الخميني ان بختيار العوبة في يد الجنرالات، واذا تدخل الجيش سيكون تحت قيادة امريكية، وبالتالي يكون الشعب في حالة حرب مع امريكا.. من جهة اخرى قامت الجبهة القومية بالغاء عضوية بختيار، وبدا الشاه يشعر ان الامريكيين قد غدروا به من خلال "هويزر" الذي بدا يعد انقلابا ضد الشاه لقطع الطريق على الثوار والخميني، واضطر الشاه مغادرة البلاد، وقدرت ممتلكاته "بليون دولار" وقدر ثمن الجواهر المؤمن عليها بحوالي "خمسمائة بليون دولار".. ودعا الخميني الجيش الى تحطيم سلاحه الامريكي، ودعا الشعب باستمرار المظاهرات ضد نظام بختيار، وعندما اقترح الرئيس الامريكي "كارتر" بتعاون الخميني مع بختيار قال الخميني : هذا ليس من شان كارتر[2].

---

1) الأزمة الإيرانية وانعكاساتها الدولية (إعداد مركز الدراسات للأهرام) مجلة "السياسة الدولية (عدد55)، يناير 1979م،ص30.

2) هيكل مرجع سابق، ص228.

وعندما طار الشاه الى الرباط لم يقابل بالترحاب كما حصل له باسوان - بمصر- بل تظاهر الطلاب المغاربة ضده، كما رفضت الولايات المتحدة الامريكية استقباله.

واستقل الخميني طائرة فرنسية في الاول من شهر فبراير، وتوجه الى طهران، وحينما سمعت حكومة ايران عن قدوم الخميني اعلنت انها غير مسئولة عن امنه نتيجة هيجان الشعب في كل مناطق البلاد، وسرعان ما كون انصار الخميني لجنة امنية محلية استولت على زمام الامور وقامت بدور الحماية له.

ووصل الخميني قائد الثورة -كان يناهز الثمانين من العمر- وهيئت له طائرة هيلوكبتر وطاقم لقيادتها، وطار الخميني فوق رؤوس مؤيديه الذين كانوا يهتفون له بحماسة الى ان وصل الى مقبرة الشهداء في الزهراء للزيارة، ثم توجه الى المدرسة الحسينية حيث تقررت اقامته هناك.

وتجاهل الخميني رئيس الحكومة بختيار، وعين بازرجان، رئيسا للوزراء في الوقت ذاته انضمت وحدات من الجيش الى المتظاهرين في الشوارع واختفى من الساحة نائب رئيس اركان الجيش الامريكي "هوبزر" والذي كان حتى تلك اللحظة في طهران.

واعلن بختيار حظر التجول فامر الخميني تحدي الخطر، واصبح الجيش والحكومة كالاشباح وكان من مهام الامام الخميني هو تحطيم النظام السابق، من جيش وامن واستخبارات، وكل شيء يمت بصلة بنظام الشاه.. وعين "بني صدر" رئيسا للجمهورية، ولكنه وجد نفسه رئيسا بدون سلطة حقيقية فقد كانت كل السلطات بيد الامام الخميني، واصبحت الادارة الحكومية شبه معطلة نتيجة الاحتكاك السياسي بين من صنفوا علمانيين كبني صدر، وانصاره، والفقهاء الذين اعتبروا انفسهم اصحاب السلطة.

واحتجاجا على التدخلات الامريكية قام الطلاب باحتلال السفارة الامريكية، واعتبر الطلاب موظفي السفارة رهائن، وقامت قوات امريكية بمحاولة انقاذ الرهائن الا انها هزمت، ولم يقدر لها النجاح ثم جرت مفاوضات بين الحكومة الايرانية والولايات المتحدة الامريكية حتى تم فك الرهائن في يناير 1981م. وتسلم الفقهاء مقاليد الحكم بعد الثورة، وتجاوز دورهم السلطة الى التاثير على نسيج القيم والسلوك[1].

وبرز نظام الامامة ممثلا بالخميني المسئول عن الجانب الروحي والدنيوي، فمن الناحية الفقهية فالامامة لدى الشيعة الجعفرية تعد ركنا عقائديا وليست من الفروع كما يراها اهل السنة، وقضية الامامة لدى الشيعة مسالة اساسية وهامة "اذ ان الامامية تعتقد ان الله سبحانه وتعالى لا يخلي الارض من حجة على العباد من نبي او وصي ظاهر مشهور او غائب مستور"[2].

وبرز المشروع السياسي للامام الخميني وتمثل بمسالة ولاية الفقيه، وهي صفة طرحت لتملا الفراغ القائم في قمة الهرم الشيعي، فبعد اختفاء الزعامة والامامة، تقدم الفقهاء ليشغلوا موقع القيادة[3].

حكومة الامام الخميني :

وتمثل المشروع السياسي الاسلامي للامام الخميني بالنقاط التالية:

- ان الاسلام دين المجاهدين الذين يطلبون الحق والعدل، والحرية، والاستقلال. والذين لا يريدون ان يجعلوا للكافرين على المؤمنين سبيلا.. وقد تصور اعداء الاسلام ان الاسلام لا علاقة له بتنظيم الحياة والمجتمع، او

---

1) فهمي هويدي : إيران من الداخل، القاهرة، مؤسسة الأهرام للطباعة والنشر، ط3، 1988م،ص243.
2) محمد الحسني آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها، ص136.
3) فهمي هويدي : المرجع السابق،ص96.

تاسيس حكومة من اي نوع، بل عني فقط باحكام الحيض والنفاس، ولا يملك من امر الحياة وتنظيم المجتمع شيئا. ومن اجل ذلك يوضح الاسلام على ان ما عرفه الناس من احكام تشريعية في القران، وكتب الحديث وهما من اهم مصادر التشريع.. اما كتب الفقهاء المجتهدين فهي تفسيرية وتفصيلية فالايات المحكمة ذات العلاقة بشؤون المجتمع تزيد اضعافا مضاعفة عن الايات ذات العلاقة بالعبادات الخاصة.. ففي كتب الحديث لا تكاد تجد اكثر من ثلاثة ابواب او اربعة تعنى بتنظيم عبادات الانسان، وعلاقاته بربه، وابواب قليلة اخرى تدور في الاخلاق، وما سوى ذلك فذو علاقة بالاجتماع والاقتصاد، وحقوق الانسان، والتدبير، وسياسة المجتمعات[1].

ويتساءل الخميني في كتابه "الحكومة الاسلامية" هل يوجد في الاسلام حكم وراثي او ولاية عهد؟.. ويجيب ان النظام الملكي يناقض الحكم الاسلامي ونظامه الساسي "لقد ابطل الاسلام الملكية وولاية العهد، واعتبر في اوائل ظهوره جميع انظمة السلاطين في ايران، ومصر، واليمن، والروم غير شرعية.. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد كتب الى ملك الروم "هرقليس" وملك فارس يدعوهم الى الكف عن استعباد الناس، ويدعوهم فيها الى ارسال الناس على سجاياهم ليعبدوا الله وحده، لان له السلطان وحده"[2].

وبذل الاستعمار البريطاني كل جهوده – في اوائل ما يسمى بالعهد الدستوري- بهدف طرد النفوذ الروسي من ايران، واخراج الاسلام من ميدان التطبيق، واستيراد القوانين الغربية، واحلالها محل قوانين الاسلام.

1) روح الله إلخميني : الحكومة الإسلامية، بيروت، مكان الطبعة (بدون)،ص9.

2) نفس المرجع : ص12.

فالاسلام في مجموع قوانينه الاصلاحية للبشر فانه يحتاج الى السلطة التنفيذية، فالله عز وجل قد جعل في الارض حكومة وجهاز تنفيذ وادارة، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يتراس كل الاجهزة التنفيذية في ادارة المجتمع الاسلامي، اضافة الى مهام تبليغ الدعوة، وتفصيل الاحكام والانظمة.. وعندما شكل الرسول صلى الله عليه وسلم الحكومة تزعم ادارة المجتمع، وارسل الولاة، وقضى بين الناس فيما اختلفوا فيه، وبعث الى انحاء البلاد من يقضي بين الناس بالعدل، وارسل السفراء الى خارج حدود دولته، الى شيوخ القبائل، والى الملوك، ويعقد المعاهدات، ويقود الحرب، وكان ينفذ كل احكام الاسلام[1].

وتناول الاحكام المطلوب تطبيقها وتفعيلها داخل دولة ايران الاسلامية، من ذلك "الاحكام المالية" الضرائب المالية من اجل ضمان نفقات دولة كبرى ذات سيادة، اما "الخمس" وهو مورد ضخم يدر على بيت المال اموالا طائلة، ويؤخذ الخمس "على المذهب الجعفري" من جميع المكاسب والمنافع والارباح سواء في الزراعة او التجارة او المعادن والكنوز..الخ.

ويدفع "خمس" فائض الارباح الى الامام او الحاكم الاسلامي لوضعه في بيت المال.. ويكون هذا المال لتسيير شئون الدولة الاسلامية وسد جميع احتياجاتها المالية.

وحكم الاسلام بوجوب الاعداد والاستعداد بموجب قوله تعالى : ﴿وَاعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللـه وَعَدُوَّكُمْ﴾ (لانفال: من الاية 60)

1) نفس المرجع : ص24-25.

فاذا استعد المسلمون بمدلول هذه الاية لم يكن في ميسور اليهود الصهاينة احتلال فلسطين واحراق المسجد الاقصى من دون مقاومة تذكر، تم ذلك نتيجة تقاعس المسلمين[1].

يشير احد الباحثين[2] الى ان العرب لم ينهزموا في فلسطين لانهم كانوا عصريين، وانما خسر العرب معركتهم لانهم لم يكونوا كذلك بل كانوا ماضويين امام عصريين.. فهل العصرية في المقاومة والمواجهة تحتاج الى تكنولوجيا حديثة على غرار اسرائيل.. اعتقد ان المنظور العصري للمقاومة يحتاج الى اعداد القوة بموجب النص القراني، لكن لا يمنع ذلك اذا انعدمت القوة المادية، فهناك الامكانيات البشرية بدليل ان اطفال الحجارة استطاعوا ان يقفوا امام الهمجية الصهيونية بقوة على الرغم من ضعف الوسيلة المستخدمة، ولكنها حققت نتائج ايجابية. كما شجع هؤلاء العصريون كثيرا من الشباب الذين وجدوا انفسهم امام ضرورة الاستشهاد بوضع متفجرات بدائية وهذا بحد ذاته عمل بطولي ارهب به العدو الاسرائيلي، واخاف به دول اوربا، التي تقف دوما مع العدو الصهيوني.

وتصدر مشروع الخميني نقاط في غاية الاهمية منها ضرورة الثورة السياسية، ومن المهم تهيئة الجو المناسب لتربية وتنشئة جيل مؤمن فاضل يحطم عروش الطواغيت، ويقض مضاجعهم لان الفساد والانحراف ينمو على ايديهم، لذلك يجب ازالة الفساد ومحوه، وانزال العقوبة الصارمة بهم[3].

وتناول المشروع مسالة الوحدة الاسلامية ويشير الى ان الدولة العثمانية كانت دولة موحدة سعى المستعمرون في تفتيتها، ونجحوا في مخططاتهم تلك بنهاية الحرب العالمية الاولى، وقسمت دولة ال عثمان الى دويلات على كل

---

1) الإمام إلخميني : المرجع السابق،ص32.

2) منح الصلح : العروبة والنظام العالمي الجديد، العربي (العدد 431)، أكتوبر 1994م.

3) الإمام إلخميني : المرجع السابق، ص34.

دويلة منها عميلٌ لهم، لذلك يجب السعي الى اقامة حكومة اسلامية واسقاط عملاء الاستعمار، وايجاد وحدة اسلامية حقيقية، بالتالي يتم انقاذ المظلومين والمحرومين.

والحكومة الاسلامية ليست حكومة مطلقة يستبد فيها رئيس الدولة برايه عابثا باموال الناس ورقابهم، اذن حكومة الاسلام هي حكومة دستورية بمعنى ان القائمين بالامر يتقيدون بمجموعة الشروط والقواعد المبينة في القران والسنة، وتتمثل في وجوب احترام النظام والعمل على تطبيق احكام الشريعة الاسلامية. من ثم كانت الحكومة الاسلامية هي حكومة القانون الالهي. لذلك فقد استبدل الاسلام بالمجلس التشريعي مجلسا اخر للتخطيط يعمل على تنظيم سير الوزارات في اعمالها "وكل ما ورد في الكتاب والسنة مقبول مطاع في نظر المسلمين، وهذا الانصياع يسهل على الدولة مسئولياتها، في حين ان الحكومات الدستورية الملكية والجمهورية اذا شرعت الاكثرية فيها شيئا فان الحكومة بعد ذلك تعمل على ان تحمل الناس على الطاعة والامتثال بالقوة اذا لزم الامر"[1].

واشترط مشروع "الخميني" في الحاكم شرطين :

1- العلم بالقانون الاسلامي.   2- العدالة.

ومن المسلم به "الفقهاء حكام على الملوك" واذا كان السلاطين على جانب من التدين فما عليهم الا ان يصدروا في اعمالهم واحكامهم عن الفقهاء، وفي هذه الحالة فالحكام الحقيقيون هم الفقهاء، ويكون السلاطين مجرد عمال لهم[2].

---

1) الإمام إلخميني : مرجع سابق،ص42.

2) نفس المرجع : ص46.

"واذا نهض بامر تشكيل الحكومة فقيه عالم عادل فانه يلي من امور المجتمع ما كان يليه النبي صلى الله عليه وسلم منهم، ووجب على الناس ان يسمعوا له ويطيعوا"[1]. اذن الولاية هنا تعني حكومة الناس وادارة الدولة، وتنفيذ الاحكام الاسلامية، وولاية الفقيه امر اعتباري جعله الشرع فالحاكم القيم على شعب باسره لا تختلف مهمته عن القيم على الصغار الا من الناحية الكمية[2].

من اجل ذلك ينبغي للفقهاء ان يعملوا فرادى او مجتمعين من اجل اقامة حكومة شرعية تعمل على اقامة الحدود، وحفظ الثغور، واقرار النظام.

فالحكومة وسيلة لتحقيق اهداف سامية، فهي وسيلة لتنفيذ الاحكام واقرار النظام الاسلامي العادل، وتتجرد الحكومة عن اية قيمة اذا كانت هدفا مقصودا يطلب لذاته. ومن اجل السعي لتشكيل الحكومة الاسلامية يرى الخميني من منظار تاريخي لهذه المسالة انه في كل العالم على مر العصور كانت الافكار تتفاعل عند مجموعة من الاشخاص، ثم يكون التصميم والتخطيط، ثم البدء بالعمل، ولنشر هذه الافكار واقناع الاخرين، يقول الخميني : " يكون لهؤلاء نفوذ داخل الحكومة يغيرها على النحو الذي تريده تلك الافكار ويريده ذووها، ويكون هجوم من الخارج لاقتلاع اسسها واحلال حكومة قائمة على هذه الافكار محلها"[3].

ويضيف ان المسئولية اليوم هي اكبر من اي وقت مضى ففي الوقت الذي تتعاون فيه كل القوى الاستعمارية والعملاء من الحكام الخونة، والصهيونية، والمادية الملحدة على تحريف وتشويه الاسلام. "ان اليهود وسادتهم الاجانب يريدون بالاسلام كيدا، ويمهدون السبيل ليسود اليهود على هذا العالم كله، وبسبب

---

1) نفس المرجع : ص49.

2) نفس المرجع : ص250.

3) المرجع نفسه : ص119.

من ضعفنا قد نصبح ذات يوم لنجد حاكما يهوديا يحكم بلادنا -لاسمح اللـه- ومن جانب اخر فقد تعامل بعض المستشرقين مع المؤسسات الاستعمارية وعملوا سوية على تحريف الحقائق الاسلامية وهدمها"[1].

ويخاطب "الخميني" قراءه بقوله : " اخرجوا من عزلتكم، وكملوا برامجكم الدراسية والارشادية، واركبوا الصعاب في سبيل ذلك، وخططوا للحكومة الاسلامية، وتقدموا في خططكم، وكونوا في ذلك ستصلون الى هدفكم يقينا(...) وانا على يقين انكم قادرون على ادارة دفة الحكم عند تقويض اسس الجور والظلم والعدوان. وكل ما تحتاجون اليه من قوانين ونظم فهو موجود في اسلامنا سواء في ذلك ما يتصل بادارة الدولة والضرائب، والحقوق، والعقوبات وغيرها. لا حاجة بكم الى تشريع جديد، عليكم ان تنفذوا فقط ما شرع لكم"[2].

مما سبق نلاحظ ان المشروع السياسي لدولة ايران الجديدة، وبزعامة "الخميني" قد اسس على برنامج طويل المدى، واتخذ شعار "تصدير الثورة الاسلامية" لدول الجوار مما اوجد رد فعل استجاب له المخطط الامريكي الاستعماري في المنطقة. ومن هنا بدا العمل على ايجاد تفجير موقف سياسي وعسكري وطائفي بين العرب وايران -بين السنة والشيعة- ومن هنا تفجر الخلاف السياسي الى حرب ضروس استمرت ثماني سنوات اكلت الاخضر واليابس، واجهدت المخابرات الامريكية كل امكانياتها لدفع العراق لهذه الحرب، ودفع العرب من حولها لاسقاط المشروع الايراني الاسلامي.

ودفعت الدول العربية المال والرجال دعما للعراق، وخاصة دول الخليج العربي.

1) الإمام إلخميني : المرجع السابق،ص119.

2) المرجع نفسه : ص121.

النار تشتعل في الخليج (1980-1992م):

تشير المصادر الى ان الخليج تنتج نصف البترول الذي يستهلكه العالم، واكبر دول المنطقة في الشرق الاوسط استهلاكا للاسلحة التي تنتجها البلدان الصناعية، وعدد سكانها يقدر بالالاف ودخلها بالبلايين من الدولارات، ومن المعلوم ان الدول التي تقع على الشواطئ الجنوبية والغربية هي الكويت، والبحرين، وقطر، ودولة الامارات العربية المتحدة، ومسقط.. ودول لها حجم سكاني لها منافذ على مياه الخليج وهي السعودية، والعراق، وايران، فاصبحت الولايات المتحدة الامريكية ترقب بعين الذئب المفترس للدول المطلة على الخليج[1].

كان اول اثر للثورة الاسلامية الايرانية هو ما قام به "جهيمان العتيبي" و "محمد عبدالله قحطان" وجمعا حولهما ما يقارب اربعمائة شخص مدربين على السلاح من قبائل سعودية، ففي ديسمبر 1979م قامت هذه المجموعة بمحاولة الاستيلاء على الحرم المكي.. وقيل عن هذه العناصر انها كانت تحمل عقيدة مذهبية شيعية وخاصة في مسالة المهدي المنتظر، وهي فكرة شائعة بين السنة كذلك، وكانت هذه العناصر لها دوافع دينية.

وقضت الخطة تخزين الاسلحة داخل سراديب تحت المسجد الحرام.. وفي اليوم الثاني للثورة امسك العتيببي بالميكرفون الذي يستخدمه خطيب المسجد وخاطب المصلين : "انتبهوا ايها المسلمون. الله اكبر.. لقد ظهر المهدي.. انه هنا بين الحجر، والمقام.. تذكروا كلمات الرسول.. لقد حان الوقت الان.. هذا هو الرجل.. بسم الله الرحمن الرحيم"[2].

---

1) محمد حسنين هيكل : مدافع آية الله، قصة إيران والثورة، مرجع سابق، ص251.

2) نفس المرجع : ص258.

بعد ذلك تدخل الحرس الملكي وبدا اطلاق النار.. فاحتل العتيبي وانصاره الماذن مما مكنهم من السيطرة على مداخل المسجد، ولمدة اربعة ايام وجد كل من الجيش والحرس الوطني نفسه عاجزا تماما عن السيطرة على الموقف، وبدات الحكومة السعودية بالاتصال بالاردن وتم نقل قوات عسكرية بالطائرة من الخارج، وهم مجموعة من الفدائيين المدربين على هذا النوع من العمليات، وعن طريق حصار المنطقة كلها التي يحتلها المتمردون تم استخدام الغاز، لكن دون جدوى مما جعل النظام السعودي ان يستعين بقوة وخبرة فرنسية في التخطيط والتنفيذ لتصفية القوات المتمردة بعد عجز المواجهة التي استمرت مدة عشرة ايام[1].

من جهة اخرى تشير بعض الدراسات[2] الى ان الولايات المتحدة الامريكية بدات العمل على اعداد قوة عسكرية تسمى "قوة الانتشار السريع" كان ذلك من اجل الوصول والسيطرة على بترول الخليج العربي عبر القبول العربي -ان امكن- بالتسلل الامريكي اليها ويدعو الى حمايتها.

كانت دولة "الخميني" قد اغضبت الامريكان بوجه خاص باسقاط نظام الشاه الموالي لها، ثم باتباع سياسة معادية للغرب، واخيرا كان احتجاز كل موظفي السفارة الامريكية في ايران كرهائن بعد احتلالها والاستيلاء على مبانيها بالكامل.

وتازم الموقف بين العراق وايران، ونجحت امريكا وحلفاؤها من العرب في تصعيد وتيرة الخلاف بين الطرفين، وكانت الدعاوى العراقية ان منطقتي "المحمرة وعربستان" جزء لا يتجزا من العراق.

---

1) محمد حسنين هيكل : حرب إلخليج أوهام القوة والنصر، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط1992،1،ص119.

2) جيفر ريكورد : قوة الانتشار السريع والتدخل العسكري الأمريكي في إلخليج، نقلاً عن : خالد الفيشاوي، مجلة شئون عربية، عدد(35)، 1948،ص202.

(ا) الحرب الايرانية العراقية (1980-1988م):

ففي عصر الشاه ارغم العراق على قبول تنازلات لايران في شط العرب، وتم ذلك اثناء اجتماع قمة دول "الاوبك" بالجزائر عام 1975م، وكان العراق وقتها مشغولا بتمرد في الشمال عطل نصف جيشه، وكانت الثورة الاسلامية الايرانية عام 1979م قد فاجات الجميع بندائها الموجه لشيعة العراق، والشيعة في العراق تصل مجموعها الى 55% من العراقيين، لذلك نداء الثورة الايرانية كان مسموعا.

وتحصلت العراق بالبداية على معلومات امريكية بواسطة السعودية، ما قامت المملكة العربية السعودية بدفع اربعة بلايين دولار، وتازم الموقف العراقي الايراني، وكان على العراق ان يقوم بالضربة الجوية الاولى، ففي صباح يوم 23 سبتمبر 1980م قامت (154) طائرة عراقية بالضربة الجوية الاولى وتبعتها مائة طائرة للضربة الجوية الثانية، ثم لحق بالضربات الجوية هجوم بري على جبهتين : جنوبا في اتجاه عبدان، وعلى الجبهة الوسطى في اتجاه قصر شرين.

وبدات صحف الغرب بما فيها الصحف الصادرة في لندن ونيويورك، وواشنطن، وباريس تخصص صفحاتها الاولى، ومكان الصدارة من صورها للجيش العراقي المنتصر، ونعت الرئيس العراقي "صدام حسين" بالبطل العربي[1]. واستمرت الحرب ثماني سنوات، وهناك مقولة ل"هنري كيسنجر" يقول فيها : "هذه اول حرب في التاريخ نتمنى ان لا يخرج فيها منتصر، وانما ان يخرج الطرفان كلاهما مهزوم"، ونجحت ايران في احتلال جزيرة " الفاو " التي تطل مباشرة على جزر " بوبيان " و"ورية" التابعة للكويت - وقدمت دول

---

1) محمد حسنين هيكل : حرب إلخليج أوهام القوة والنصر، مرجع سابق، ص130.

الخليج للعراق ما يقارب "12 بليون دولار"- ثم استعادتها العراق من جديد بعد تضحيات مريرة.

وفي 18 يوليو 1988م جاء اعلان الحكومة الايرانية بوقف اطلاق النار، كما اوقف العراق ايضا اطلاق النار تنفيذا لقرار مجلس الامن رقم (579)[1]، وخرجت بغداد من الحرب بعد ثمان سنوات مرهقة، وكانت تكاليف الحرب مع ايران قد استنفذت الاحتياطي العراقي ومقداره "36 بليون دولار"، اما مقدار الديون التي تراكمت على العراق بسبب اعباء الحرب فقد بلغت "60 بليون دولار"، وبدا على السطح ان العراق خرج من حربه مع ايران بمشكلة اقتصادية، فالحرب كلفته كثيرا استهلكت كل احتياطاته، وراكمت عليه ديونا عربية وغير عربية، وكان يامل تخفيف ضائقته الاقتصادية. الا ان المشكلة ان منظمة الاوبك وضعت سقفا للانتاج، كما ان انخفاض سعر برميل البترول في اسواق العالم الى "11دولارا" وذلك بسبب تجاوز الحصص في الانتاج كما هي مقررة باتفاقيات الاوبك، وكانت دولتا الكويت والامارات قد اغرقتا الاسواق بالبترول خارج اطار حصصها المقررة من هنا بدات المشكلة، وبدات الكويت تطالب بزيادة حصصها وبالفعل بدات تغرق الاسواق العالمية بالبترول الخام وبدا التوتر بين العراق والكويت يشتد.

(ب) الحرب العراقية الكويتية (1990-1992م):

تعد الازمة العراقية الكويتية في مطلع التسعينات من القرن العشرين هي الثالثة، كانت الاولى عام 1961م بعد استقلال الكويت، وبدات تداعياتها في 19 يونيو 1961م عندما تم الاعلان بالاتفاق بين بريطانيا والكويت، وتضمنت اربع نقاط هامة هي : (أ) الغاء اتفاق 23 يناير 1899م لانه يتنافى مع

1) نفس المرجع : ص159.

سيادة الكويت. (ب) استمرار العلاقات بين البلدين. (ج) تتشاور الحكومتان في الامور التي تهمهما.(د) استعداد الحكومة البريطانية لمساعدة حكومة الكويت اذا طلبت منها ذلك.

كان الرئيس العراقي في حينه هو "عبدالكريم قاسم" اعلن في مؤتمر صحفي عقد في "بغداد" في يوم 25 يونية يقول فيه : "ان الكويت جزء لا يتجزا من العراق، وان الجمهورية العراقية لم تعترف باتفاقية عام 1899م، لانها وثيقة مزورة ولا يحق لاي فرد من الكويت او في خارج الكويت التحكم في الشعب الكويتي، وهو من الشعب العراقي، وقد قررت الحكومة العراقية حماية الشعب العراقي في الكويت، والمطالبة بالاراضي التابعة لولاية البصرة بكل حدودها وعدم التنازل عن شبر واحد من اراضيها"[1].

وكانت الكويت خارج اطار الجامعة العربية، فاسرعت المملكة السعودية بتقديم طلب للجامعة العربية لعقد اجتماع لمجلس الجامعة في جلسة طارئة لبحث انضمام الكويت للجامعة ومناقشة التهديد العراقي لاستقلالها، واخفق المجلس في اتخاذ قرار.. الا ان مجلس الجامعة المنعقد في 20 يونيو1961 دعا فيه الكويت لان تلتزم بسحب القوات البريطانية من اراضيها في اقرب وقت ممكن "ودعا العراق بعدم استخدام القوة لضم الكويت، كما تم قبول عضوية الكويت بالجامعة ومساعدتها على الانضمام الى الامم المتحدة[2] واوصى مجلس الجامعة التزام الدول العربية بتقديم المساعدات الفعالة لصيانة استقلال الكويت، وتم انشاء قوة ردع عربية مكونة من اربعة الاف جندي تقدمت بها كل من مصر، والسعودية، والاردن، والسودان، وتونس، وانعقد

1) خالد السرجاني : جذور الأزمة بين العراق والكويت "السياسة الدولية"، عدد (102)، أكتوبر، 1990م،ص15.

2) نفس المرجع : ص15.

لواؤها الى قائد سعودي[1]، ثم سحبت تلك القوة عقب الانفصال الوحدوي بين مصر وسوريا مطلع عام 1962م.

وبعد مقتل الرئيس العراقي "عبدالكريم قاسم" عام 1963م اعترفت العراق باستقلال الكويت، واكدت احترامها لوضع الحدود العراقية الكويتية.

اما الازمة الثانية فكانت عام 1973م عندما لمح العراق لمحاولة الحصول على جزيرتين تقعان في الخليج بالقرب من مدينة الفاو العراقية، وفي مارس 1973م احتلت العراق جزءا من المنطقة المتنازع عليها، ونتيجة الضغط العربي انسحبت العراق منها.

وفي عام 1975م جرت اتصالات بين الحكومة العراقية والحكومة الكويتية، قدم العراق مقترحا لتسوية المشكلة يتلخص في ان تؤجر الكويت العراق نصف جزيرة "بوبيان" لمدة 99 عاما، تتنازل الكويت عن سيادتها على جزيرة "وربة" مقابل اعتراف العراق بالحدود البرية بين البلدين، وفي يوليو 1977م اعلن ان ممثلي البلدين قد توصلا الى اتفاق شامل بشان المناطق المتنازع عليها غير انه لم يكشف الستار عن تفاصيل الاتفاق.

وكانت الازمة الاخيرة عام 1990م كانت مقدماتها اعتراض الكويت على حصصها من بيع البترول، ثم ادرجت مسالة ترسيم الحدود، وفي 6 فبراير 1989م حل الشيخ سعد السالم الصباح ولي العهد ورئيس الوزراء لدولة الكويت ضيفا على العراق مهنئا بانتصار العراق في حربه ضد ايران، في الوقت ذاته كانت الصحف الكويتية قد تناولت مسالة الحدود مع العراق، وكان قد وقع تصادم بري بين دورية كويتية ودورية عراقية، وشكا الكويتيون من دخول زورق مسلح عراقي الى مياههم الاقليمية، واشتبك بالنار

---

1) نفس المرجع : ص16.

مع زورق كويتي، ثم شكا العراق من عمليات تهريب سلاح اليه من الكويت، وكذلك شكا من عملية استصلاح واستزراع اراض يقوم بها كويتيون داخل الحدود العراقية. اذن فقد كانت الزيارة مشوبة بالحذر، وتفجر موقف حدودي وكل منهما يدعي احقيته بما يراه.

واجتمع الشيخ سعد الصباح مع وزير الدفاع العراقي "الفريق عدنان خير الله" واثار الشيخ سعد مسالة الحملة الاعلامية التي قوبل بها لحظة وصوله لبغداد.. ورد عليه وزير الدفاع بقوله : "انكم انتم الذين بداتم واثرتم هذا الموضوع الان، وكان على الصحافة العراقية الرد عليكم.. ثم اجتمع الشيخ سعد بالرئيس صدام حسين، وابدى الرئيس العراقي ضيقه من الحملات الصحفية في البلدين[1] وقال الرئيس العراقي للشيخ سعد : لقد خولنا صلاحية كاملة "لطارق عزيز" وزير الخارجية بحل وتسوية المشكلة. ثم اردف الرئيس صدام حسين قائلا للشيخ سعد ان المسالة ليست اراضي، فلدي مشكلة اهم بكثير من ذلك وهي : ان الاسطول البحري العراقي مبعثر في كل مكان من ايام الحرب، فهناك قطع منه في ميناء العقبة في الاردن، وقطع منه في موانئ مصر، وقطع اخرى في موانئ ايطاليا حيث اشتريناها ولم نامرها بالتوجه الى العراق لان العراق لا يمتلك ميناء عميقا على الخليج يسمح لغطسها بالملاحة"[2].

وبعد زيارة سمو الشيخ سعد الصباح للعراق قام سعدون حمادي نائب رئيس الوزراء العراقي بزيارة الكويت في يناير 1990م، والتقى بنظيره الشيخ صباح الاحمد الصباح، وكانت مهمة الوفد العراقي هي طلب قرض "عشرة بلايين" دولار يستطيع بها العراق مواجهة مشاكله الاقتصادية الصعبة.. ولم

1) محمد حسنين هيكل : حرب إلخليج أوهام النصر والقوة، مرجع سابق، ص300.
2) نفس المرجع : ص302.

تسفر الزيارة عن شيء، وبعدها بشهر قام الشيخ "صباح الاحمد الصباح" بزيارة للعراق ردا على زيارة "سعدون حمادي" في هذه الزيارة اشار المسؤول الكويتي الى الديون السابقة المعلقة على العراق للكويت، والمح الى ان الكويت قد تستطيع تقديم خمسمائة مليون دولار للعراق تضاف الى الدين القديم، وانه سيقترح شيئا من هذا النوع عندما يعود الى الكويت. فطلب العراق تسهيلات بحرية كالتسهيلات التي حصل عليها اثناء الحرب مع ايران، وطلب ايضا تطبيق معاهدة الدفاع المشترك بين البلدين.. وبعودة المسؤول الكويتي الى الكويت كتب الى "سعدون حمادي" مقترحا بتشكيل لجنة "فنية" لترسيم الحدود[1].

وفي سياق تداعيات الافعال وردود الافعال بين العرب والولايات المتحدة الامريكية، ظهر العراق خلال عام 1990م كهدف محدد لحملة شديدة من جانب امريكا، وبريطانيا، واسرائيل، وركزت الحملة الاعلامية والسياسية على برامج التسليح العراقية، وخاصة امتلاك العراق للصواريخ من طراز سكود المعدل القادر على ضرب اسرائيل وعلى امتلاك الاسلحة الكيميائية والبيولوجية وعلى مشروع بناء المدفع العملاق الذي يصل مداه الى الف كيلومتر، ظهرت اتهامات جديدة للعراق بالسعي لتصنيع قنابل ذرية.

وزاد الامر سوا تصلب الموقف الكويتي والذي تطور الى توتر في العلاقات بين البلدين، وبعث وزير خارجية العراق طارق عزيز مذكرة الى الشاذلي القليبي امين عام الجامعة العربية بتاريخ 15 يوليو1990م اشار فيها الى ان حكومة الكويت استغلت انشغال العراق مع ايران في اقامة المنشات العسكرية والمخافر والمنشات النفطية والمزارع على ارض العراق، واشتراك حكومتي الكويت والامارات في عملية مدبرة لاغراق السوق النفطية بمزيد

1) محمد حسنين هيكل : حرب إلخليج أوهام النصر والقوة، مرجع سابق، ص303.

من الانتاج خارج حصتهما المفـردة في منظمـة الاوبـك الامـر الـذي ادى الى تـدهور اسـعار النفط من "18 دولارا الى ما بين 11 و13 دولارا" مما اصاب العراق بخسارة بلغت في الفترة من (1981 –1990م) [89] بليون دولار، مشيرا الى ان نقـص كـل دولار في البرميـل يصـيب العراق بخسارة تبلغ مليار دولار سنويا، واتهم عزيز الكويت باقامـة منشـات نفطيـة عـلى الجزء الجنوبي من حقل الرميلة العراقي وسحبت النفط منه، وبلغـت قيمـة الـنفط الـذي سحبته الكويت (2400 مليون دولار) خـلال الفـترة مـن (1980-1990م)، وطالـب العـراق بالغاء الديون المستحقة عـلى العـراق مـن دول الخلـيج وتنظـيم خطـة عربيـة عـلى غـرار مشروع مارشال لتعويض بعض ما خسره في الحرب[1].

وردت الحكومة الكويتية مبررة موقفهـا مـن ذلـك، ودعـت الكويـت الى تشـكيل لجنة عربية في نطاق الجامعة العربية لترسيم الحدود بين البلدين.. واشتد الخلاف، مما دفع العراق الى اتخاذ قرار الغزو ضد الكويـت.. في يـوم 28 مـايو 1990م عقـد مـؤتمر القمة العربية في بغداد، والقى صدام حسين خطاب الافتتاح، وكان هذا الخطـاب هـو البداية الحقيقية لازمة الخليج على حد قول "هيكل"، وبرزت عبارات قوية في خطـاب صدام جاء فيها : "يجدر بنا ان نعلن بوضوح ان اسرائيل اذا ما اعتدت وضربـت فاننـا سنضرب بقوة، واذا ما استخدمت اسلحة الدمار الشامل ضد امتنا سنسـتخدم ضـدها ما نملك من اسلحة دمـار شـامل، وان لا نتنـازل عـن تحريـر فلسـطين. مـن الحقـائق التي اكدتها التجـارب ان الولايـات المتحـدة الامريكيـة تتحمـل مسـؤولية رئيسـية بـل

1) مجدي علي عبيد : المقدمات السياسية للغزو [السياسة الدولية]، عدد 102، أكتوبر 1990م، ص18.

مسئولية اولى في السياسات العدوانية والتوسعية التي يمارسها الكيان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني والامة العربية"[1].

والملاحظ ان النظام الدولي في ظل الهيمنة الامريكية والغربية اضعف النظام الاقليمي العربي، وكان الدعم الغير محدود من دول اوربا الغربية لاسرائيل وتمثل هذا الدعم بالجانب المادي والجانب العسكري، وادى ذلك الى تبديد مشروعية النظام العربي من وجهة نظر الراي العام وبعض الدول العربية، الجانب الثاني : يتصل بتناقضات النظام العربي، وخاصة في مشرقه، وتبلورت سياسات المشرق العربي في صورة تحالفين، الاول يجمع سوريا مع دول الخليج وعلى راسها السعودية، والثاني يجمع العراق والاردن وفلسطين واليمن.. ومن المرجح ان دول الخليج بعد ان مدت العراق ببعض المساعدات للخروج من حربه مع ايران في صورة المنتصر.. عادت الى محاولة حصاره واضعافه كتعبير عن سياسة محافظتها على التوازنات الاستراتيجية والسياسية الجوهرية لامنها[2].

كل تلك الاسباب ادت الى قيام العراق بغزو الكويت في الثاني من شهر اغسطس عام 1990م، ومنذ اللحظة الاولى لغزو العراق للكويت سارعت الولايات المتحدة الامريكية الى احتكارها في ادارة الازمة، وفشل النظام العربي في اثبات جدارته بهذه الادارة، وقد وضح ذلك في استهداف النظام العربي وتجنبه لانفجار الازمة عن طريق تدخل عدد من الوسطاء العرب كمصر والسعودية، ويبدو ان سبب الفشل هو انعدام الرؤية في كيفية حل الخلاف بين العراق والكويت، سواء بالتدخل العسكري او مناقشة ودراسة

1) هيكل : حرب إلخليج أوهام القوة والنصر، مرجع سابق، ص308، انظر أيضاً : السيد ياسين : التقرير الاستراتيجي العربي، 1990، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام،ص30.
2) السيد ياسين : المرجع السابق، ص31.

عمق الخلاف بين البلدين الجارين، واثناء مؤتمر القمة العربي الذي عقد في العاشر من اغسطس لحل الازمة، تسبب التعارض في المواقف في التدخل العسكري الامريكي في الازمة، وكان ذلك تحديا للشرعية الدولية والعربية.

ولم تنجح جامعة الدول العربية في اقناع العراق بالانسحاب من الكويت وتعين على الكويت والسعودية اللجوء الى الامم المتحدة بتحريض امريكي فاصدر قرارا رقم (660) يدين الغزو العراقي للكويت، وطالب بسحب العراق قواته من الكويت فورا وبلا شرط الى المواقع التي كانت فيها في اول اغسطس عام 1990م، وانقسم العرب الى فريقين، فريق تبنى الشرعية العربية، وعلى راس هذا الفريق منظمة التحرير الفلسطينية واليمن والاردن وليبيا، واعتبروا الشرعية الدولية الممثلة في قرارات مجلس الامن الخاصة بشان ازمة الخليج هي شرعية الاقوياء، بل انها شرعية مفروضة من جانب قوة واحدة "هي الولايات المتحدة الامريكية" وهي التي تحمي اسرائيل وتؤمن استمرار احتلالها غير المشروع لفلسطين، ومن حيث المضمون شرعية تستهدف سلب الوطن العربي كل عوامل القوة، ومنح اسرائيل كل عوامل التفوق والهيمنة.

وبدات الولايات المتحدة الامريكية وحلفاؤها بجمع قوات عسكرية ضاربة في الخليج والسعودية، وبدات الصورة تبدو ان التواجد العسكري الامريكي والاجنبي يحمل قرار الهجوم العسكري على العراق بقصد تدميره بحجة انقاذ الكويت وتصفية حكام العراق.. فزلزل الضمير القومي والاسلامي معا، ووجدت السعودية صعوبة بشرعية التواجد الاجنبي على اراضيها، واقنعت علماءها بقبول ذلك كامر واقع.. بينما اجمع الفقهاء المسلمون في الدول العربية خارج الخليج ومصر على تحريم هذا الاختيار.

وطرحت اليمن مبادرة في 19 اكتوبر 1990م تضمنت انسحاب القـوات الاجنبيـة مـن منطقة الخليج على ان اهم "المبـادرات اليمنيـة" طرحـت في سياق مشروع قـرار لمجلـس الامن برعاية مجموعة من دول عدم الانحياز تشمل كولومبيا وماليزيا وكوبا يدعو العـراق للانسحاب من الكويت واطلاق سراح الرهائن الاجانب، وعودة الحكومة الشرعية الكويتية، على ان يتلو ذلك مباشرة تشكيل قوة عسكرية مـن مجلـس الامـن للمحافظـة عـلى الامـن والاستقرار في الكويت بعد الانسحاب العراقي مع رفع العقوبات الاقتصـادية التـي فرضـها المجلـس عـلى العـراق، والـدعوة لحـل كـل المشـكلات بـين العـراق والكويـت مـن خـلال المفاوضـات.. الا انـه لم يطـرح عـلى مجلـس الامـن بسـبب عـدم موافقـة الـدول دائمـة العضوية[1].

ونتيجة لذلك وصفت الـيمن كحليـف للعـراق الامـر الـذي ادى الى معاناتهـا بسـبب الاجراءات الانتقاميـة السـعودية ضـدها، واهمهـا الغـاء السـعودية لامتيـازات اليمنيـين في اراضيها في 23 سبتمبر وترحيل اعداد كبيرة منهم الى اليمن.

وبانهيار الدور الدبلوماسي العربي في نزع فتيل الحـرب، واعـلان القـاهرة ودمشـق ان قوتيهما ستشاركان في العمليات العسكرية لتحرير الكويت، من جهة اخرى اعلـن الـرئيس العراقـي في 6 ينـاير 1991م ان ضـم الكويـت الى العـراق نهـائي والكويـت هـي المحافظـة التاسعة عشرة للعراق حاضرا ومستقبلا[2].

واعلنت منظمـة التحريـر في 24 ديسـمبر 1990م ان المنظمـة سـتقاتل مـع العراق اذا اندلعت الحرب في الخليج واعلنت اللجنة الوطنية الجزائرية لمسـاندة

---

1) السيد ياسين : التقرير الاستراتيجي العربي 1990، مرجع سابق،ص283.

2) نفس المرجع : ص289.

الشعب العراقي في 25 ديسمبر ان "400 الف" متطوع جزائري مستعدون للتوجه للعراق، واعلنت موريتانيا تاييدها الكامل للعراق.

وفي 8 يناير اعلن الرئيس المصري حسني مبارك بان مصر لا توافق على تدخل اسرائيل في حالة نشوب حرب في المنطقة وان اسرائيل اذا تدخلت ستاخذ مصر موقفا مخالفا.. وعندما اقترب موعد الانفجار اعلن الرئيس مبارك في 13 يناير 1991م انه : "يحق لاسرائيل الرد اذا هاجمها العراق"[1].

وفرضت ازمة الخليج تحديا على جماعة الاخوان المسلمين، وتعين عليهم اتخاذ موقف من الازمة باعتبارهم اكبر التشكيلات السياسية العربية في موقع المعارضة. ومع اندلاع الحرب انكسر التحالف بين جماعة الاخوان المصرية وجماعات الاخوان الخليجية، وجسدت ازمة الخليج هذا الانكسار، ووجد التنظيم العالمي للاخوان نفسه امام استقطاب حاد بين مجموعات مختلفة داخل الراي العام الاسلامي السياسي، والراي العام العربي عموما.

ويمكن القول ان الغالبية الكبرى من الراي العام الاسلامي السياسي في الوطن العربي وفي اوربا وامريكا قد اتخذت موقفا مقاربا للتوجهات السياسية العراقية اكثر منه لدول الخليج، مما اغضب دول الخليج والسعودية وادى ذلك الشرخ بين اخوان الخليج واخوان الخارج الى وقف الدعم الخليجي والسعودي، ويمكن رصد الخيارات التي كانت امام التيار الاسلامي الاخواني[2] على النحو الاتي : الخيار الاول: قبول التنظيم التحالف مع التيار القومي، ومهمته تتركز بتفجير موقف ثوري ضد القوى الغربية الصلبية والنظم الصديقة لها في المجتمعات العربية. وكان هذا الخيار يحظى بدعم كثير من القوى الاسلامية بمختلف تشكيلاتها عدا اخوان الخليج

1) نفس المرجع : ص289.

2) النظام العربي وأزمة إلخليج : التقرير الاستراتيجي العربي، 1990م، المرجع السابق، ص300.

والسعودية.. اما الخيار الثاني : فهو قبول مقترح انظمة دول الخليج والسعودية، وهي صيغة ادانة العراق واجباره على الانسحاب من الكويت والاستعانة بقبول القوات الاجنبية "الصلبية" لتحقيق هذا الهدف، كان هذا الخيار يحمل بين طياته الانقسام بينها وبين قواعد الجماعات الاسلامية في مصر والاردن والسودان.. اما الخيار الثالث: فيرى رفض فكرة التحالف مع العراق ورفض الموافقة لاستدعاء قوات اجنبية لحماية دول الخليج والسعودية، وينكر شرعية الغزو العراقي للكويت ويطالب بانسحاب القوات العراقية من الكويت، والمطالبة الفورية بانسحاب القوات الاجنبية من السعودية والخليج واحلال قوات عربية بديلة.. وهذا الخيار ينسجم مع التوجهات المعتدلة من جماعة الاخوان، ولكنه لا يرضي الاطراف الاخرى.. الا ان مطلب الاخوان بانسحاب القوات الاجنبية كان غير مقبول لدى الساسة بدول الخليج والسعودية مما جعل كلفة هذا المطلب اقتراب جماعة المعتدلين نحو العراق.

وظهر موقف الحكومات واضحا بعد فشل وفد "الوساطة الاسلامية" الذي شكله الاخوان المسلمون في سبتمبر ووجه له نقد على انه يفتقر الى الحياد[1]، وارتكز اجتهاد بعض الشخصيات الدينية في السعودية، ودول الخليج الى تاكيد شرعية الاستعانة بالقوات الاجنبية الى فكرة الضرورة

1) د. إسماعيل الشطر : صوت الكويت [عدد1991/7/2م] (أبرز رجال الإخوان المسلمين في الكويت)، رداً على تصريحات للمرشد العام للإخوان المسلمين أدلى به لجريدة "المسلمون" في 1991/6/21م أن الإخوان الكويتيين قد جمدوا عضويتهم في التنظيم الدولي للإخوان المسلمين للأسباب التالية:-

1- مساندة الباغي، حيث استنكر الكويتيون فكرة الوساطة واعتبروا أن ما قام به العراق تعدي مرحلة الاقتتال بين طائفتين من المؤمنين، وأن ما حدث هو بغي على الكويتيين يجب محاربته.
2- ضعف التنظيم الدولي، وعدم قدرته على إلزام التنظيمات القطرية بالموقف الذي أعلنه.
3- إسقاط الإخوان الكويتيين من حسابات التنظيم العالمي وعدم مساعدتهم رغم أن إلخليج كان المال الرئيسي للتنظيم العالمي.

ومبدا المصالح المرسلة بالنسبة لما هو في الاصل محظور ؛ اي الاستعانة "بالمشركين" واصدرت هيئة كبار العلماء في السعودية بيانا في 13 اغسطس وضح فيه حكم الشرع في ذلك. واكد البيان على فتوى مجلس كبار العلماء يؤيد ما اتخذه ولي الامر من استقدام قوات اجنبية لرد عدوان العراق، وهو واجب تمليه الضرورة في الظروف الحاضرة، ويحتمه الواقع المؤلم وقواعد الشريعة وادلتها توجب على ولي الامر من المسلمين الاستعانة بمن تتوفر فيه القدرة وحصول المقصود، لذلك اعلن "الشيخ عبدالعزيز بن باز" الرئيس العام لادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في السعودية " ان استعانة السعودية بالجيوش المتعددة الجنسيات لصد العدوان والدفاع عن البلاد هو امر جائز تحكمه الضرورة"[1].

وبعد شد وجذب بين الامم المتحدة والعراق، اقرت الدول المتعددة الجنسيات وابرزها امريكا وبريطانيا القيام بضرب العراق وتدميره، واسقاط النظام.. وتم التدمير ولم يسقط النظام، فكان ذلك سببا لاستمرار العقوبات الظالمة على العراق والشعب العراقي واستمرت "اثني عشر عاما 1991-2003م.. ثم عادت امريكا وبريطانيا بدون غطاء شرعي من الامم المتحدة بضرب العراق، واسقاط النظام.. وكانت تلك الازمة الثالثة، وبسقوط النظام العراقي سقطت اقنعة الانظمة العربية.. وبانت سواتها واصبحت كالببغاء تردد ما تقوله امريكا وما تراه امريكا.. وهكذا انزلقت المنظومة العربية الى الوحل.

ان الازمة صنعت بايد امريكية بريطانية استخبارية، وكانت العراق هي بيت القصيد فتم تدميرها ونهبها مرتين.. الا ان المرة الاخيرة اكلت المنظومة الصهيونية العالمية الاخضر واليابس في العراق.. وتلمس العراقيون طريقهم

---

1) التقرير الاستراتيجي العربي، 1990م، مرجع سابق،ص303.

فوجدوها قد ملئت حرسا وشهبا.. وكان امامهم خياران لا ثالث لهما.. الاول الاستسلام للامر الواقع دون قيد او شرط.. الخيار الثاني : هو المقاومة حتى النصر او الشهادة وتم اقرار الخيار الاخير.

واصبح للحركة الاسلامية مشروع سياسي جديد هو نبذ الخلاف الفقهي مع الشيعة، وتوحيد الكلمة وكونت جبهة عريضة من السنة والشيعة.. والح عليهم النضال المسلح الحاحا ضد قوى الصهيونية الامريكية والبريطانية.

ورغم موجات الشهداء التي تتلقى رصاص وقذائف الاحتلال.. الا ان روح المقاومة الاستشهادية تزيد عتوا ونفورا حتى النصر.

التحالف الاستراتيجي الاوربي في مواجهة الاسلام:

اراد الله للمسلمين في العالم ان يدفعوا فاتورة التفوق العلمي والحضاري في العصور الوسطى، عندما كانت وجهتهم الدفاع عن شريعة التفوق العقلي.. يجيب رئيس الصرب على من يطلبون منه الكف عن ابادة المسلمين في البوسنة عام 1992م بانه يحارب عن اوربا خطر الاسلام القادم من الصحوة الاسلامية في جميع الاقطار الاسلامية، خاصة في ايران، ومصر، والسودان، وشمال افريقيا.. مذكرا اياهم "بفتح المسلمين لاقطار اوربا الشرقية والجنوبية على يد الدولة العثمانية التي طرقت جيوشها ابواب فيينا وباريس، مذكرا قومه بالحقبة التي دانت الدنيا فيها لمجد الاسلام على يد ال عثمان"[1].

ويتساءل احد الباحثين[2] كيف يكون في وسع الاسلام اليوم ان يلعب في بناء المشروع الحضاري العربي المامول الدور نفسه الذي لعبه في الماضي في بناء

---

1) محمد متولي عوض : أنوب عن أوربا في مواجهة الإسلام القادم، الشعب - صحيفة أسبوعية مصرية - 4 سبتمبر 1992م، ص8.

2) د. سعيد بن سعيد العلوي : الإسلام والمشروع الحضاري العربي، الشرق الأوسط، إلخميس 1993/7/1م، العدد [5329]، ص8.

الحضارة العربية في عصورها الزاهية؟ او كيف يكون للاسلام في الوقت الراهن ان يقوم بدور الاسهام الايجابي في بناء الحضارة الانسانية الشمولية في الازمة المعاصرة وليس بدور العامل الفاعل في بناء الحضارة العربية؟

ويجيب السائل على سؤاله : بان الاسلام اليوم في ظل الشروط العالمية التي تحف به وبازاء المتغيرات الدولية التي يشهدها العالم في العقد الحالي، والتي تقيم للاسلام اعتبارا جليا هو مادة اتهام كثير له وموضع هجوم عليه فكيف يتاتى له ان يقوم بعمل اسهام حضاري ما او ان يكون له مكان ودور في بناء الصرح الحضاري الانساني المعاصر؟

ويشترك الباحث في هذه الرؤى باعتبار المفكرين العرب النهضويين في القرن التاسع عشر الميلادي، ومطلع القرن العشرين وخلال العقود الاولى منه نفترض انهم كانوا يتساءلون، ما اذا كان في مقدور الاسلام ان يتوافق مع ما يشهده العالم من تحولات فكرية ونشاط ثقافي ومن اشكال التبدل الحضاري، وان يواكب ما يحدث من تطور صناعي وتقدم علمي، وتغير في انماط الوجود السياسي والاجتماعي، وكان رجال الاصلاح في الماضي خاضوا معارك دفاعية عنيفة للتدليل على صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان، وحمل الناس على التمييز بين حال المسلمين وواقعهم اليوم،وطبيعة الاسلام من جهة اخرى.

والمفارقة بين رجال القرن الماضي في العشرينات والثلاثينات منه، واليوم هي مفارقات في الجوانب الاقتصادية والمتغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية، التي تفصل في مفارقات تاريخية بين الامس واليوم، فصورة الاسلام في الوعي الثقافي الاوربي، وهذه الصورة لها قوة ايديولوجية، ولها صفات العنف والميل الى الاعتداء والتعصب، ورفض الحوار مع الاخر، وهذا المفهوم القائم للذاكرة الغربية عن دور التيارات الاسلامية سواء المعتدلة منها او المتشددة، وان كان التوجه الغربي قائما على تسويق مفاهيمه السياسية

كالديمقراطية والعولمة، والمطلوب قبول تلك الافكار بكل خصائصها بغض النظر عن ما يمكن قبوله ورفض ما لا يمكن ملاءمته مع خصوصيات مجتمعاتنا.

وبدا انصار التوجه الغربي يطالبون بقبول الثقافة الغربية بكل مساوئها ومحاسنها او رفضها كليا، ويعد ذلك عملا عدائيا للغرب.. واذن كيف نتصور المشروع الاسلامي في اطار الضغوط الاوربية والانظمة العربية الموالية للغرب؟.. يمكن القول ان الفلسفة الغربية والامريكية والصهيونية العالمية تعمل على تجذير كامل للعلاقات بين الانا والاخر بين الاستعلاء الاوربي الامريكي الصهيوني والمستهلك العربي والاسلامي.. والمطلوب منا ان نتقبل كل ما ينتجه الغرب، لكن غير مقبول مطلقا لكل الدول الاسلامية والعربية ان تقوم بانتاج تكنولوجيا عربية او محاولة تصنيع حاجيات ضرورية كالادوية وغيرها.. فالاتجاه الصهيوني الاوروبي والامريكي يعدون ذلك عملا ارهابيا وما قضية مصنع الادوية بالسودان منها ببعيد.. ولكن هل الاسلام السياسي يهدد الديمقراطية؟

تشير احدى الدراسات التي اعدها مقرر لجنة الشؤون المدنية (Civil affairs) في حلف الاطلنطي "مايو 1993م" الى ان العمل الاسلامي يحتاج الى تجديد وفقا لمبدا العودة الى الثوابت الاسلامية القائمة على اساس القران الكريم والسنة النبوية، فالرد على ذلك يتم وفقا للمفهوم الغربي، على اية حكومة تدعو الى الجهاد او الحرب المقدسة بهدف اقتلاع القيم الغربية من جذورها غير مقبولة لاوربا وامريكا الشمالية.

من ناحية اخرى ليست كل مبادئ الشريعة ضارة او بربرية.. كما تفترض ذلك الاراء الاوربية، على العكس فان القانون الاسلامي يركز كثيرا على الفضائل الفردية التي يمتدحها المسيحيون كثيرا مثل : الصدق، والكرم، والنزاهة الاخلاقية، وما شاكل ذلك.. وبقدر ما يحاول الاسلاميون

نقل هذه القيم الى المستوى الاجتماعي من خلال محاربة الرشوة ومساعدة الفقراء، ومعالجة المظالم الاجتماعية..الخ. فانه يمكن النظر بشكل ايجابي الى نشاطاتهم.

ان بعض مبادئ الشريعة مثل الاحوال الشخصية للمراة لا تبدو متسقة تماما مع المعايير الدولية لحقوق الانسان، وفي هذا الصدد فان العودة الى انماط من الاسلام اقل حدة في التعبير، ولكنها اشد صرامة اخلاقيا يمكن ان تصاحبها ردة بالمقارنة مع الموقف السابق الاكثر ليبرالية للحركات الاكثر ثورية من الناحية السياسية.. وتمثلت استجابة الحلف في القبول غير المعلن بقمع الحكومات للحركات الاسلامية.. فعندما نكث الرئيس التونسي بن علي بوعده في اقامة ديمقراطية متعددة الاحزاب، ورفض طلب حزب النهضة بان يصبح حزبا سياسيا رسميا. لم يصدر رد فعل من الحكومات الغربية، وعندما سحق الجيش العملية الديمقراطية الناشئة في الجزائر حين بدا الانتصار الاسلامي في الانتخابات العامة وشيكا لم تصدر حتى همهمة عدم الرضا، فضلا عن الغضب من الغرب، وتلقت الجزائر (1450 مليون دولار) من البنوك الغربية لمساعدتها على خدمة دينها[1].

وعلى الرغم مما قيل في هذه الوثيقة سواء صدقت الصحيفة الناشرة لهذه المعلومات او اخطات فان ما جاء فيها تؤكده تصريحات الرئيس الامريكي الابن "بوش" بعد احداث 11سبتمبر2001م والتي اعلن صراحة بانها حرب صلبية جديدة، مهددا بذلك كل التيارات الاسلامية المتطرفة منها والمعتدلة وعلى انها تيارات ارهابية.

لقد كان للاستعمار الاوربي دورٌ كبير في تفكيك العالم الاسلامي ، كما اعيد تسمية الاجزاء منها وترتيبها حتى لا يكون المسلمون هم القوة

---

1) الشعب [يصدرها حزب العمل المصري] 16 محرم 1414هـ (6يوليو1993م)، العدد (755)،ص7.

الوحيدة فيها، بل ربما زراعة قوة داخلهم لاضعافهم، فلم يعد هناك عالم عربي، رغم وجود جامعة تحمل اسم الدول العربية، واصبح هناك رغبة لدى بعض البرجماتيين من المثقفين العرب بتسمية جديدة للمنطقة تخدم الاغراض الاستعمارية والصهيونية هي "شرق اوسط" فيه عرب، ويهود، واكراد، وفرس، واتراك، وغيرهم.

وهناك "شمال افريقيا" للتاكيد على المصطلحات الباردة، والمحايدة، التي لا تحمل اي مضامين تاريخية او معتقدية[1].

وبدات القوى الكبرى تسعى جاهدة لتجهيز هذا المفهوم السياسي، واقصاء المعتقدات الاسلامية على وجه الخصوص، وتحديدا بعد حوادث "سبتمبر2001م" وبدا العمل على الربط بين الارهاب والتشدد والعنف السياسي والاسلام، والعودة الى الماضي في صيرورة اوروبية امريكية صهيونية للعداء للاسلام تحت مظلة الارهاب.

وكرست اجهزة ووسائل الاعلام الغربية جهودها لتشويه صورة الواقع الاسلامي وخاصة مسالة مناهج التربية والتعليم، مما اثار قلقا لدى الدول العربية بوجه خاص، وبدات تستقدم خبراء اجانب لاعادة النظر في المسالة التربوية، وولد شعورا لدى المثقفين بان هناك خللا منهجيا في التربية الاسلامية والمسلمين، واصبحت تعالم القران الكريم ذاتها محرضة على العنف والكراهية في تصور وسائل الاعلام الاوربية.. وقدمت هذه الصورة منظورا تربويا يجب برمجته ومنهجته للعمل به في بلداننا العربية. ونوقشت هذه الاطروحات في وسائلنا الاعلامية متوخية الاخطاء في مناهجنا التربوية، ومتبنية معالجتها وفقا للمنظور الغربي.

---

1) أبو بكر باقادر : الرؤية المتبادلة بين الإسلام والغرب من زاوية إناسية، شئون الأوسط، [مجلة فصلية متخصصة]، خريف 2002م، عدد (108)، مركز الدراسات الاستراتيجية، لبنان، ص45.

واي عمل لمقاومة هذه الافكار يعد عملا ارهابيا، ولذلك نلاحظ ان سياسات انتهاك حقوق المسلمين وتخريب اوطانهم، ونهب ممتلكاتهم كما حدث في العراق ويحدث يوميا في فلسطين عمل مقبول تحت ذريعة محاربة الارهاب وتهديدا للحركة الصهيونية العالمية التي تحمل يافطة محاربة التطرف الاسلامي الذي يعمل على استعادة القدس وفلسطين، كل ذلك كان جديرا بان تبرز تيارات غيوره على مجدها وتاريخها وكينونتها وتعمل على وقف هذا التغيير في اراضيها مما جعل الطرف الاخر يتبنى مشروعا تشترك في تنفيذه قيادات سياسية وتنظيمية موالية للغرب في محاربة المد الاسلامي سواء عن طريق اختراقهم وايجاد مفاهيم سياسية داخل الجماعات الاسلامية من اجل تحويل الصراع مع بعضهم البعض.

كما اتجهت الاطروحات الغربية نحو ضرورة تغليب المفاهيم السياسية الغربية والتركيز على الجانب الاقتصادي لتسويق منتجاتهم..ومن هنا برز مفهوم العولمة.

وتطلب ذلك البحث عن معرفة اسباب مازقهم وهي عملية مازالت مستمرة، وكانت نتيجة هذا البحث نشوء مدرستين فكريتين اكدت احداها ان الاسلام مصدر مشاكله الخاصة والحل هو الاخذ بالمناهج الغربية واتباع هذه المدرسة هم ممن تعلموا في اوربا ان الاسلام الهزيل كان نتاج القائمين عليه اي الفقهاء لانهم تعاونوا مع المؤسسات السياسية الاسلامية غير المؤهلة وغير الكفوءة والفاسدة، مما اتاح الفرصة للهيمنة الاجنبية التغلغل داخل بلدانهم، واعتقد انصار هذه المدرسة الفكرية ان التقدم العلمي الذي عزز القوة الاقتصادية والسياسية للغرب كان نتيجة انتصار التفكير العقلاني ومنهج التحليل، ولذلك رات هذه المدرسة صياغة مشروع يقوم على احياء الفكر الثقافي وتقاليد ما قبل الاسلام، ووجد توجه نصير لهذا المشروع تمثل بالنزعة العرقية الاقليمية كالفرعونية بمصر والاشورية، والفينيقية في

بلاد الرافدين، لذلك يحتاج المسلمون الى محاكاة الغرب وبشكل اكثر تحديدا، محاكاة علمانيته وحكوماته الدستورية وحكم القانون ونمط التفكير العقلاني والمنهج العلمي في البحث[1].

اما المدرسة الثانية فهي ترى ان الاسلام ليس المتهم وان العودة للاسلام هي الحل، وان الانسلاخ عن المبادئ الاسلامية كان سبب الانحطاط الاسلامي، وكان لاختراق الغرب لعالمنا الاسلامي دورٌ في تفتته وابتعاده عن الاسلام، والحل لذلك يكون في تطبيق الاحكام والمبادئ الشرعية والاسلامية، وانسلخ من هذه المدرسة مجموعتان، الاولى : سلفية تقليدية تريد تطبيق الاحكام كما نص عليها الكتاب والسنة دون الرجوع للفقهاء المختصين والذين كان لهم باع كبيرٌ في الاجتهاد بما ليس فيه نص، مما يسر مفهوم الاسلام.. اما الجماعة الاخرى ففسرت الاسلام بطريقة عقلانية، واختلفت مفاهيمهم.

يرى مؤسس حركة باكستان في الهند "محمد اقبال" ان مبدا الاجماع يعادل الشكل الاسلامي الديمقراطي، كما يرى "شهاب الدين مرجاني" ان الاسلام عندما تخلى عن "العقائدية الضيقة وظلامية اللاهوت التقليدي، اصبح متوافقا بشكل تام مع العلم الحديث"[2].

---

1) شيرين هنتر : الحركة الإسلامية وأبعادها المعادية للغرب، شئون الوسط، عدد(108)، خريف، 2002م، مركز الدراسات الاستراتيجية، لبنان،ص57.

2) شيرين هنتر : الحركة الإسلامية وأبعادها المعادية للغرب ، مرجع سابق،ص58.

تصادم العقل الوافد مع الواقع الاسلامي:

في تركيا حاول كمال اتاتورك اقتلاع الاسلام من تركيا تاسيا بالفكر الاوربي.. وفي السبعينات من القرن الماضي ظهر الاسلام كقوة سياسية تقارع النفوذ المتنامي لليسار، وخلال الثمانينات من القرن الماضي شجعت الحكومة التركية التوجه الاسلامي كسلاح ضد القوى اليسارية، وافضى ذلك الامر الى زيادة حدة الازدواجية الثقافية الموجودة اصلا في المجتمع التركي المنقسم الى تيارين علماني واسلامي. ومع مطلع عام 1979م بعد الثورة الاسلامية الايرانية بدا العلمانيون الاتراك يعزفون على وتر اتاتورك الذي يعتبرون انفسهم حراسا لارثه.

ففي شباط من عام 1979م حذر الجيش التركي رئيس الوزراء التركي من الانحراف عن طريق العلمانية، كما امر باغلاق المدارس الاسلامية والالتزام بصرامة بالزي الغربي.. وعندما قاوم رئيس الوزراء "نجم الدين اربكان" الضغوط العسكرية اجبر على التنحي عن السلطة. وكانت الصورة للوطن العربي والاسلامي تعطي انطباعا سياسيا بان الانظمة التي حكمتها حتى اليوم استبدادية، وشاركت الانظمة الغربية في بناء هذه السياسة واحتلال عقولنا.

وانطلاقا من مسلمة اساسية مفهومها ان "احتلال العقل اشق بمراحل من احتلال الارض" فالذي يملك هذه الارض بامكانه ان يقاتل حتى يحصل على ارضه او يموت دونها، اما اذا ما امتلك عقله - الذي يرسم له خطط القتال - سهلت السيطرة عليه.

لذلك بدات الدول الغربية الاوربية والامريكية خصوصا تخطط لعملية تحكم واسعة النطاق في العقل السياسي والثقافي العربي، مستخدمة خبرتها

الاستعمارية.. وبدات تجدد سيطرتها من خلال منظومة تكنولوجية ذكية، فماذا حدث؟

عندما اصبح العلم ادارة استثمارية واشباع حاجات تماما كالسلعة، فقد وظف العلم لخدمة اهداف سياسية واجتماعية، واقتصادية، واصبح يمثل عائدا نفعيا.

لذلك نلاحظ ان جملة ما انفقته مثلا وزارة الدفاع الامريكية على البحوث العلمية المختلفة في عام 1981م بلغ "17 مليار دولار" حوالي 10% من ميزانية الدفاع الكلية والتي بلغت "160مليار دولار" ايضا مخصصات البحث العلمي للبنتاجون ارتفعت بمقدار 20% خلال عام واحد هو عام 1981/80م، وفي عام 1987م وصلت الى حوالي 30%.

وتضيف المعلومات الى ان وكالة المخابرات الامريكية كانت خلف انشاء العديد من الجامعات في دول العالم الثالث واستمرارها مثل كلية "مكوبي الدولية" في زامبيا، وبعض جامعات "اكوادور" و"ارجواي" و"المكسيك" والجامعة الامريكية بانقره، والقاهرة، وبيروت[1].

اضف الى ذلك ان التخطيط الاستراتيجي الاوربي والامريكي من اجل السيطرة على العقل العربي والعالم الثالث تم استخدام ركائز هامة للانطلاق من خلال مؤسسات تنشط في بلداننا[2]، وهي -مؤسسة "فورد فونيش" تعمل منذ عام 1952م- مؤسسة "روكفلر" وتعمل منذ الحرب العالمية الثانية- مؤسسة رائد وهي قديمة نسبيا، الا ان نشاطها برز في السبعينات من القرن الماضي في مجال الدراسات الاسلامية والفلسفية.

---

1) د. رفعت سيد أحمد : احتلال العقل، مجلة العربي، العدد 397 - ديسمبر 1991م.

2) رفعت سيد أحمد : المرجع السابق.

مجلس ابحاث العلوم الاجتماعية، ولجنة الشرق الادنى، والاوسط المنبثقة عن المجلس وهـو يعمل في المنطقة منذ منتصف الستينات.

جماعة ابحاث جورج تاون التي قامت فقط في نـوفمبر 1985م وكنمـوذج لنشـاطها بعمـل مسح شامل في اثنتي عشرة قرية مصرية بالاشتراك مع كلية الاداب بجامعة الزقازيق.

وكالة التنمية الامريكية ويذكر انها رصدت خلال عامي 1982/81م للبحـوث المشـتركة بـين مصر واسرائيل في مجال البحوث الميدانية الزراعية مبلغ (15 مليون دولار).

مركز "هارفارد" للشئوون الدولية، ومركز "برنستون" للدراسات الدوليـة، ومركـز "شـيكاغو" لدراسة السياسية الخارجيـة والعسـكرية، ومعهـد "بـيركلي" للدراسـات الدوليـة، وجميعهـا ترتبط عمليا وماليا بوكالة المخابرات الامريكية.

مؤسسة "فريدرش ايبرت" و"فريدرش نومن" الالمانيتان اللتان تربطهما وشائج قوية بـبعض مراكز البحوث في مصر ودول الشرق العربي.

المركز الاكاديمي "الاسرائـيلي بالقـاهرة" وهـو يقـوم بـدور خطـير في مجـال اخـتراق العقـل المصري والعربي، وقد اسس عام 1982م عقب اتفاقية كامب ديفيد، وتولى رئاسته كـل مـن "شيمون شامير" ثم "جبرائيل واربورج" ويتبعان المخابرات الاسرائيلية "الموساد".. يقوم هذا المركز ببحـث في الاصـول العرقيـة للمجتمـع المصري، وفي كيفيـة تفتيـت مصر طائفيـا، وفي الوحدة الثقافية والعقائدية بـين اليهوديـة والاسـلام، وفي الشـعر العـربي الحـديث، وقضـايا التعليم، والزراعة، والميكنة الزراعية، واستصلاح الاراضي، وفي توزيـع الـدخل، وحيـاة البـدو والبربر، وكيفية السيطرة عليهم، وفي تاثير السلام على العقل العـربي، وغيرهـا مـن الابحـاث المهمة.

كما قامت اسرائيل ببعض الابحاث المهمة في مصر من خلال المركز الثقافي الامريكي بواسطة اليهودي الامريكي الشهير "ليونارد بايندر" وهي ابحاث حول (رؤى الصراع العربي - الصهيوني) والجماعات الاسلامية في مصر.

ومن الابحاث الاخرى المهمة التي قامت بها المؤسسات الامريكية في الوطن العربي (الصراع بين التيارات العلمانية والتيارات السلفية)، و(التغير الاجتماعي في بلدان الشرق الاوسط) و(النظرية السياسية الاسلامية) و(العلاقات المدنية العسكرية في الوطن العربي) و(القومية الفلسطينية) و(التنبؤ بحركات التمرد في المنطقة العربية) و(المؤثرات في الاقليات بالوطن العربي) و(المهام السياسية للصفوة العسكرية العربية) و(مسار المنطقة العربية ومدى تاثرها بالتغيرات) و(المثقفون والوطن العربي الحديث) و ابحاث اخرى كثيرة.

الم يكن هذا الجهد الاوربي والامريكي الصهيوني الذي يبذلونه من خلال مراكزهم الثقافية واختراقهم مؤسساتنا العلمية من خلال البحوث المشار اليها سابقا مدعاة للكراهية نحو الغرب.

تشير احدى الدراسات الجادة[1] الى ان قلق الغرب ينبع من كون الاسلاميين يختزنون مشاعر معادية للغرب وتحديدا الولايات المتحدة الامريكية، فالاطروحات الاسلامية ترى انه اذا كان العداء للغرب يعود الى اسباب لا دينية بمعنى تتعلق بشئون الحياة والنظام فان التسوية والتعايش يمكن ترجيحه، اما اذا كانت راجعة الى الخصائص الذاتية للاسلام او الى الاحقاد التاريخية الصلبية فان فرص صدام الاسلام مع الغرب تصبح اقوى وتفاديها اصعب.

---

1) شيرين هنتر : الحركة الإسلامية وأبعادها المعادية للغرب، مرجع سابق،ص85.

ومع ذلك لم يكن المنظور التاريخي في العلاقات العربية الاسلامية مع اوربا هو استياء البلدان التي خضعت للاستعمار الاوربي من الهيمنة الغربية وشعورهم بالمعاملة الجائرة، لذا رغب الاسلاميون في تغيير ميزان القوة.

فعصر المعلومات والثورة الاعلامية والتكنولوجية على المجتمعات المختلفة وعلى الاخص بلداننا العربية، واذا كان اكتشاف الالة مسئولا عن انتقال المجتمع الزراعي الى المجتمع الصناعي، فالفضل يعود الى الثورة العلمية والتكنولوجية في انتقال المجتمع الصناعي الى عصر العولمة، وجعل الكرة الارضية قرية كونية معرفية واحدة.

وفي هذا العالم او المعولم يتقلص الزمن وتتلاشى المسافات، وتنتقل رؤوس الاموال والسلع والمعلومات والمفاهيم والافكار والاخبار، وبحرية تامة وبدون حدود وطنية[1].

ويضيف المفكر احمد كمال ابو المجد[2] الى انه بعد قيام دولة اسرائيل عام 1948م لجات الدعاية الصهيونية داخل شعوب الغرب الى اثارة فكرة "الميراث اليهودي المسيحي المشترك، توصلت به الى ضمان انحياز الغرب شعوريا وعقائديا، ومن ثم سياسيا وعمليا الى جانب الدولة اليهودية في صراعها مع العرب والمسلمين.

وكان من ثمرات نجاح هذه الفكرة انحياز الغرب شعوريا وسياسيا الى اسرائيل مما اثر ذلك على مسار الصراع السياسي بين العرب واسرائيل، وفي خضم هذا الانحياز تعاطفت الكنائس المسيحية في امريكا الشمالية واعلنت التبشير بالصهيونية المسيحية.

1) د. سليمان إبراهيم العسكري : إعلام العولمة، مجلة العربي، العدد (517)، ديسمبر 2001م.
2) د. أحمد كمال أبو المجد : المسلمون والنظام العالمي المتغير، العربي (العدد399)، فبراير 1992م.

وعلى الجانب الاسلامي فان ملابسات الصراع الحضاري والسياسي قد حملت معها احساسا قويا بالخطر الذي يتهدد الهوية الاسلامية، كما يتهدد العناصر الاساسية للوجود الحضاري والتميز الثقافي لامة المسلمين والذي استقر لدى كثير من المسلمين احساس قوي بالاختلاف الجذري باستحالة اللقاء مع الاخرين..

خلاصة القول : للصهيونية العالمية دور مهم بحيث جعلت من دولة اسرائيل مصدر المعلومات عن الاقطار العربية والبلاد الاسلامية المجاورة لها، ومن خلال "مركز شيلوح لدراسات الشرق الاوسط وافريقيا -التابع لجامعة تل ابيب- ويقوم هذا المركز باعداد الدراسات والبحوث، تقدم لاجهزة الامن الاوروبية والامريكية.. كما تعمل اجهزة الاستخبارات الصهيونية والاوربية والامريكية على تنشيط واحياء فكرة هذه الاقليات كالاسماعيلية، واليزيدية، والعلوية -النصيرية- والدرزية، وايضا الفرق الصابئة.. وكل ذلك من اجل اسقاط القضايا الشرعية داخل مربع الاحداث النشطة كايران، والعراق، ولبنان، وسوريا، وادرجت السعودية واليمن اخيرا.

وكان الاتحاد السوفيتي الذي تزعم معسكر اوربا الشرقية، وتبنى نظاما اشتراكيا شيوعيا، واخفقت التجربة الاقتصادية السوفياتية في تحقيق الرفاهية للشعب بسبب ضخامة الاستثمارات العسكرية، وكان لا بد ان تنهار المنظومة الاشتراكية كلها.

وفي اواخر السبعينات لعب السوفيت دورا كبيرا في افغانستان وبدا الصراع بين الامريكيين والروس على ارض افغانستان، وجندت الولايات المتحدة الامريكية كل امكانياتها بما في ذلك فرضت على احلافها العرب السير في ركابها بدعم عسكري من خلال تجنيد متطوعين من السعودية ومصر، واليمن، والاردن، لمواجهة الغزو الشيوعي بافغانستان، وتم تدريبهم على ايدي خبراء امريكيين، وبرزت الى الساحة مفاهيم اعلامية موجهة

وغريبة على الفكر المعاصر، والفكر الاسلامي بوجه خاص.. وهزمت روسيا وانسحب الجيش السوفيتي من افغانستان، ظهر فيما بعد الحرب قضية "عرب الافغان" ودارت الدائرة عليهم من قبل الامريكان وعملائهم الحكام العرب، واصبحوا يشكلون نموذجا عدوانيا للسياسة الامريكية الاستعمارية التوسعية.

وكان البديل للحزب الشيوعي بافغانستان تيارا اسلاميا عرف بجماعة "الطالبان" وهم جماعة من الشباب الذين كانوا يتلقون العلوم الاسلامية في باكستان.

وبوصول "جورباتشوف" الى رئاسة الدولة الروسية بدا العد التنازلي للنظام الشيوعي في اوربا الشرقية كلها، من خلال مشروعه السياسي المتمثل بالبيروستريكا -اعادة البناء- وتنازلت موسكو عن مبدا بريجنيف الذي كان يحكم القبضة السوفيتية على اوربا الشرقية، ومنحت روسيا من قبل امريكا صفة مراقب في منظمة الجات مقابل ذلك وافق "جوربا تشوف على هجرة اليهود الى اسرائيل".

وبعد نجاح الثورة الايرانية تفجر موقف حدودي بين ايران والعراق، ودارت الحرب رحاها لمدة ثماني سنوات (1980-1988م) وتلتها الحرب (العراقية – الكويتية) من 1990-1992م، وفرضت ازمة الخليج تحديا على جماعة الاخوان المسلمين، وتعين عليهم اتخاذ موقف من الازمة باعتبارهم اكبر التشكيلات السياسية العربية في موقع المعارضة.

ومع اندلاع الحرب انكسر التحالف بين جماعة الاخوان المصرية وجماعة الاخوان الخليجية وجسدت ازمة الخليج هذا الانكسار.

ويمكن القول ان الغالبية الكبرى من الراي العام الاسلامي السياسي في الوطن العربي وفي اوربا وامريكا قد اتخذت موقفا مقاربا للتوجهات السياسية العراقية اكثر منه لدول الخليج.

واصدرت هيئة كبار العلماء في السعودية بيانا في 13 اغسطس 1990م وضح فيه حكم الشرع في القوات المتعددة الجنسية، من ثم تم ضرب العراق وتدميره واسقاط النظام.. ولم يسقط النظام، ولذلك استمرت العقوبات على العراق وحصارها من عام "1991-2003" مدة اثني عشر عاما، ثم عادت امريكا وبريطانيا بدون غطاء شرعي من الامم المتحدة بضرب العراق واسقاط النظام.. وهي الازمة الثالثة، وبسقوط النظام العراقي سقطت الانظمة العربية اسيرة النظام الامريكي.

وتشير بعض الدراسات الاوربية الى ان العمل الاسلامي يحتاج الى تجديد وفقا لمبدا العودة الى الثوابت الاسلامية القائمة على اساس القران الكريم والسنة النبوية، والرد على ذلك يتم وفقا للمفهوم الغربي على ان اية حكومة اسلامية تدعو الى الجهاد او الحرب المقدسة بهدف اقتلاع القيم الغربية من جذورها غير مقبولة لاوروبا وامريكا الشمالية.. واتجهت الاطروحات الغربية الى ضرورة تغليب المفاهيم السياسية الغربية، والتركيز على الجانب الاقتصادي لتسويق منتجاتهم.

وبرزت الى الساحة موجة من مفهوم فكري يقوم على تفوق العقل الاوروبي من خلال مؤسسات اكاديمية تبنتها المخابرات الامريكية في العالم الاسلامي والعربي. كما قامت اسرائيل بافتتاح مركز اكاديمي بالقاهرة عام 1982م ليحقق اهدافا استخبارية داخل مصر كلها.

وكان على التيار الاسلامي ان يتبنى مسالة الدفاع عن الاسلام باية صورة ممكنة، ولو ادى ذلك الى تبني سياسة العنف ضد الاجانب الاوروبيين او من يروج للفكر الغربي من المسلمين.. ومن هذا المنطلق بدا الخلاف بين الجماعات الاسلامية بعضها ببعض حول قضايا عديدة وهامة. وسوف يناقش الفصل التالي فلسفة التباين والرؤى الفكرية في مفاهيم الديمقراطية والشورى..


@Ahmedyassin90

الفصل الثالث

اشكاليات التوجهات النخبوية للجماعات الاسلامية

- التباين الفكري في الاتجاهات الدعوية.
- ازمة الحوار بين الجماعات الاسلامية.
- الاختلاف في استنباط الاحكام بين الجماعات الاسلامية.
- الموقف من الديمقراطية.
- ما هي الديمقراطية التي اثارت جدلا بين التيارات الاسلامية؟
- الموقف السياسي من الشورى في الفقه الاسلامي.
- مفهوم الشورى في الاسلام.
- متى تكون الشورى ضرورية.
- هل الشورى ضرورة حتمية لمواجهة الديمقراطية؟


@Ahmedyassin90

الفصل الثالث

اشكاليات التوجهات النخبوية للجماعات الاسلامية

كانت الحياة السياسية والاجتماعية في العهد العثماني ترتكز على نمطين: الاول يقوم على التمسك بالتقاليد والعادات الاجتماعية والدينية وفقا لمنهج ذلك العصر.. وفي اواخر القرن 18م قامت فرنسا بزعامة نابليون بونابرت بغزو مصر، وكان لهذا الغزو اثره البالغ والفاعل بين الناس والمفكرين من علماء الازهر، وهو ما ولد النمط الثاني الذي اتكا عليه شخصيات هامة ومجددة في الفكر الاسلامي والسياسي ابتداء من المفكر الاسلامي "جمال الدين الافغاني" -الذي حاول الاستعمار البريطاني تشويه شخصيته خاصة داخل التيار السلفي الوهابي- ويليه الامام محمد عبده، وعبد الرحمن الكواكبي، واخرون كثيرون لحقوا بهم.

ومع مطلع القرن العشرين بدا الزخم الفكري السياسي منه، والديني بالانتعاش. كان للاستعمار البريطاني دور كبير في ادخال انماط اجتماعية جديدة على المناطق التي خضعت لنفوذه، اضف الى ذلك الحياة السياسية الحزبية، مما اوجد توجهات سياسية غير مالوفة في الساحة المصرية بوجه خاص كما كانت تحمل بذورا الحاديةً علمانية مما ولَّد نشاطا سياسيا دينيا يواجه التوجهات السياسية بالساحة تمثل ذلك بولادة جماعة "الاخوان المسلمون عام 1928م" على يد المؤسس "حسن البنا"، وتطور هذا النشاط الى ان اصبح حزبا عالميا. اختلف المنظرون بعد وفاة الشهيد حسن البنا، وتطور الحال الى ان انبثق من تحت يافطتهم جماعات متعددة منهم "شباب محمد" و"الناجون من النار" و اخرون من جماعة السلفيين الراديكاليين والذين اطلق عليهم "جماعة التكفير والهجرة"، ثم جماعات تعدد نشاطها سياسيا وفكريا الى حد التباين الفكري.

والليالي الحبالى تتمخض عن احداث كئيبة، فعالمنا العربي والاسلامي بدات تسيطر عليه ثقافة استعمارية حديثة، واصبح مهددا بالضياع.. والاستعمار الثقافي ملح في محو شرائعنا وشرعنا، فما هي طبيعة علاقة مسلم اليوم بدينه ؟ فالمسلم انسان يعرف ربه، وصلته بربه سبحانه قائمة على مبدا السمع والطاعة، وهو مطالب بالتعاون مع اخوان العقيدة على تاسيس مجتمع يلتزم بقاعدة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر.

والمسلم مطالب بتطويع الحياة لخدمة الدين كما يحتم توجيه نشاط الفرد والجماعة لخدمة الدعوة الاسلامية السمحة وتحقيق غاياتها، ومنا صرة الاسلام في بقاع الارض تفرضه حتمية الضرورة لاعلاء كلمة الله، يقول الله : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا).. "ان الكدح لله يتجاوز المسجد ليتناول الحقل، والمصنع، والمرصد، والدكان، والبحر، وما يكتب، وما يسمع وقد يتناول خطرات النفوس واحلام النيام"[(1)].

التباين الفكري في الاتجاهات الدعوية:

من سنن الحياة في الكون هو الاختلاف في الراي، والاختلاف في الراي لا يفسد للود قضية، والاختلاف احدى سنن الحراك الثقافي والسياسي والديني، لكن اذا خرج عن اطار التنافس الفكري والتجديد فهو جمود يتنافى مع قانون التطور الحركي، والسؤال المطروح في هذا الاطار هو: ما نوع التيارات التي فرضت نفسها على الساحة الاسلامية؟ يمكن اختصار ذلك في الاتي:-

---

1) محمد الغزالي : مشكلات في طريق الحياة الإسلامية [كتاب الأمة]، العدد الأول، "سلسلة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية في دولة قطر"، ط3، جمادي الآخر، 1402هـ،ص24.

هنا تيار "محافظ" يفسر السلفية بانها التزام ما انتهى اليه السابقون من السلف من مواقف واحكام اجتهادية لا ينكر جواز الاختيار بينها، وظنوا في تجاوزها تجاوزا للاسلام، وابتداعا فيه، وانها جاءت حاكمة للناس لا محكومة بعقولهم واهوائهم.

اما التيار الثاني فهو التيار الصوفي، يرى ان مشكلة المسلمين في قلوبهم وليست في عقولهم، وان اقبال المسلمين على الدنيا والسير مع مواكب الامم الاخرى على ثمرات الارض هو الفساد بعينه، ولذلك يدعو انصار هذا التيار الى الاعتكاف في العبادة، والى الزهد في الدنيا كلها، ويهون كثيرا من قيمة العقل، والايغال في كثير من انعدام المنطق والخرافة وتلبيس الحقيقة بالوهم.

وهناك تيار ثالث يرفع راية الاسلام بيده، ويعلن الثورة على اوضاع المسلمين كلها، ولا يرى مخرجا من الواقع الذي يعيشه المسلمون سوى ان يحذوا حذو الغرب في كل ما يقوله او يفعله، ويظل هذا الفريق يعلن التسامح من خلال شعارات ومصطلحات غربية.

ومن وراء هؤلاء جميعا يوجد جماعات ترفع لواء العمل للاسلام منها ما يشغله ليلا ونهارا وهو شعار "العودة لتطبيق الشريعة الاسلامية" "والحكم بما انزل الله"، ومنهم من يرى ضرورة الوصول الى السلطة باي ثمن من اجل تطبيق الشريعة الاسلامية او الحكومة الاسلامية، واتخذوا شعارا "الحكم بما انزل الله" والاعداد "لتطبيق الشريعة الاسلامية".

ثم جاءت من بعدهم اجيال من شباب وكهول مؤمنة بعقيدة الاسلام ومؤمنة بدورها في ترشيد حياتها الدينية والدنيوية، وتنظر بمنطق سليم في

مسالة تعمير الارض واستخدام العقل لتحقيق ذلك[1] الا انها محاصرة من قبل الفرق المتباينة في ارائها فعجزت عن تحديد اتجاه او تخطو خطوة ناجحة نحو مهامها واهدافها.

ويحلل الموقف هذا "احمد كمال ابو المجد[2] حيث يرى ان اقامة احكام الاسلام في عصرنا تحتاج الى اعمال العقل، فالنصوص القرانية، والسنة النبوية محددة متناهية، والحوادث متجددة لا متناهية، وحركة الزمن سنة من سنن الله، وحركة التشريع لملاقاة تلك الحركة امر من الله، وخلود الاسلام مستمد من قدرة الشريعة على هذا التجاوب، وما حركة الاجتهاد بالاجماع والقياس وطلب المصلحة واعتبار العرف الا هداية.

ويبدو للمتتبع لفكر التوجه الاسلامي، ان مسالة "الغزو الثقافي" كان بعبعا يخيف المتعلمين وانصاف المتعلمين في وسط الجبهة التعبوية الاسلامية، مما استدعى الى ضرورة الالتفاف لوضع استراتيجية لمواجهة ذلك الغزو، فكان الانغلاق وفكرة العودة الى الوراء لا خوفا من الاستجابة للفكر الغربي المخترق لعالمنا فحسب، بل من اجل التمهيد للعيش في شرنقة الماضي دون النظر في الفكر القراني الذي يدعو للعمل وتثوير مفاهيم النصوص لتتلائم مع واقعنا المعاصر وفقا لمبدا المعايشة العلمية.

واذا كان الاسلام والاسلاميون يعدون انفسهم مستهدفين من الغرب وان هناك مؤامرة ضدهم، الا ان هذا التخرص لا يمكن ان يكون الا في حالة المواجهة المضادة للغرب.. فما هي العوامل التي خلصت اليها تلك الجماعات من انهم مستهدفون؟.. فبقدر ما يكون الاسلام عامل تثوير واداة كفاح في

---

1) انظر : د. أحمد كمال أبو المجد، حوار لا مواجهة، دارسات حول الإسلام والعصر (كتاب العربي)، العدد السابع، 15 أبريل 1985م، ص40.

2) المرجع نفسه : ص41، انظر أيضاً، محمد الغزالي، مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، مرجع سابق، ص22.

مواجهة الغرب نفوذا واستراتيجية، يمكن القول ان المؤامرة تحاك ضد الاسلام والمسـلمين في حالة المواجهة لسياسة العولمة الغربية في عالمنا العربي والاسلامي.

والغرب يحرص على مسيحيته في حالة مواجهة ايـديولوجيات معينـة، وعقائـد تحـول دون سيطرته وهيمنته وتحقيق مصالحه الاقتصادية والسياسية والعسكرية.

ولنفترض ان مسالة المؤامرة فكرة لا اساس لها من الصحة، لكن لماذا التدخل في شئون عالمنا العربي من قبل الغربي الامريكي.. الم تتدخل السياسة الامريكية في شئوننا تحت مـبرر حقوق الانسان من جهة وحقوق المراة من جهة اخرى؟ الم يبدا انصـار الغـرب في السـاحة الاسلامية يعملون على تهيئة مبـدا التغيـير في قضـايا الاحـوال الشخصـية، ومسـالة التـدين والمتدينين؟ لماذا الحملات الاعلامية على السياسات الداخلية في "السودان، ومصر، والعـراق، والجزائر، وايران" وغيرها؟

الم تكن الحرب ضد العراق مؤامرة غربية امريكية؟ لماذا اذن المنافحة ضد واقع قائم؟ وهذه ليست ظاهرة سياسية فرضتها المصالح فحسب لكنها ايضا سياسة حملت الينا ثقافة الكراهية وثقافة العنف، هذه الثقافـة ولـدت مـن رحـم غـربي امـريكي، وانظـر الى الافـلام الغربية والامريكيـة كيـف تخاطـب الانسـان الغـربي والامـريكي، فهـي تقـوم عـلى الاعـلان لسياسة الاستقواء وفرض السيطرة واستعمال العنف في اقسى وحشية، ليـتعلم المشـاهد في عالمنا كيف يكون حريصـا عـلى الانتقـام والكراهيـة. مـن ثـم يخضـع للتبعيـة الاسـتعلائية الغربية.

وباشرت السياسة الغربية فرض الاحتواء من خـلال اليـات التبعيـة الثقافيـة من خلال دعم نمط الانتاج والقيم والعلاقات الاجتماعيـة، واعـادة انتاجهـا مـرة ثانية لدعم واستقرار نظم العالم المتخلف، وهـو في مشـكلة طرائقـه نظـام وافـد

غير مرتبط بالواقع المعاش.. ونشا النظام التربوي الحديث مع مرحلة المد الاستعماري ليحقق مصالح النخبة ويزيف وعي الناس. ايضا تلك البحوث التي تتبع الادارات الاستخبارية الامريكية والصهيونية تعد الية فعالة من اليات التبعية.

وفي مجال الاعلام تقوم فيه شركات متعددة الجنسية بدور كبير، وهي حوالي [180] شركة في مجال الاعلام والورق والطباعة.

اما عدد وكالات الاعلان الدولية فان عددها 25 وكالة، منها 23 وكالة امريكية في القارات الثلاث، وهذه الوكالات تمولها الشركات متعددة الجنسية للسيطرة على الثقافة الوطنية في الدول المتخلفة والتركيز على انماط وقيم استهلاكية[1].

هذه الظاهرة المنتشرة في بلادنا انعكس عليها واقع دفاعي ديني بين تيارين : اولهما محافظ راديكالي متطرف والاخر يدعو للتواؤم والتكيف مع الواقع والدعوة بالتي هي احسن، وانبثقت من هذين التيارين مجاميع متعددة الرؤى، بيد ان ازمة المقبول والمرفوض من الخلاف ستظل عالقة في ازمة التنابذ بالنصوص الشرعية وفي حوارات عقيمة تنطلق من احتكار الحقيقة المطلقة، وتلتحف بشرعية التخطئة والتصويب بغطاء من الحديث الشريف: " اختلاف امتي رحمة " والحديث الاخر المغيب الذي يقول : " لا تختلفوا فتختلف

---

1) تشير بعض الدراسات إلى أن البحوث الأجنبية المشتركة تعد آلية فعالة من آليات التبعية، حيث نجحت الرأسمالية الأمريكية في التغلغل بآليات البحوث المشتركة إلى كافة الميادين بهدف تنمية التخلف العلمي في مراكز البحث المصرية، وقطعت أشواطاً بعيدة في إفساد عقول الباحثين المصريين..إلخ، انظر : د. شبيل بدران : غزو ثقافي أم تبعية ثقافية، مجلة الوحدة الليبية، السنة الثامنة، العدد 96 (سبتمبر 1992م)، ربيع الأول 1413هـ،ص93.

قلـوبكم"[1] فـالاختلاف في الفكـر يعـد مصـدرا للـثراء الابـداعي، امـا الخـلاف فهـو مصـدر للتباغض والقطيعة المعرفية وتدمير الذات والهوية.

ومن مازق الاختلاف اصدار احكام تعسفية على المخـالفين لهـم في الـراي، واذا كانـت كلتـا الطـائفتين المختلفتـين تحـتكم للكتـاب والسـنة، الا ان تفسـير النصـوص طُـوِّعَ وفقـا للموقف السياسي وليس الدعوة وهناك تبين هوة الخلاف الذي يسـتمد تاريخـه مـن عهـد الخوارج الذين طوَّعوا النصوص وفقا لهواهم.

وانظر الى التوجيه النبوي لمعاذ بن جبل الذي ارسله الرسول الكريم الى الـيمن قاضـيا ومعلما قال له : "انك تاتي قوما اهل كتاب، فليكن اول ما تدعوهم اليه شهادة ان لا اله الا اللـه، وان محمدا رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم. فان هم اجابوك لذلك فـاعلمهم ان اللـه افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فان هـم اطـاعوك لـذلك فـاعلمهم ان اللـه افترض عليهم في اموالهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم لترد على فقرائهم.."الحديث[2].

واذا كان المنظور التاريخي للتيارات الاسلامية في العصـور الوسـطى قـد اخـذ حقـه في الاختلاف وفقا لقواعد مذهبية فقهية، الا ان تسـييس المواقـف قـد اجهـد رجـال السـلطة وعلماءها مما اوجد شقة الخلاف وتكفير الراي الاخر.

ويقدم تاريخ الشيعة والخوارج امثلة واقعيـة لـذلك، وكـل مـنهما طرفـا نقيض من حيث التطرف، بينما تطـرف الخـوارج في ذلـك الى حـد "التكفـير" تطرف الشيعة في الناحية المقابلة الى حد "التاليه" عند بعض فرقهم المتطرفة

1) انظر : الشيخ حسين أحمد شحادة : مقاربات ونقد على ملف الحوار الإسـلامي – الإسـلامي، البحـث عن الوظيفة والأولويات، مجلة الكلمة (العدد 15)، السنة الرابعة، 1997م، ص64.

2) نقلاً عن : د. يوسف القرضاوي : الإسلام والعلمانية وجهاً لوجـه، القـاهرة، دار الصـحوة للـنشر، ط1، 1987م،ص20.

وادعاء "العصمة" وفي كل منها لم يجد الاضطهاد والقمع من قبل السلطة الحاكمة[1].

وكانت مواقفهم تتفق في مسالة الخروج على الحاكم الظالم، وكان اختلافهم في الاساليب، فمنهم من وجد في الثورة "الخروج" وسيلتهم للتعبير عن معارضتهم، اخرون معارضون صابرون نظروا الى المحاذير والمخاطر مما جعلهم اميل الى الطابع السلبي منه الى الطابع الايجابي، وهؤلاء من يصنفوا من اهل السنة، والذين اشترطوا "التمكن" حتى تحقق لهم القدرة والاستطاعة، وتوسطوا بين الثورة والصبر.

"ان الفرق الاسلامية ثارت وعارضت من اجل مبادئها، فالخوارج ثائرون لاجل المظالم واغتصاب الحقوق الذي يفعله الامويون، وهم عندما نجحوا في احدى ثوراتهم نصبوا يزيد بن الوليد (الملقب بالناقص) ليعيد العدل، وان المعتزلة قد ازروا المامون لاعتناق ارائهم، وبذلك نرى ان منطق التعامل هو الاحتواء والاستيعاب باعتناق طرف اراء طرف الاخر"[2].

ومن الماخذ على الجماعة التي اطلق عليها "جماعة التكفير والهجرة" هي انها حددت برنامجها السياسي الديني وليس الاسلامي، من خلال وثيقة "رسالة الايمان"[3] التي وضعت قواعد التكفير : تنص الاولى منها : من لم يسر وفق ما شرع الله فهو كافر، وكل من نصَّب نفسه للتشريع او رسم منهاجا للحياة فقد نصب نفسه الها.

---

1) د. نيفين عبد إلخالق مصطفى : المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي، القاهرة، مكتبة الملك فيصل الإسلامية، ط1، 1985م،ص22.

2) نفس المرجع السابق، ص23.

3) وثيقة رسالة الإيمان للدكتور/ صالح سرية، قائد تنظيم الفنية العسكرية : انظر د. رفعت سيد أحمد، النبي المسلح "الرافضون"، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، ط1، 1991، ص46.

ومن رضي بهذه التشريعات او المنهاج فقد عبد ربا غير اللـه، فاصبح كافرا اذ جعلها بديلا لمنهج اللـه وشريعته " وعلى هـذا كفرنـا الحكومـات لانهـا اتخـذت شرائـع ومنـاهج بديلة لمنهج وشريعة اللـه ولنفس السبب كفرنا الاحزاب والجمعيات والمبادئ".

اما القاعدة الثانية وهي تشير الى ان من انكر اية واحدة من القران فهو كافر.. ولهـذا "كفرنا من قصر الاسلام على العبادة واعطى الحرية لنفسه لان يختار النظـام الـذي يريـده للحياة او حارب تدخل الاسلام في السياسة".

وتشير القاعدة الثالثة الى ان حكم الايمان له ثلاثة اركـان كـما يقـول السـلف (الاقـرار بالجنان، والتكلم باللسان، والعمل بالاركـان). "فـان اختـل ركـن واحـد مـن هـذه الاركـان حكمنا عليه بالكفر".

وعندما سئل الامام الخميني عن نظام الحكـم الـذي يسـعى اليـه اهـو سـني ام هـو شيعي؟ اجاب الخميني : "اننا نريد ان نحكم بالاسلام كما نزل على محمد صلى اللـه عليه وسلم لا فرق بين السنة والشيعة لان المذاهب لم تكن موجودة في عهد الرسول صلى اللـه عليه وسلم[1]".

واذا كان خلاف الماضويين سيطرت عليه افكار اجتهادية في الفقه، فخـلاف المعـاصرين سيطرت عليه مبادئ هامشية جعلوا منها اهدافا استراتيجية لمنهجهم الفكـري.. ففـي عـام 1926م تاسست جماعة انصار السنة المحمدية في القاهرة، اسسـها "محمـد حامـد الفقـي" وهو من خريجي الازهر وينص دستور الجماعـة عـلى العديـد مـن المـواد اهمهـا: " ارشـاد الناس الى ان الحكم بغير ما انـزل اللـــه تعـالى هلكـة في الـدنيا وشـقاوة في الاخـرة" ، " ان

1) د. رفعت سيد أحمد : النبي المسلح (2) الثائرون، لندن، رياض الـرس للكتـب والـنشر، ط1، 1991م، ص53.

اصل الداء هو سماح الناس للنساء بارتياد الملاهي، ودور السينما" و" التعاون مع مختلف الهيئات العلمية والثقافية على احياء التراث الاسلامي".

واتسمت جهود هذه الجماعة بانشاء فروع لها في المغرب والسعودية، وغيرها.. كما قامت الجماعة ببناء ما يقارب من ثلاثمائة مسجد في انحاء مصر، كما عملت الجماعة على تاسيس عدد من المدارس لتحفيظ القران الكريم، ومحو الامية.

واصدرت الجماعة مجلتين اسلاميتين شهريتين، الاولى باسم الهدى النبوي، والثانية باسم التوحيد، ثم اوقفت الاولى وتابعت الثانية مسيرتها، وهي مجلة واسعة الانتشار في العالم الاسلامي.

وهذه الجماعة في نظر الاخرين انها جماعة لا تمثل حركة ذات منهج في التربية، وليس للجماعة اهداف مرحلية محددة، كما لا يوجد لها تنظيم يربط افراد الجماعة بعضهم ببعض، كذلك اعتبارهم النظام والتنظيم بدعة عصرية لا اصل لها. ايضا اعتبارهم البيعة لامام او امير ايضا بدعة عصرية لا اصل لها[1].

اما حزب التحرير الذي نشا في الاردن عام 1953م على يد تقي الدين النبهاني، احد خريجي جامعة الازهر، واهدافه تتمثل باستئناف الحياة الاسلامية، وحمل مشعل الدعوة الاسلامية، واعادة الخلافة الاسلامية. توفي مؤسس الحزب عام 1979م في فلسطين.. يرفض الحزب الافكار الاشتراكية والقومية والديمقراطية.. وتعد الديمقراطية – من وجهة نظر الحزب- صنم العصر، ويحرم الحزب تشكيل احزاب سياسية تحت مظلة الديمقراطية، ويعرف الحزب السياسة بانها رعاية شؤون الناس، وانكر الحزب مبدا الغاية

1) حسين بن محسن بن علي جابر : الطريق إلى جماعة المسلمين، القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط4، 1990، ص265 –280.

تبرر الوسيلة، ويحرم الحزب العمل المسلح ضد الدولة، ويعتبر الحزب احد المدارس الفكرية الاسلامية في الوقت الحاضر[1].

يؤخذ على الحزب من الناحية الفقهية تجويزه تقبيل المراة الاجنبية ومصافحتها، واباحته للصور العارية، واخذ عليه قوله بسقوط الصلاة عن رجل الفضاء المسلم، واخذ عليه فتواه بسقوط الصلاة عن سكان القطبين من المسلمين، واخذ عليه حكمه بالسجن عشر سنوات على من "زنا" باحدى محارمه المؤبدة "مثل الاخت والام"[2].

ومن الناحية السياسية فاراؤه تختلف مع كل التيارات الاسلامية، على سبيل المثال تنص المادة (19) من دستور الحزب (للمسلمين الحق في اقامة احزاب سياسية لمحاسبة الحكام او للوصول الى الحكم عن طريق الامة).. وفي المادة (21) من الدستور (لرئيس الدولة وحده حق تبني الاحكام الشرعية فهو الذي يسن الدستور وسائر القوانين)، وفي المادة (22) من الدستور (يجوز لغير المسلمين ان يكونوا في مجلس الشورى من اجل الشكوى من ظلم الحكام)، اما المادة (24) من الدستور يشير الى ان (لكل من يحمل التبعية اذا كان بالغا عاقلا في ان يكون عضوا في مجلس الشورى رجلا كان او امراة)[3].

اما جماعة التبليغ : اسسها "محمد الياس محمد اسماعيل" في الهند، من اراء الجماعة القول بوجوب التقليد وفرضيته لان شروط الاجتهاد التي شرطها السلف مفقودة في العلماء اليوم. تعتقد الجماعة ان التصوف هو الطريق لايجاد التعلق بالله، وحلاوة الايمان، لا ترى الجماعة ضرورة للنهي عن المنكر

---

1) منشور : بعنوان (حزب التحرير) -تعريف - وزع في مدينة إب من خلال أنصار الحزب (دون تاريخ).

2) حسين بن محسن بن علي جابر : الطريق إلى جماعة المسلمين، مرجع سابق، ص286.

3) نفس المرجع : ص288.

والامر بالمعروف لان ذلك من المعيقات لهذه المرحلة.. كما يمنع على العضو الاطلاع على كتب الفلسفات السائدة في المجتمع، ويجب التفريق بين الدين والسياسة، ولا يحق للعضو البحث في السياسة، او الخوض في اي امر يتعلق بالحكم.. والدعوة لديهم (الانتقال الى بلد اخرى يكون فيها غير معروف، معللين ذلك في قوله تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ امَّةٍ اخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (ال عمران: من الاية110) (اي الى خارج بلادها).

ولهم مواقف معادية للشيخ محمد بن عبد الوهاب بنجد، والشيخ ابي الاعلى المودودي بباكستان، والاستاذ سيد قطب بمصر "يقول احد كبار جماعة التبليغ "الشيخ حسين احمد الحنفي" : اعلموا ان محمد بن عبد الوهاب ظهر امره في اوائل القرن الثالث عشر -الهجري- في نجد وكانت له عقائد فاسدة ونظريات باطلة"، واضاف : "وكان يستحل نهب اموال اهل السنة وقتلهم، وكان يظن ان في قتلهم ثوابا، وعلى الاخص من ذلك اهل الحجاز، فانه اذاهم اشد الايذاء، وكان يسب السلف الصالح وياتي في شانهم بغاية سوء الادب)، (والحاصل انه ظالم باغ سفاك فاسق، ولذلك ابغضه العرب اشد من اليهود والنصارى)[1].

ونقل عن الشيخ محمد يوسف النبوري وهو من كبار قيادة الجماعة قوله في الشيخ ابي الاعلى المودودي : (انادي على رؤوس الاشهاد ان الرجل -المودودي- زائع ضال مضل)، وعن سيد قطب يقول : (ان الرجل جمع بين الشيعة والشيوعية في وقت واحد).. واضاف غلام غوث الهزاروي من الجماعة قوله في السيد قطب : (انه يكفي جمال عبدالناصر لدخوله الجنة انه صلب السيد قطب الباغي الضال)[2].

---

1) نفس المرجع : ص296-298.

2) نفس المرجع السابق.

مما سبق نلاحظ ان جماعة انصار السنة المحمدية، وحزب التحرير، وجماعة التبليغ، كان لهم استقلالية التوجه والتاسيس، ولم يكن لهم علاقة بجماعة الاخوان المسلمين من قبل او بعد.

واذا اعدنا النظر الى التاريخ الفكري الماضوي، نستقرئ حقيقة الاختلاف بين الاطراف المختلفة وكيف كانت تناقش، والحكايات في هذا الصدد كثيرة[1].

ومن المعلوم ان النصوص الاسلامية تدعو الى الاعتدال، وتحذر من الغلو والتطرف " جاء في الحديث الشريف الذي رواه الامام احمد في مسنده والنسائي وابن ماجة في سننهما، والحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : "اياكم والغلو في الدين

---

1) ابن القيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين، القاهرة، دار الحديث، ط1، 1993، ص226.
يشير إلى أن ابن شبرمه قال : " دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد بن الحنفية، فسلمت عليه وكنت له صديقاً، ثم أقبلت على جعفر وقلت له : أمتع الله بك، هذا رجل من أهل العراق، وله فقه وعقل، فقال لي جعفر : لعله الذي يقيس الدين برأيه، ثم أقبل علي فقال : أهو النعمان؟ فقال له أبو حنيفة : نعم أصلحك الله، فقال له جعفر: اتق الله ولا تقس الدين برأيك، فإن أول من قاس إبليس إذ أمره الله بالسجود لأدم فقال : "أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين"، ثم قال لأبي حنيفة : أخبرني عن كلمة أولها شرك وآخرها إيمان، فقال : لا أدري، قال جعفر : هي لا إله إلا الله، فلو قال "لا إله" ثم أمسك كان مشركاً، فهذه كلمة أولها شرك وآخرها إيمان، ثم قال له : ويحك ! أيهما أعظم عند الله : قتل النفس التي حرم الله، أو الزنا، قال : بل قتل النفس، فقال جعفر : إن الله قد قبل في قتل النفس شاهدين، ولم يقبل في الزنا إلا أربعة، فيكف يقوم لك قياس؟ ثم قال: أيهما أعظم عند الله : الصوم، أو الصلاة؟ قال : بل الصلاة.. قال جعفر : فما بال المرأة إذا حاضت تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة؟

اتق الله يا عبدالله، ولا تقس، فإنا نقف غداً نحن وأنت بين يدي الله فنقول : قال الله عز وجل، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقول أنت وأصحابك : قسنا، ورأينا فيفعل الله بنا وبكم ما يشاء".

فانما اهلك من قبلكم بالغلو في الدين". والمراد بمـن قبلنـا اهـل الاديـان السـابقة.. ويقـول اللـه عز وجل : "قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق، ولا تتبعوا اهواء قوم قـد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل" - المائدة 77- وفي (سورة النسـاء171) يقول تعالى : "لا تغلوا في دينكم".

وجاءت الشرائع تخاطـب النـاس كافـة لا مجموعـة معينـة مـن النـاس، لهـذا غضـب الرسول صلى اللـه عليه وسلم على معاذ بن جبل حـين صـلى بالنـاس فاطـال حتـى شـكاه احدهم الى الرسول الكريم، فقال له: افتان انت يا معـاذ؟ وكررهـا ثلاثـا -رواه البخـاري-.. ولما ارسل النبي صلى اللـه عليه وسلم معاذا وابا موسى الاشعرى الى الـيمن قاضـيا وداعيـا اوصاهما بقوله : "يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا.. متفق عليه".

ان اول مظاهر التطرف يتمثل بالتعصب للراي تعصـبا لا يعـترف معـه للاخـرين بوجود.. ويشير احد الباحثين[1]، الى ان من هؤلاء من يجيز لنفسـه ان يجتهـد في اهـم المسائل واكثرها غموضا، ويفتي بما يلوح لـه مـن راي وافـق فيـه او خـالف، ولكنـه لا يجيز لعلماء العصر المتخصصين منفردين او مجتمعين، ان يجتهدوا في راي يخـالف مـا ذهب اليه، ومما ذهب اليه المتنطعون من شباب اليوم هـو مـا اشـار اليـه الباحـث " يوسف القرضاوي" حيث يقول : "لقد راعني ان وجدت بعض الشـباب المخلصـين مـن بعض الجماعات الاسلامية في امريكا الشمالية" - يعيشـون في محـيط سـياسي وفكـري مختلف عن اوطانهم "قد اثاروا جـدلا عنيفـا في احـد المراكـز الاسـلامية لان المسـلمين يجلسون على الكـراسي في محـاضرات السـبت والاحـد، ولا يجلسـون عـلى الحصـير او

---

1) د. يوسـف القرضـاوي : الصـحوة الإسـلامية بـين الجحـود والتطـرف، (كتـاب الأمـة -2)، ط3،شوال،1402هـ،ص40.

السجاد كما يجلس اهل المساجد ويلبسون البنطلونات لا الجلاليب البيض.. الخ، وقد رد عليهم بالقول : "اولى بكم في هذا المجتمع اللاهث وراء المادة ان تجعلوا اكبر همكم الدعوة الى توحيد الله تعالى وعبادته، والتذكير بالدار الاخرة، وبالقيم الدينية العليا، وتحذروا من الموبقات التي غرقت فيها المجتمعات المتقدمة ماديا في عصرنا، اما الاداب والمكملات التحسينية في الدين فمكانها وزمانها بعد تمكين الضروريات والاساسيات وتثبيتها"[1].

وليس لي تعليق على ما سبق الا التساؤل في مسالة الملبس هل الاسلام حدد زيا اسلاميا وضرورة الانقياد به الم يعد ذلك تطرفا؟.. ومن المعلوم ان الجانب الشكلي ليس من المهام العقائدية كما يقرر ذلك الكثير من الذين يقال عنهم متطرفين كالسيد قطب، والشيخ حسن البنا، فلماذا تطرح فكرة التاجيل الى حين وكان المسالة دينية، ان ظروف اليوم تختلف عن الامس ولا يمكن عودة الامس كان ذلك مطلبا دينيا.

لقد اسرفت معظم الجماعات الاسلامية في تكفير الناس احياءً وامواتا بالجملة، ومن المعلوم ان الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : "من قال لاخيه يا كافر، فقد باء بها احدهما" فما لم يكن الاخر كافرا بيقين، فسترد التهمة على من قالها، ويبوء بها وفي هذا خطر جسيم، وقد صح من حديث اسامه بن زيد ان من قال : "لا اله الا الله" فقد دخل في الاسلام وعصم دمه وماله. وان قالها خوفا او تعوذا من السيف فحسابه على الله، ولنا الظاهر، ولهذا انكر النبي صلى الله عليه وسلم غاية الانكار على اسامة حين قتل الرجل في المعركة بعد ان نطق بالشهادة، وقال قتلته بعد ان قال : "لا اله الا الله؟ قال انما قالها تعوذا من السيف؟ قال : هلا شققت قلبه؟

1) انظر : د. يوسف القرضاوي، المرجع السابق، ص45.

ما تصنع بـ "لا اله الا الـلـه"؟!! قال اسامه : فما زال يكررها حتى تمنيت اني اسلمت يومئذ فقط"[1].

وهكذا تعيش الامة الاسلامية في تباين كبير من خلال اطروحات متنافرة، كل له رايه.ز وتصب هذه الاختلافات داخل منظومة الفكر الاسلامي المعاصر، لا قصور في منهجية الفكر فحسب، ولكن ايضا في تفسير الظروف وفقا للمعطيات المنهجية الفكريـة المختلـف فيهـا.. واصبح الفكر الاسلامي لدى هذه الجماعات اليوم اشبه بالكيميـاء.. فهـل هنـاك مقـدمات ليقظة نهضوية اسلامية مستقبلية؟

ازمة الحوار بيـن الجماعات الاسلامية:

الحوار قاعدة اساسية بين ثقافة الراي والراي الاخر، وقاعـدة دينيـة منـذ خلـق الـلــه البشر وانبياءهم، لذلك كان الحوار ضرورة اقناع الرسل والانبياء لمـن يلـيهم مـن الشـعوب ويقوم الحوار على اساس الحجة والبرهان والدليل، وانعـدام الحـوار يـؤدي الى المزيـد مـن الفرقة والتمزق والنزاع، وتسفيه وتجهيـل الاخـر.. ويشـير" راشـد الغنـوشي"[2] الى انـه مـن الملفت للنظر ان يجري حوار بـين الاتجاهـات غـير الاسـلامية فيتحقـق نـوع مـن التعـاون وتوحد الصف. بينما يصبح الحوار بين جماعات المؤمنين اكثر صعوبة، واقل جـدوى، ويعـد ذلك مظهرا من مظاهر التخلف، "ومن معانيه وسـننه : ادعـاء امـتلاك الحقيقـة المطلقـة، وعدم احترام الاخر في فكره ومعتقده، وانصراف الانظار عند الاختلاف الى ما يفرق لا الى ما يجمع".

---

1) نفس المرجع : ص56.

2) الإنسان (فرنسا)، السنة الأولى، العدد الثاني، أغسطس 1990م، ص19 : نقـلاً عـن : زكي المـيلاد : أزمـة الحوار الإسلامي – الإسلامي، الكلمة، العدد (8) السنة الثانية صيف 1995م، ص34.

ويحدثنا التاريخ عن اسلوب من اساليب الحوار تحت اشراف الدولة، كما كان بين "المعتزلة" ومعارضيهم في البدء، ثم تحول الحوار او ما كان يسمى "بالمناظرة" الى منازعة فكرية تحتكم للسوط والسيف في الدولة العباسية الاولى والثانية.

ويعد الحوار في الساحة الاسلامية بوجه عام هو الحلقة المفقودة والذي ينبغي ان تكون له الاولوية والسبق.

ومن مظاهر الحوار وانحطاطه في العصر الوسيط ما ينقل ان سئل احد المتعصبين من الشافعية عن حكم طعام وقعت فيه قطرة نبيذ فقال : "يرمى لكلب او "حنفي" - استنادا الى ما قيل عن الاحناف انهم يبيحون النبيذ-. وسال رجل من معتنقي فكر ابي "حنيفة" : هل يجوز للحنفي ان يتزوج امراة شافعية، فقال : لا يجوز لانه يشك في ايمانها، بينما الاخر انه يجوز قياسا على الكتابية[1].

فهل ازمة الحوار اليوم مستنسخة من صور الماضي التي انتجت المزيد من الانقسام والفرقة او التي اججت الخلاف الى حد النزاعات الاهلية، والاختلافات الوحشية، كما حصل في لبنان من حرب طائفية استمرت احدى عشرة سنة.

بالمقابل وهو الجهاز الحاكم في الساحة الاسلامية الذي اعلن عن بدء الحوار مع الجماعات الاسلامية، وبدا بما يسمى "بالمواجهة" ولكن من طرف واحد، فالجماعات التي كانت في اقبية السجون تلقت دعوة الحوار من باب قبول الراي الاخر دون نقاش، واوجدت نمط مواجهة للتيار الاسلامي تمثل بمفهوم جديد هو التنوير، وهو فكر يقوم على احتكاك معرفي وعلمي بالغرب وطرح كقنطرة لتجاوز مشكلة الترسبات التاريخية، ثم تم اختيار

1) انظر : الشيخ محمد الغزالي : دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، ص99.

فكرة النهضة والتي طرحت من قبل مفكرين اسلاميين وتعني استيعاب الاخر من خلال الفكر الحضاري الاسلامي، لكن لماذا النهضة؟، اذا كانت النهضة استيعاب التقدم فهي بالضرورة تفرض توفير شروط لذلك، وابرز تلك الشروط هو قبول الاخر اولا، ثم البدء بالاخذ بالمعطيات الفكرية والفلسفية التي منحت الاخر اجتياز شرنقة الواقع المعاش والدخول في معمعة التفكير لمراحل النهوض والتقدم، وبالتالي اذا اردنا اجتياز الواقع علينا القبول بمبدا التعايش مع الاخر. والتنازل عن الذات التاريخي الذي يشكل عبئا على الواقع الراهن. وبالتالي يمكن صهر امكاناتنا وقولبتها بحيث تتوافق مع المنظور الغربي.

هذا هو مفهوم التنويريين، اليس ذلك عملا مغايرا لمنطق الجماعات، ومن الصعوبة بمكان فرض فكر غير تقليدي هم يقاومونه ويرفضونه رفضا قطعيا، فاذا كان عدم قبولهم لراي مخالفيهم بالراي من الجماعات الاسلامية، فهل السبيل الى ذلك فرض فكر تنويري مغاير لكل مبادئهم؟

وفي هذا الاطار يمكن القول ان الحوار لا يتم بناءً على توصيات او مقررات مكتوبة كما لا يصدر عن بيان رسمي يوقعة ممثلون عن الجماعات المختلفة، وانما يتم ذلك وفقا لقناعات يمكنها ان تتشكل وتتبلور خلال تاريخ طويل ممتلئ بالخصومات والمنازعات كان فيه ميزان القوى متعادلا.. فهل تعيد الجماعات الاسلامية صياغة الحوار ابتداءً من نقد الواقع الراهن؟ وهل يمكن اعادة تشكيل عقلية الجماعات الاسلامية وفقا للمنظور الغربي القائم على مبدا تسويق فكرة العولمة؟

يشير الباحث "علي حرب"[1] ان العولمة واحدة من المفردات التي خلقت ولا تزال سجالات حامية ومواقف متناقضة، ويرى البعض انها الفردوس الموعود في حين ينظر اليها اخرون كخطر داهم، يتساوى في ذلك العرب وغيرهم.

يبدو من هذا المفهوم كان اتفاق الاخوة الاعداء من الجماعات الاسلامية في تحديد توجهاتهم العدائية نحو الفكر المعولم القادم من الغرب، وفضلوا برايهم البقاء خارج الخارطة السياسية الجديدة والتي تدفع بعجلة العولمة نحو الشرق، واكسب الخارجين او الرافضين لهذا الاتجاه شعبية تنسع قاعدتها بين الحين والاخر، خاصة عندما اصبح العداء لاسرائيل امرا غير مقبول اوروبيا والممارسات اللاانسانية التي تمارسها السياسة اليهودية في فلسطين عمل دفاعي، لذلك اتجهت عواطف معظم القوى الوطنية والثورية مؤيدة للتيارات الاسلامية لمعظم فصائلها المتناحرة، والرافضة لامركة الشرق الاوسط والعالم الاسلامي بوجه خاص.

الاختلاف في استنباط الاحكام بين الجماعات الاسلامية:

وهل يمكن اعادة تشكيل عقلية الجماعات الاسلامية، وفقا للمنظور الثقافي المعاصر؟ هل يمكن وصف المفهوم العلمي للاجماع على انه فكر الاغلبية؟ ومن المعلوم ان الاجماع كفكر فقهي قد وضع الحلول لكل المسائل الاساسية فلم يبق للقادمين من الاجيال شيئا يكتشفونه، وليس بوسعهم فقهيا الاضافة للشريعة الاسلامية.

---

1) علي حرب : حوار الثقافات وإلخروج من المأزق تمرس في سياسة معرفية جديدة، المنطلق الجديد، العدد الثالث، صيف - خريف 2001،ص109.

ويشير الباحث "Toby E. Huff"[1] الى ان العقلانيين المسلمين اصحاب الفكر المعتزلي كانوا على استعداد لان يعزوا للانسان قوى عقلية كاملة، وكان العقل عندهم هو الملكة التي جعلت الانسان "خالق افعاله" والحكم الفصل بين الخير والشر، وقادهم هذا التفكير في الوقت ذاته الى الاعتقاد بان "الله لا يمكنه ان يفعل ما يجافي العقل والعدل"، ونتيجة للحوار مع السنة الاشعريين، وكان محور الرد على المعتزلة ان المسائل العملية بما فيها الشرع والاخلاق التي لها مساس بالحياة الفعلية المعيشة من مسئولية الشريعة. وانتصر فكر الاشعريين على اصحاب العقل "المعتزلة" الا ان ذلك ادى الى نتيجة عكسية بحيث لم يعد الفكر الاخلاقي حرا ليعمل "على اكتشاف الحلول العملية لمعضلات الحياة ولان يخلق رؤية اشد استنارة للحياة الاخلاقية"[2]، وبدراسة للادبيات المتعلقة بخصائص الجماعات الاسلامية انها اوجدت لنفسها قاعدة اجتماعية شعبية من جانبين اثنين : من جانب اعتمادها على التدين التقليدي الراسخ في عامة فئات الشعب اولا، ثم من جانب اخر انها

---

1) توبي أ. هف : فجر العلم الحديث، الإسلام - الصين - الغرب، ترجمة : محمد عصفور، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، الكويت عدد (260)، أغسطس 2000م، ط1، ص129.

2) المرجع السابق : ص130 : ويشير الباحث إلى قول الأشعري في تحدثه عن منهجه ومذهبه، يقول : "إلى أن السلف بحثوا كل المسائل التي عرضت لهم في أمور الدين من جهة الشريعة، كالواجبات الشرعية.. مثل الجزاءات، والطلاق، وهي أمور تفوق الحصر. وهذه أمور شرعية تتناول تفاصيل الحياة التي أخضعها السلف للشريعة التي لا تهمل شاردة ولا واردة من أمور الحياة... ولذا تعذر فهمها إلا من خلال النقل عن الأنبياء، أما الأمور التي تنشأ في مجال المبادئ لحل مسائل العقيدة فإن كل مسلم عاقل يجب أن يحيلها إلى هذه المبادئ العامة المتفق عليها، القائمة على أساس العقل والحس والمعرفة المباشرة..إلخ، ولهذا فإن مسائل الشريعة التفصيلية النقلية يجب أن ترد إلى مبادئ الشريعة التي مصدرها النقل، بينما المسائل التي تعود للعقل والتجربة فلا بد أن يكون لها أساسها، ولذا يجب إلا يخلط النقل والعقل أبداً"

حركة شائعة في الطبقات الوسطى من المجتمع العربي وتستمد من هـذه الطبقـة انصـارها المريدين[1].

ويصف هـذا الموقـف "يوسـف القرضـاوي" انهـم يسـيرون في واد غـير وادي الاسـلام، يوالـون مـن عـادى اللـــه، ويعـادون مـن والى اللـــه.. ولا يـذكرون الاسـلام الا في الاعيـاد والمناسبات تمويها على شعوبهم، وضحكا على لحاهم"[2].

ومن اسباب ضعف التيارات الاسلامية في الساحة، هو انهم لا يسمعون لمـن يخـالفهم الراي، ولا يقبلون الحوار معه، ولا يتصورون ان تتعرض اراؤهـم للامتحـان، وكثـير مـنهم لم يتلق العلم من اهله وشيوخه المختصين بمعرفته، وانما تلقاه من الكتب والصحف مبـاشرة، دون ان تتاح له فرصة المناقشة والاخذ والرد، ولكنه قرا شيئا وفهمه واسـتنبط منـه، وربمـا اساء القراءة، او اساء الفهم، او اساء الاستنباط وهو لا يدري[3].

---

1) مصطفى الغيلالي : الصحوة الدينية الإسلامية، خصائصها وأطوارها، مستقبلها، نـدوة مركـز دراسـات الوحدة العربية : الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي، ط2، بيروت، ماس 1989م، ص342.

2) د. يوسـف القرضـاوي: الصـحوة الإسـلامية بـين الجحـود والتطـرف، مرجـع سـابق، ص109. ويشـير د.مصطفى الغيلالي: المرجع السابق،ص342 : إلى أن الحركات الإسلامية المعبرة عـن الصـحوة الدينيـة قد نشأت وسط أزمة حضارية استفحلت مظاهرها في كل الأقطار العربية،وقد توالـت عـلى المجتمـع العربي الإسلامي منظومة متداخلة من التغيرات الداخلية وإلخارجية تمثلت أبـرز مظاهرهـا في إلغـاء نظام إلخلافة، وفي فقدان العديد من الأقطار العربية استقلالها في الحكـم وتـوهين السـلطة الوطنيـة ووقوعها في أوحال التبعية والإستكانة للحكم الأجنبي، ومن الطبيعي أن يكون التعلق بإلخلافـة رمـزاً لسيادة الحكم الإسلامي في مقدمـة خصـائص الحركـة الإخوانيـة في مصر، وأن تحتـل قضـية حاكميـة اللـه وتطبيق الشريعة المرتبة الأولى بين اهتمامات الجيل الأول مـن رواد الصـحوة، فتقـوم الـدعوة لذلك على حساب الأنظمة القائمة، وفي حملة من التشديد على الحكام المباشرين للسـلطة الاسـتنكار لخروجهم من شريعة الإسلام.

3) د. يوسف القرضاوي : المرجع السابق، ص89.

وكما هو الشان في اليمن معظم هؤلاء الشباب المندفعين نحو تغيير المجتمع وفقا لهواهم، معظمهم حرموا من التعليم الابتدائي، وتلقى معارفه من حلقات دراسية تجرى في المساجد الخاصة بامثال هؤلاء. وينظرون للواقع الاسلامي بطريقة تدعو للضحك والبكاء معا، فحصيلتهم العلمية تكاد تكون قائمة على حفظ بعض الاشرطة المسجل عليها مواعظ دينية ممن تحصلوا على معلومات اولية في المبادئ الاسلامية، وبالتالي تبدا مهامهم في الوعظ والارشاد والفتوى.. فاي مشروع سياسي اسلامي يتوخى من هؤلاء انصاف المتعلمين؟

العلم فريضة دينية "كما جاء في الاثر" "اطلبوا العلم ولو بالصين"، والتفكير في القضايا المصيرية فريضة دينية ايضا "من لم يهتم بامر المسلمين فليس منهم". لذلك الضرورة تقتضي توجيه هؤلاء الشباب، والدولة معنية بذلك، والفراغ الذي يعيشه معظم الشباب هو اهم نقطة انسلاخ عن المجتمع لان هؤلاء الشباب بحاجة الى حوار وتوجيه.. لا الى تنفير بالسجن واجراء معاملات مجافية للدين والاخلاق والقيم والمبادئ والدستور الذي صنع من اجل المجتمع.

ويشير الباحث "العلواني"[1] الى ان سبب الاختلاف تتباين بين الاعصار، وان كان كل عصر يورث الاعصار التالية بعض اسبابه، وابرز واهم اسباب الاختلاف اليوم بين المسلمين الجهل بالاسلام، او العلم الناقص به.

وعلى ضوء المعطيات التي تناولناها في هذا الصدد، يمكن الاشارة الى اسباب الانحطاط الفكري لدى معظم شيوخ الجماعات الاسلامية وتتمثل بالاتي:-

---

1) د. طه جابر العلواني : أدب الاختلاف في الإسلام، [سلسلة كتاب الأمة – عدد9]، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية – قطر، ط1، جمادي الأولى، 1405هـ،ص152.

اولا : تفسير النصوص وفقا لمنهج ظاهر النص، ويمكن انتقاء ايات واحاديث معينة دون الالتفات للمقاصد العامة للاسلام في عقيدته وشريعته، ونتيجة لذلك يمكنهم تكفير من يرغبون تكفيره ولمن يؤمن بالاحتكام لقوانين وضعية، نزولا عند قوله تعالى : "ومن لم يحكم بما انزل الله فؤلئك هم الكافرون"، او اباحة فريق منهم للعنف وتخريب مؤسسات المجتمع استنادا الى قوله تعالى : "ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين"(الحشر).

ثانيا : اخذ المعرفة الدينية عن طريق السماع عن الخطباء والوعاظ واحتقار اراء الائمة المجتهدين والتسليم بحق الاجتهاد المطلق لزعمائهم، واصبح امراء تلك الجماعات يدعون الاجتهاد ويمارسون الافتاء في امور الدماء والاموال والاعراض بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. ونتيجة لهذا الافتاء تورط معظمهم في امور تخالف صريح المعقول والمنقول وتخالف الشريعة[1]. لقد قام بعض هؤلاء بتزويج اخته وامه المتزوجة دون ان تطلق استنادا الى ان زوجها كافر لرفضه الدخول في الجماعة "بعد ان بلغته دعوتها او لانه مرتد لخروجه منها"[2].

ثالثا : الطاعة المطلقة لامير الجماعة، وقد لا يكون على علم باحكام الشريعة ومقاصدها.. وتستند الطاعة الى التبعية في المنشط والمكره.

رابعا: العزلة عن المجتمع، وذلك لتجنب اعضاء الجماعة ارتكاب المنكرات التي تملا جوانب المجتمع، او المشاركة في منهج الجاهلية.. ويوفر له العزلة تكوين مجتمع خاص بهم تطبق فيه مبادئ الاسلام.. وتتسع دائرته شيئا فشيئا حتى يمكنها في النهاية غزو المجتمع الجاهلي من خارجه. وهذه

---

1) د. أحمد كمال أبو المجد : حوار لا مواجهة، دراسات حول الإسلام والعصر، [كتاب العربي - العدد 7]، 15 أبريل، 1985م،ص53.

2) نفس المرجع : ص54.

العزلة تمثل "مرحلة العهد المكي" عندما كانت الجماعة المسلمة مستضعفة لم تقو شوكتها بعد، وترتيبا على ذلك لا ضرورة لوجوب صلاة الجماعة والعيدين، وتحريم الزواج من المشركات، وعدم وجوب رد العدوان، ويجب ذلك كله عندما تصل الجماعة الى عهد "التمكين".. وهذا هو المفهوم لمشروعهم السياسي.

وليست هذه سياسة متفق عليها لدى كل الجماعات، فكل جماعة لها نمط فكري مختلف عن الاخرى، ولذلك فالحوار بينهم قائم على تكفير الاخر دون مواجهة فكرية يمكن اقناع احدهما بما لديه من افكار.

اما انماط معارف هذه الجماعة فهي تتمثل بفكر زعمائها والذي يمتلك تصورا ظاهريا لنصوص القران الكريم، وابرز هؤلاء المفكر الهندي المسلم "ابو الاعلى المودودي"[1] اذ يقول : "الاسلام لا يقبل ابدا ان يعلن الانسان ايمانه بالله رب العالمين ثم يصرف امور حياته وشئونها وفق قانون غير الهي، لان هذا تناقض، فالقران يقرر ان الله تعالى هو مالك الملك، ومن ثم فهو صاحب الحق في الحكم بداهة ويفصل القران ذلك:

﴿ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ﴾ (ال عمران: من الاية26)

﴿ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (غافر:12)

﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ (الاسراء: من الاية111)

﴿وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ احَداً﴾ (الكهف: من الاية26)

﴿ الا لَهُ الخلْقُ وَالْامْرُ﴾ (لاعراف: من الاية54)

﴿ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْامْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ انَّ الْامْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾

1) أبو الأعلى المودودي : الحكومة الإسلامية، القاهرة، المختار الإسلامي، 1980م،ص21.

(ال عمران: من الاية154)

ويخالف المودودي مفكرين اخرين منهم "وحيد الدين خان"، يشير الى ان مشكلة "المودودي" انه منح السياسة المقام الرئيس في الدين الاسلامي، وتكونت فكرة الدين في ذهنه على اساس غلبة اللون السياسي على كل جزء من اجزاء الدين، من ذلك يقول " المودودي"[1] : الهدف المنشود من جهودنا هو انقلاب الامامة، اعني هدفنا المقصود في حياتنا هذه هو نهاية امامة الفجرة الكفرة ورئاستهم، واقامة نظام الامامة الصالحة، ونعتقد ان هذه الجهود هي وسيلة لابتغاء مرضاة الله عز وجل في الدنيا والاخرة"، "ان هدف الجماعة الاسلامية وغاية ما تسعى اليه هو اقامة الحكومة الالهية في الدنيا وابتغاء مرضاة الله في الاخرة"، وطالما اصبح الاسلام فكرا سياسيا فمن الطبيعي ان تكون الجماعة الاسلامية جماعة سياسية. يقول المودودي : "بمجرد اعتناق المرء للاسلام فانه يصبح عضوا في الجماعة الاسلامية، وتقوم الجماعة الثائرة العالمية التي يسميها القران بـ "حزب الله" بالجهاد في سبيل الله لنيل بغيتها، ومطلبها ان تقتلع جذور اي حكم غير اسلامي، ليؤسس مكانه بنيان حكومة مدنية اجتماعية متزنة[2] اطلق عليها القران اسما جامعا هو "كلمة الله" وهي ليست جماعة المبلغين والواعظين البسطاء، بل هي جماعة عسكرية الهية مهمتها ان تزيل من وجه الارض الظلم والفساد والطغيان والعناد..

افكار المودودي قوية ولها تاثير كبير في معظم التيارات الاسلامية بما في ذلك "جماعة الاخوان المسلمين" وهو بحق ابرز المنظرين للتيارات الاسلامية المتشددة منها والمعتدلة.

---

1) دستور الجماعة الإسلامية 1948م : نقلاً عن : وحيد الدين خان : التفسير السياسي للدين، القاهرة، دار الرسالة الربانية، ط1، 1991م،ص26-27.

2) نفس المرجع :ص29.

ويشير "المودودي"[1] الى احد علماء المسلمين في الهند، دون الاشارة الى اسمه، والذي كتب اليه بالنص الاتي:

معنى هذا ان الاسلام الذي يضمن امن الانسان وسلامته ويحميها يتدخل في اديان الاخرين ومذاهبهم، وعلى هذا الاساس يؤجج نيران الحرب والقتال مما يتنافى وقوله تعالى (لا اكراه في الدين) (البقرة 256).

يتضح من الاية (لكم دينكم ولي دين) (الكافرون6) ان للمخالفين حرية البقاء على مذاهبهم ومعتقداتهم، ومن ثم فلا بد من حصولهم ايضا على حرية الحركة في سبيل نشرها والدعوة اليها، فهم ايضا يعتبرون مذاهبهم على حق وصواب، وهذه الحرية تظهر لنا من خلال مفاهيم القران العديدة في هذا الصدد، كما ان القران يثبت كذلك الجدل والمناظرات كما في الاية (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن) (العنكبوت46)، وقد حفظت معابد غير المسلمين وطرق عبادتهم ورسومها من المساس بها والتدخل فيها، كذلك اختار سيدنا يوسف عليه السلام العمل عند عزيز مصر الذي كان مشركا في عمله وعقيدته، ومع ذلك كان سيدنا يوسف يدعو الى عقيدته امنا سالما وهذا واضح من الاية ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ ارْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ امِ اللـهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾(يوسف:39). مما نفهم منه ضرورة حصول الاخرين ايضا على حقهم في نشر افكارهم والدعوة اليها.

بالنظر الى العبارة التي تعلو الخط يتضح ان المسلمين لا يستطيعون الحياة امنين داخل اية مدينة تضم سكانا من اديان وعقائد مختلفة، فكيف يمكنهم اذن العمل في تعاون وتسامح مع غيرهم في بقية امور المجتمع اذا كانت العقيدة السياسية والاساسية وحدها هي العائق المانع؟

---

1) أبو الأعلى المودودي : الحكومة الإسلامية، المرجع السابق،ص25-26.

واذا كان هـؤلاء المسـلمون مـن رعايـا تركيـا او ايـران[1] مـثلا، فـانهم -طبقـا لرايـك- سيرفعون راية الجهاد لان القانون الاسلامي لا يطبق في هذه البلاد، وعلى هذا لن تسـتطيع اية جماعة مسلمة ان تتعامل او تتعاون مع غير المسـلمين لان مـا ذكرتمـوه مـن اسـتدلال يعوقهم عن الاشتراك او التعاون في العمل باي شكل من الاشكال.

واذا كان لاية جماعة مسلمة حقها في نشر عقائدها فان غير المسلمين لهم هذا الحـق ايضا خاصة اذا كانوا هم الحاكمين المسيطرين فما لا تحبه لنفسك لا تحبه لغيرك.

لقد عقد الرسول عليه الصلاة والسلام معاهدة عمل وتعاون مشترك مع اهل الكتـاب في المدينة المنورة فهل كانت تلك المعاهدة مبنية على مثل هذه الشروط؟ كـما ان المراحـل الاولى من المعهد المكي لا تؤيد استدلالك. وبعبارة اخرى ان مجرد وجود مثل هذه الجماعة يعتبر تحديا سافرا للحكومة غير الاسلامية التي تحكم المجتمع الذي يضم هذه الجماعة اذ لو اشتد ساعدها لشهرت سيوفها للاطاحة بنظام الحكم وقوانينه، فمن الـذي يسـتطيع ان يتحملها اذا ؟ ا.هـ

ويجيب "المودودي"[2] عـلى هـذه الاعتراضـات بـالقول : "لا يمكـن ان يـدون في بضـع جمل، غير ان الحقيقة هي ان وراء هذه الاعتراضات مخزنا كبيرا ومستودعا ضـخما مكتظـا بالاخطاء التي تتفشى في اوصال الامة بشكل مفزع، مما جعل المسلمين عاجزين حتـى عـن فهم معاني دينهم ومفاهيمه الاساسية".

الا ان الصراعات الفكرية بين المسلمين تقابلها صراعات فكرية ودموية بين الاوروبيين في الماضي، "ولن تنسى اوربا الحـروب الدينيـة الكثـيرة التـي

1) إيران في عهد الشاه قبل الثورة الإسلامية، 1979م.

2) أبو الأعلى المودودي : المرجع السابق، ص27.

ملأت ساحتها بالـدماء ! وقـد وضـعـت هـذه الحـروب اوزارهـا، الا ان الكراهيـة ناشـبة في اعـماق الصـدور يخفيهـا انشـغال الكـل بالعلمانيـة التـي اقصـت الـدين وسـيطرت عـلى الدولة"[1].

وفي عالمنا العربي والاسـلامي اليـوم جماعـات تقمصـت فكـر الخـوارج، والـذين كـانوا اصحاب قلوب قاسية، واكثر وحشية، والقلب القاسي ابعد شيء عن اللـه !!، لـذلك عنـدما نستذكر مقولـة واصـل بـن عطـاء ورفاقـه عنـدما التقـى بالصـدفة بجماعـة مـن الخـوارج فسالوهم عن دينهم!! لو عرفوا من هم لقتلوهم!! قالوا نحن مشركون مسـتجيرون! حتـى يعاملوا بمقتضى الاية الكريمة ﴿وَانْ احَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَاجِرْهُ حَتَّى يَسْـمَعَ كَـلامَ اللـه ثُمَّ ابْلِغْهُ مَامَنَهُ﴾(التوبة: من الاية6). ان قسوة القلب لعنة من اللـه نسـتعيذ بـه منها سبحانه.

ويشير "يوسف القرضاوي" الى حاجة المسـلمين الى مسـتويين مـن الفقـه، الاول : فقـه الشرع : ويقـوم عـلى فهـم عميـق لنصـوص الشرع ومقاصـده حتـى يسـلم بصـحة مبـدا الموازنات بين المصالح بعضها وبعض، وبين المفاسد بعضها وبعض، وبين المصـالح والمفاسـد، اذا تعارضتا بحيث نعرف متى نقدم درء المفسدة على جلب المصلحة. وهذه الرؤية يقرها جماعة الاخوان المسلمين، وكانه سياق فكري واحد، كما هو الحال في الـيمن ومصر والاردن وغيرها من البلدان.

المستوى الثاني : فقه الواقع، وهذا مبنـي عـلى دراسـة "الواقـع المعـيشي" دراسة دقيقة مستوعبة معتمدة على اصح المعلومات وادق البيانات.. ويمكـن تكامل فقـه الشرع وفقـه الواقـع حتـى يمكـن الوصـول الى الموازنـة العلميـة السليمة البعيدة عن التفريط او الغلو.. فاذا تعارضـت المفاسـد والمضـار، ولم

---

1) محمد الغزالي : نحو تفسير موضـوعي لسـور القـرآن الكـريم، الأجـزاء العشرة الأولى، القـاهرة، دار الشروق، ط2،1992م،ص74..

يكن لنا بد من بعضها، فمن المقرر ان يرتكب اخف المفسدتين واهون الضررين.. فيمكن تحمل الضرر الادنى لدفع الضرر الاعلى، ويتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام[1]. اذا غاب عنا فقه الموازنات سددنا على انفسنا كثيرا من ابواب السعة والرحمة، واتخذنا فلسفة الرفض اساسا لكل تعامل، والانغلاق على الذات تكاة للفرار من مواجهة المشكلات والاقتحام على الخصم في عقر داره[2].

ويضيف "القرضاوي" الى ان اناسا يرون مقاطعة اجهزة الاعلام كلها، مقروءة، ومسموعة، ومرئية، لما يشوبها من انحراف وفساد في الفكر والسلوك، ويرد عليهم بان تركها لا يزيدها الا فسادا وخبالا، وسيمكن العلمانيين والمنحلين من التغلغل فيها والتخريب لها، ومن نظر الى الامر في ضوء فقه الموازنات وجد ان الدخول في هذه الميادين مستحب بل وواجب[3].

الموقف من الديمقراطية:

تعد الديمقراطية من وجهة نظر الاسلاميين فكرا وافدا على الامة الاسلامية، لذلك تحرم التيارات الاسلامية المتعددة مبدا "الديمقراطية" او التعددية الحزبية، في اواخر النصف الاول من القرن العشرين وقف مؤسس جماعة الاخوان المسلمين الشهيد "حسن البنا" موقف الرفض الكامل من الحزبية عموما ومنها في مصر خاصة. وعلى الرغم من انه يعترف صراحة بان جماعته "جماعة سياسية معنية بالدولة والنظام السياسي اضافة الى عنايتها بالدين والعقيدة".

---

1) د. يوسف القرضاوي : أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، القاهرة، مكتبة وهبة، ط1991،1،ص26.

2) القرضاوي : المرجع السابق،ص32.

3) نفس المرجع :ص32.

ودافع البنا عن الاصلاحات في العمل السياسي من وجهة واحدة وصف واحد[1] "يعتقد الاخوان ان هناك فارقا بين حرية الراي والتفكير والابانة والافصاح والشورى والنصيحة، وهو ما يوجبه الاسلام، وبين التعصب للراي والخروج على الجماعة، والعمل الدائب على توسيع هوة الانقسام في الامة وزعزعة سلطان الحكام وهو ما تستلزمه الحزبية وياباه الاسلام ويحرمه اشد التحريم، والاسلام في كل تشريعاته انما يدعو الى الوحدة او التعاون"[2].

والفرق الاسلامية التي اهتمت بالفكر السياسي تشترك في التصور السياسي للمجتمع مستندة الى الدين وخاصة جماعات السنة والشيعة والخوارج، باعتبار ان الظاهرة السياسية هي نمط حضاري تقام منها وعليها اصلاح دنيا المجتمع، وكان الرسول -عليه الصلاة والسلام- قد جمع بين السلطتين الدينية والدنيوية منذ قيام دولة المدينة في يثرب.

واذا فرض السؤال نفسه من هم اهل السبق في المسالة السياسية الاسلامية الشيعة ام اهل السنة؟

نلاحظ ان الصراع الدامي بين انصار علي بن ابي طالب وانصار الامويين وانشقاق الخوارج من حلبة الصراع ادى ذلك الى توجهات فكرية سياسية متعددة الاقطاب.

اتى الخوارج بعبارة " لا حكم الا لله " ورد عليهم الامام علي " كلمة حق اريد بها باطل"، انما لابد للناس من امام بر او فاجر، ولذلك وجب نصب الامام اول بحث في كتب الامامة، سواء لدى اهل السنة او الشيعة، ووقعت تبعة نشاة النظريات السياسية في الاسلام على عاتق الشيعة، يقول ابن

---

1) انظر : د. عبد الإله بالقزيز: الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،ط1،2002م،ص141.

2) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، بيروت،دار القلم،ص288.

النديم[1]: ان اول من تكلم في مذاهب الامامة هو "علي بن اسماعيل بـن ميـتم الـتمار" في كتابه الامامة من منظور شيعي، ويعود السبب الى استبعاد متعمـد لال بيـت النبـي عـن الخلافة، واضطهاد وتقتيل لال البيـت وشـيعتهم منـذ قيـام الدولـة الامويـة، ادى ذلـك الى انبثاق نظرية الامامة.

وعلى خلاف ذلك كان موقف اهل السنة اقـرب الى التسـليم بـالامر الواقـع سـعيا الى وحدة الجماعة الاسلامية[2]، ودون تاييد للامويين او خروج عليهم، يدل عـلى ذلـك موقـف "الحسن البصري -110هـ" فقد وصف الحجاج بانه الطاغيـة الـذي سـفك الـدم الحـرام في البيت الحرام، واخذ المال الحرام، ومع ذلك قال : "ارى الا تقـاتلوه، فانهـا ان تكـن عقوبـة من الـلـه فما انتم برادي عقوبة الـلـه باسيافكم، وان يكن بلاء فاصبروا حتى يحكم الـلـه وهو خير الحاكمين"[3].

لذلك كان حرب الخوارج للامام علي "بصرف النظر عن وجه الصواب او الخطـا فيهـا، من اجل المبادئ لا الاشخاص على خلاف الامر فيمن حاربه في واقعة الجمـل وصـفين، كـما ان التنظير المتكامل للسياسة في الفكر الاسلامي انما نشا في اواسط الشيعة كحزب معـارض، رد فعل للماسي التي لحقت بال البيت، والاضطهاد الذي نال الشيعة"[4].

و تسـتند الديمقراطيـة الى احـترام الارادة الكليـة للمجتمـع وتقـوم عـلى اساس حكم الاغلبية ممثلة في المجالس النيابية، لذلك جـاء انتقـاد التقليـديين للمفهوم الديمقراطي على انه نظام غربي وافد الينا يقـوم عـلى فكـرة الفصـل

1) ابن النديم : الفهرست، المقالة الخامسة، ص249.
2) د. أحمد محمود صبحي : النظريـات السياسـية لـدى الفـرق الإسـلامية، عـالم الفكـر، العـدد الثـاني، مج222 (أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر) 1993م،ص138.
3) ابن سعد :الطبقات الكبرى، ج1،ص119.
4) د. أحمد محمود صبحي: المرجع السابق،ص138.

بين الدين والدولة، وان الانسان هو الذي شرع لنفسه نظام حكمه. ويشير الى ذلك القول "محمد الغزالي"[1] الى ان المسلمين في تاريخهم الطويل يقيمون الحدود ويصونون الدماء والاموال والاعراض، ولم يتركوا الاحكام السماوية الا عندما اغار عليهم التتار، واستبدلوا بالاحكام السماوية تعالىم من وضع طواغيتهم في كتاب اسمه "الباسق".

وعندما غار الاوربيون على العالم الاسلامي احلوا القوانين الوضعية محل الشرائع الدينية فشاع في انحاء الدنيا الفساد الاخلاقي، لان الاوربيين في قوانينهم اباحوا الزنا ما دام بالتراضي الحر! واباحت بريطانيا اللواط!!. واهالوا التراب على شرائع الحدود والقصاص فلا يتحدث عنها احد الا جريئا يتعرض للملام والمؤاخذة[2].

ان ظاهرة تغيير الواقع الاسلامي اصبح ضمن "اجندة" الغرب باكمله بما في ذلك الامريكان، وتم وضع برنامج حدد فيه اولويات التغيير، كالتنازل عن بعض القضايا التشريعية وخاصة في مجال الملكية الخاصة، كما حصل في عهد المد الشيوعي الماركسي، مسالة حقوق المراة وفقا للنمط الاوربي، والسعي وراء مسالة تغيير المناهج الدراسية بما يتلاءم مع القناعة الصهيونية التي تعمل جاهدة بان ذلك التغيير جزء مهم من مسالة الامن الاسرائيلي.

ويبدو للباحث ان الحراك الصهيوني بدا يلعب دوره من خلال وقف المد القومي وتجفيف منابعه من خلال وقف الانشطة البحثية العلمية ذات الطابع القومي الوحدوي، ووقف حركة التعاون العربي - العربي، والعمل على التقليل من اهمية المراكز البحثية التابعة للجامعة العربية.

---

1) محمد الغزالي : نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، مرجع سابق، ص79.

2) محمد الغزالي : المرجع السابق، ص79م.

ما هي الديمقراطية التي اثارت جدلا بين التيارات الاسلامية؟

للديمقراطية مفاهيم متعددة، بالبدء كان المفهوم اليوناني الشائع من انها حكم الشعب بالشعب وللشعب، او الربط بين الديمقراطية كمفهوم وصورة من صور التطبيق الديمقراطي الحديث، وللديمقراطية اربعة مفاهيم : المفهوم الاول هو تاريخي تطور بتطور المجتمعات وتعدد ثقافاتها، ويتمثل ذلك في المساواة، وان النظم والمؤسسات والعلاقات التي تلقب بالديمقراطية، وهي تلك التي تعظم المساواة بين البشر في فرص الحياة في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فهي كمفهوم كانت تمثل سلاح الفقراء والضعفاء والمتطلعين الى عالم افضل لكي ينتزعوا حقوقهم السياسية والاجتماعية.

والديمقراطية في الفكر الليبرالي جوهرها الحرية، وليست المساواة وتدخل المساواة فيها فقط الجانب السياسي بين المواطنين[1].

المفهوم الثاني ان الديمقراطية واجهت ازمة خلال العشرينات من القرن العشرين خاصة عندما صعد الحزب الفاشي الايطالي الى السلطة، وفي الثلاثينات سقوط جمهورية فيمار وانتصار النازية في المانيا، ادى ذلك الى صدمة للمفهوم الديمقراطي، وجاء سلوك الديمقراطية الغربية تجاه الفاشية في المانيا وايطاليا ورغبتها في التعايش والتكيف معها، واعتبار الشيوعية خطرا اكبر من الفاشية[2].

---

1) انظر : هلنزكلسن: الديمقراطية وقيمتها، تعريب (علي الجماعي)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية [د.ت]،ط(بدون)،ص119.

2) د. علي الدين هلال : مفاهيم الديمقراطية في الفكر السياسي الحديث : أزمة الديمقراطية في الوطن العربي، (بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية) ط1، 1984م،ص37. انظر أيضاً : محمد عبدالله عنان، المذاهب الاجتماعية الحديثة،ط2، القاهرة، مطبعة الاعتماد، 1945م،ص37.

المفهوم الثالث، ويتمثل باحياء التقاليد الديمقراطية في الفكر والممارسة الاشتراكية.. وهو المفهوم الاخير للديمقراطية، ويتحمل مفكرو العالم الثالث بالتحليل وتشخيص واقع هذه البلاد وخصوصيته ومشكلة الديمقراطية في دول العالم الثالث[1].

فالديمقراطية لم تظهر بالمعنى الليبرالي الا في القرن 18م حين دعا المفكرون الاوربيون بفكرة المساواة، وطالبوا بحق الشعب في اختيار حكومته وفي الاشراف عليها، وفي ظل الديمقراطية الدستورية انطلقت القوى السياسية الاقتصادية في اوروبا فاقترنت بالراسمالية الغربية، وهي تقبل على تاسيس الصناعات الضخمة وفتح الاسواق العالمية واجتياح العالم العربي في اسيا وافريقيا وانشاء امبراطورية استعمارية على انقاضها، ادى ذلك الى ظهور فكر جديد يدعو للاشتراكية التي تناولت بالنقد الشديد للديمقراطية الغربية "البرجوازية".

الديمقراطية تعود بجذورها التاريخية الى "سقراط وافلاطون، وارسطو" وجوهرها توسيع دائرة الحقوق بين البشر من اجل التساوي في فرص الحياة، فاوربا نشات فيها الديمقراطية في القرنين السابع عشر والثامن عشر وقاوم المفكرون الليبراليون الديمقراطية اولا، ثم استوعبوها تدريجيا، فعلى سبيل المثال: فان حق التصويت ظل قاصرا حتى اواخر القرن 19م على الطبقة العليا، وجاء الاصلاح الانتخابي عام 1832م في انجلترا ليسمح للطبقة الوسطى بالمشاركة ولم يتمتع العمال بهذا الحق حتى نهاية القرن 19م، وكان على النساء ان ينتظرن حتى بداية القرن العشرين ليكون لهن الحق نفسه (الولايات المتحدة عام 1920م، وانجلترا عام 1928)[2].

---

1) المرجع السابق : ص37.

2) مرجع سابق، ص38.

وتعرف الديمقراطية في تاريخ الفكر السياسي والاجتماعي على انها عقيدة الطبقات الدنيا في المجتمع في مواجهة سيطرة الطبقات الاكثر غنى وقدرة، وهي كذلك عملية مستمرة لتوسيع دائرة الحقوق السياسية والاجتماعية ونقل قوة التاثير والنفوذ الى اكثر الدوائر الشعبية اتساعا.

وفي الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية ظهر تعبير الديمقراطيات في اوروبا الشرقية وفسرت على انها دكتاتورية البروليتاريا.."فورد في قرارات المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي في عام 1962م ان الديمقراطية الشعبية هي شكل من اشكال دكتاتورية البروليتاريا يعكس تطور الثورة الاشتراكية في ظروف ضعف الاستعمار، وتغير ميزان القوى في صالح الاشتراكية وظروف البلاد التاريخية"[1].

ولم يكن الفكر العربي الحديث على الحياد من المفاهيم السياسية في اوروبا فقد برزت افكار رفاعة رافع الطهطاوي وخير الدين التونسي، وجمال الدين الافغاني، وعبد الرحمن الكواكبي، والذين تاثروا بالفكر الاوربي الفرنسي بوجه خاص، واستحضروا في كتاباتهم تراث اسلافهم كالماوردي، وابن تيمية، وابن خلدون، وقد وصف "لويس عوض" رفاعة الطهطاوي بانه " ابو الديمقراطية" لانه بذر فكرة الديمقراطية من خلال كتابه "تخليص الابريز في تلخيص باريز" فقال : "ان سلطان الملوك على اجسام الرعايا لا على قلوبهم"[2].

---

1) الحزب الشيوعي السوفياتي، من أجل السلام والتقدم : قرارات المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي (القاهرة، وكالة أنباء نوفوستي)،[د.ت]،ص26، نقلاً عن : د. علي الدين هلال، المرجع السابق،ص45

2) لويس عوض : تاريخ الفكر المصري الحديث، 2ج (القاهرة، دار الهلال،1969م)، ج2 : إلخلفية التاريخية،ص95. نقلاً عن : د. أحمد صدقي الدجاني، المرجع السابق، ص121.

ويمكن القول ان الحركة الديمقراطية بدات تنشط في العالم العربي والاسلامي مع الهجمة الاستعمارية الاوربية عقب الحرب العالمية الاولى، ونشطت الحركة الحزبية في مصر وسوريا بوجه خاص ثم الجزائر، ففي مصر برز حزب الوفد عام 1919م، وقاده سعد زغلول، وفي سوريا فقد تاسس حزب الشعب وحزب الوحدة عام 1925م، مع اندلاع الثورة في سوريا، كما نشا في الفترة بين عامي 1928 و1934م خمسة وعشرون حزبا. وفي الجزائر برزت احزاب سياسية نضالية كحزب النجمة الحمراء، ونجمة شمال افريقيا، وحزب الشعب من خلال "فرحات عباس، ومصالي الحاج" في الفترة من 1947-1962م. ويعد ذلك عملا ديمقراطيا.. ومعظم هذه الاحزاب رفعت شعارا علمانيا بمعنى "فصل الدين عن الدولة".

الا ان الفكر الاصلاحي الاسلامي الحديث لا يعد امتدادا تلقائيا لتراث الوهابية يتمثل بنبذ البدع، وتكريس عقيدة التوحيد، بينما الاشكالية الثانية هي التقدم او النهضة والتماس اسبابها.

وعندما يكون الحديث عن النهضويين الاوائل وعن مشروعهم السياسي نلاحظ ان الطهطاوي يفصح عن ما عرفه من مبادئ العدل في فرنسا، يقول : "القانون الذي يمشي عليه الفرنساوية الان ويتخذونه اساسا لسياستهم هو القانون الذي الفه لهم ملكهم المسمى "لويس الثامن عشر" ولا زال متبعا عندهم ومرضيا لهم، وفيه امور لا ينكر ذو العقل انها من باب العدل"[1]، واراد من ذلك توضيح مسالة ان العدل اساس العمران، كما ان خرابه الظلم والجور.

---

1) رفاعة الطهطاي : تخليص الإبريز في تلخيص باريز، الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي، دراسة وتحقيق، (د. محمد عمارة)،4ج، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر [1973-1977]، ج2،ص95.

لذلك يتساءل الباحث "عبدالاله بلقزيز[1] عن موقف الشرع، هل تتعارض التنظيمات الاجنبية مع الشريعة؟ او هل تتجافى التنظيمات مع مقتضيات الشريعة؟ يبدو ان الاصلاحيين الاوائل كالطهطاوي، والتونسي اشارا الى الفكر الفرنسي، فالطهطاوي يرى انه ما ورد في الدستور الفرنسي "ليس في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم" من دون ان ينفي ان امره قام على مقتضى العقل الذي لا يعارض مقتضى الشرع.

اما خير الدين التونسي فهو يرى : "ان الشريعة لا تنافي تاسيس التنظيمات السياسية القوية لاسباب التمدن ونمو العمران"[2]، ويضيف ان التمدن الاوروبي لم يتم الا باقتباس اوروبا من الاسلام. لذلك يشدد على فكرة الضرورة والحاجة لمواجهة الواقع الجديد، فيقول : "..هذا وان الامة الاسلامية لما كانت مقيدة في افعالها الدينية والدنيوية بالشرع السماوي والحدود الالهية.. وكان ثمة مصالح تمس الحاجة اليها بل تتنزل منزلة الضرورة.. فالجري على مقتضيات مصالح الامة والعمل بها حتى تحسن احوالهم، ويحرزوا قصب السبق في مضمار التقدم متوقف على الاجتماع وانتظام طائفة من الامة ملتئمة من حملة الشريعة ورجال عارفين بالسياسات ومصالح الامة.. بتعاون هؤلاء على نفع الامة بجلب مصالحها ودرء مفاسدها.. وانت اذا احطت خبرا بما قررناه علمت ان مخالطة العلماء لرجال السياسة بقصد التعاضد على القصد المذكور، من اهم الواجبات شرعا لعموم المصلحة"[3].

---

1) د. عبد الإله بلقزيز" الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر، مرجع سابقن ص34.

2) خير الدين التونسي : أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تحليل النص وتحقيق مع جداول وملحقات وفهارس للمنصف الشنوفي،ط2 (تونس، الدار التونسية للنشر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب)، 1972م،ص165.

3) نفس المرجع : ص151-152.. انظر : د. عبدالإله بلقزيز : المرجع السابق، ص36 – 39.

ويرى جمال الدين الافغاني[1] بمنظار ثوري، فقد تميزت اراؤه عن من سبقه من الاصلاحيين، كان مشروعه النهضوي يقوم على حرصه على الوحدة الاسلامية التي بدا عقدها في الانفراط تحت وطاة ضربات الاستعمار البريطاني في الهند ومصر، والفرنسي في تونس والجزائر، ودافع دفاعا مستميتا عن فكرة الجماعة الاسلامية، وسعيه الدائب الى جسر الهوة بين العرب والاتراك.

وماذا كانت النتيجة لتلك الجهود؟.. لقد هيات تلك الامال ضرورة الحضور الفكري في تشكيل عقلية العصر الراهن وفق ظروف ومناخ الواقع المعاش، وبرزت شخصيتان متنافرتان لتلك التشكيلة الاولى تاثرت بالمناخ الفكري والاعلامي الخارجي وارادت تسويق تلك الافكار المستوردة لعالمها الاسلامي لتحل محل عاداته واعرافه وتقاليده ومبادئه ودينه، واوجدت نوعا من الهوة وعدم التجانس بين فكر الامة التي يعيش معها وافكاره مما ترتب على ذلك انفصام في الشخصية بسبب رغبتها بان تكون جزءا من العالم الخارجي.

بينما هي في تاريخها وكينونتها خلاف ذلك.. اما الشخصية الاخرى فهي نتائج رد فعل لما جاءت به الاولى من قميص فضفاض نسيجه مختلف وخارج عن فكر الامة وتاريخها. وهذا الاخير عبر عن مشاعره بطريقة انفعالية، ولم يجد قراءة واقعه ومطالبه، ولم يعترف برموز مفكريه الاوائل، ونشط في زمن مختلف عن زمن فكره، واعتدى على نشاط وافكار رفاق دربه المختلف معهم بالرؤى فتجاوز حدود المعقول والمشروع، زاد الطين بلة عندما اعلن

---

1) انظر : جمال الدين الأفغاني : الأعمال الكاملة، دراسة وتحقيق محمد عمارة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981،ج2،ص25-95.

العودة الى القرون الماضية دون منهج وتبصر، ودون قراءة جادة لفقه الامة وجدلية حركياتها من المنظور التاريخي.

لذلك كان مشروع اصحاب الاتجاه الاول فيه خلل كبير لابتعادهم عن الدين، واما مشروع الاخرين فقد تبلور في مفهوم عودة الامة الى ما كانت عليه في عهد الخلفاء الراشدين.. ويعد ذلك خللا كبيرا لاستكبارهم عن النظر لمن سبقوهم من اصحاب الفكر والاجتهاد.

والذي ينظر الى واقع الامة اليوم يلاحظ تفاقم مشاكل شبابها بين متدين متطرف، ومتدين متصوف ومتدين معتدل، وبين جاهل طائش لا يعرف شيئا عن ماهيته وكينونته، ويكره القراءة والاطلاع على معارف الاخرين.. واخرين لهم توجه علماني راديكالي لا يؤمن ولا يقر باي توافق بين الدين والسياسة، ولعبت الادوار المتاحة من التعددية الحزبية في جذب معظم هؤلاء الشباب لا لغرض توجيههم وتوعيتهم بقدر الاحتفاظ بهم للمعارك الانتخابية البرلمانية او غيرها من الانتخابات.. وتتغنى الاحزاب بقدرة قواعدها على استيعاب وتنفيذ التوجيهات الفوقية دون جدل، وبالتالي فالقيادات العليا الحزبية تسمح لنفسها ان تمارس الديكتاتورية على اعضاء الحزب، وانعدمت فيها ابجدية الروح الديمقراطية، وتطالب الدولة بتوسيع القاعدة الديمقراطية.. ويعيش الامين العام فيها مدى الحياة وسواء كانت احزابا دينية او علمانية كلاهما يمارسان استعلاءها وفردية القرار، سواء تعلق القرار بسياسة الحزب تجاه الدولة او في ممارسة المهام السياسية داخل الحزب.

وهذا مغاير لما اتفق عليه الباحثون حول السلوك الديمقراطي داخل النخب الحزبية بوجه خاص، وابرز خصائصه هي :

- المشاركة الاجتماعية، والمساواة في هذه المشاركة.
- الاجتهاد في فهم مشاعر الاخرين واهتماماتهم.
- ان يتقبل الفرد الافراد الاخرين على انهم متساوون معه.

- ان لا يؤدي الحوار في اختلاف الراي الى عنف.
- الوقوف امام نقاط الاختلاف والاتفاق، وقبول نقاط الاتفاق، وترك ما اختلف عليه.

كذلك يمكن للفرد ان يحقق سلوكا ديمقراطيا مع الاخرين.. ومن المعلوم ان السلوك الديكتاتوري داخل المجموعة يؤدي الى سلوك عدواني.. ويشير الباحث (ب-ف سكينر)[1] الى "علم النفس التجريبي باعتباره محاولة لاكتشاف القوانين العقلية التي تتحكم في التفاعل ما بين العناصر الذهنية.

تقول لنا النظريات المعاصرة في الطب النفسي والخاصة -بالظواهر النفسية الداخلية- ان كل شعور يؤدي الى شعور اخر، فالشعور بالخيبة مثلا يولد العدوانية".

والانسان ابن بيئته، فالبيئة تصنع الشخصية والمزاج، والناس يختلفون كثيرا تبعا لاختلاف الاماكن، فهل الفكر يصنع الانسان؟. الملاحظ ان ثقافة العنف التي ولدت من رحم الاستعمار، وانتشرت بشكل كبير في ساحة العالم الاسلامي.. وبالامس القريب كان المد الماركسي في العالم الثالث يقوم بمهام نشر الوعي الفكري الاشتراكي الشيوعي، وصاحب ذلك عنف تصفيات الجيوب المعارضة للمعسكر الاشتراكي، وكونت جبهات عسكرية تقوم بمهام الابادة لمن يوصفون بالامبرياليين والبرجوازيين..الخ، من تلك التعبيرات. وكان الاختلاف الفكري داخل هذه الجبهات موجودا، والاقوى هو الذي يقوم بتصفية الاخر، وقد شهدت اليمن شمالا وجنوبا تلك التصفيات من اواخر الستينات وحتى اواخر الثمانينات من القرن الماضي، وكان في مواجهتهم "الجبهة الاسلامية" التي انشاتها حكومة اليمن الشمالي

---

1) ب-ف سكيز: تكنولوجيا السلوك الإنساني، ترجمة : د. عبدالقادر يوسف، سلسلة عالم المعرفة، العدد (32)، رمضان 1400هـ - أغسطس 1980م،ص13.

- في ذلك الحين- واصبحت الجبهة الاسلامية جزءا من السلطة، وامتد نشاطها الى داخل كل الاجهزة الحكومية بما في ذلك جهاز المخابرات، واصبحت جزءا من ادواته في متابعة وملاحقة من يمكن تصنيفهم بالناصريين، والبعثيين او القوميين، او الماركسيين.. وكلهم اعداء النظام، وكونوا مع الايام (طابورا خامسا) ينغص شئون الدولة.. وتدخلوا في مسالة القسمة في الحكم، وانتشروا انتشارا واسعا في معظم المؤسسات الحكومية، الا انهم كانوا عقبة كاداء في النهضة الثقافية والتعليمية والادارية.. وبشكل مباشر كان النظام السعودي يقوم برعاية هؤلاء في تفسير رؤاهم الفكرية والسياسية.

ولكي ندرك مدى فاعلية الاتجاه السياسي الديمقراطي المنشود ورد الفعل في قبوله من عدمه يتضح لنا هذا الموقف من خلال النظرة المعاصرة لمفهوم الشورى لدى الاسلاميين والعلمانيين على حدٍ سواء.

الموقف السياسي من الشورى في الفقه الاسلامي:

ما هو الغرض من الشورى كممارسة سياسية، هل الشورى نقيض الديمقراطية؟.. ام ان الشورى هي روح الديمقراطية؟ هل الشورى استشارة النخبة في قضايا الحكم والنظام؟ هل للشورى دورٌ في صياغة دستور للنظام الحاكم؟.. وهل يصبح الدستور هو السلطة الفاعلة في الدولة ومرجعية النظام؟.. كل هذه الاسئلة يمكن مناقشة الاجابة عليها على بساط البحث، فالدولة الديمقراطية جوهريا دولة قانونية.. وهي دولة يحكمها القانون لا ارادة الانسانية، كما يقول "ميشيل متياس"[1]: " لكي نمنع احتمال تطور الحزبية او الطائفية الاقتصادية او السياسية او الدينية او الايديولوجية يجب

---

1) د. ميشيل متياس: الديمقراطية والدستور : سلسلة عالم الفكر، مج22، العدد الثاني، (أكتوبر – نوفمبر – ديسمبر1993)،ص211.

فصل سلطة الدولة الى ثلاث سلطات فرعية : السلطة التشريعية، المسؤولة عن سن القوانين، والسلطة القضائية المسؤول عن تفسير القوانين، والسلطة التنفيذية المسؤولة عن تطبيق القوانين.

هذه الفكرة التي اول من تصورها "لوك Locke" و "منتيسكيو Montesquieu" واصبحت مبدا ثابتا في العديد من الحكومات الديمقراطية تشمل ما يسمى عادة نظاما من الضبط والموازنات.

هذا المفهوم يوضح راي مفكري الغرب بمفهوم الديمقراطية، فهل مبدا الشورى له مسار سياسي مختلف..

ان النظرة العابرة للشورى على انها ديمقراطية سياسية، او مبدا دستوريٌ يقوم عليه نظام الحكم، نظرة تقلل من المفهوم الحقيقي للشورى لان الدساتير ونظم الحكم تتعرض لاعاصير السياسة وتقلباتها، فالشريعة الاسلامية تقوم بهدفين اساسيين لحماية الشورى في الفقه من العواصف التي تسببها طموحات الحكام ورؤاهم السياسية المتقلبة بين الحين والاخر، وخاصة في دول العالم الثالث.

فالشورى في الفقه الاسلامي مستقلة عن نطاق النظام السياسي لان هدف الشورى في الاسلام، الالتزام باصل من اصول الشريعة الاسلامية القائم على تبادل الراي وحوار علمي مستقل ومنفصل عن الشورى في مجال الحكم والسياسة.. والشورى بحكم ارتباطها بالشريعة يجعلها خاضعة للمبادئ والاخلاق الاسلامية، وكذلك التزامها بسيادة الشريعة واصولها وشمولها.

ولذلك فالشورى توجب الاستشارة والتشاور كسلوك عام وواجب اخلاقي، فهي اذن مبدا انساني واجتماعي، وقاعدة دستورية لنظام الحكم، وهذا يجعلنا نبحث عن اهمية الشورى في واقعنا السياسي المعاصر وكيفية القيام بمعالجة هذا المفهوم السياسي الاسلامي، وقبل ذلك نتساءل عن مفهوم الشورى في عقيدتنا الاسلامية، وهل نحن اليوم قادرون على استيعابها؟ وهل

خصوصياتها يمكن ان تستوعب قضايانا العالقة بين الفكر الوافد المفروض وتراثنا الاسلامي؟

مفهوم الشورى في الاسلام:

يشير المفكر الاسلامي "حسن الترابي"[1] الى (ان الشورى في الاسلام حكم يصدر عن اصول الدين وقواعده الكلية قبل ان تقرره الادلة الفرعية من نصوص الشرع. فمن عقيدة التوحيد اسلام الربوبية والحكم والسلطة لله، والايمان بان البشر سواسية في العبودية لله. وبذلك يتحقق التحرر السياسي الذي يستلزمه نظام الشورى.. اذ يصبح الناس قاطبة هم المستخلفين على سلطة الارض، ولكل منهم نصيبه المستحق من السلطة.. فمبدا حاكمية الله المطلقة واستخلاف البشر على الارض، وما اتاهم من حرية وقوة بما يمارسون بها سلطانا على الاشياء والاناس، كل ذلك يجعل العباد شركاء احرارا سواسية لا يقومون الا بالشورى، وهي التعاون باجتماع الراي على الامر الخاص على ان يكون لصاحبه القرار، وعليه المسؤلية، وعلى الامر العام بحيث لا يستبد به فرد ويسالون عنه جميعا".

ويضيف "الغنوش"[2] "الى ان الشورى في الاسلام ليست حكما فرعيا من احكام الدين يستدل عليه باية او ايتين، وبعض الاحاديث والوقائع، وانما هي اصل من اصول الدين ومقتضى من مقتضيات الاستخلاف، اي ايولة السلطة الربانية الى العباد.. ومن ثم كانت الشورى العمود الفقري في سلطان الامة ونهوضها بامانة الحكم".

---

1) د. حسن عبدالله الترابي : نظرات في الفقه السياسي، إلخرطوم، الشركة العالمية لخدمة الإعلام، 1988،ط1،ص73—74.

2) د. راشد الغنوش : الحريات العامة في الدولة الإسلامية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1992م،ط1،ص109.

وقد تناول القران الكريم خلال مرحلته المكية مفهوم الشورى، قال تعالى : (فما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا * وما عند الله خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون * والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون * والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون، والذين اذا اصابهم البغي ينتصرون)[1]. ففي مفهوم الشورى هو تمتع الفرد بحريته في اختيار الحكام عن طريق انتمائه للاغلبية، وبصرف النظر عن انتمائه للاغلبية او الاقلية او عما اذا كان قد تمتع فعلا بالمشاركة في القرارات السياسية بصفته جزءا من الاغلبية الحاكمة اولا، وسواء كانت الاغلبية الحاكمة حقيقية او زائفة فعلية ام وهمية.

هذه الحريات الانسانية للفرد تضمنها الشورى له، لانها لا تقتصر مساهمته في شئون الجماعة على مجرد عملية اختيار الحكام بل توسع نطاق هذا الاسهام ليشمل حقه الكامل في المشاركة على سبيل المساواة مع الجميع في التشاور[2].

ويشير "محمد عابد الجابري"[3] الى ان الشورى تعد جزءا من الايمان بالله والتوكل عليه واجتناب الكبائر والعفو بعد الغيض والاستجابة للرب واقامة الصلاة واعطاء الصدقات والتضامن للدفاع عن النفس، وكانها جزء من ماهية الايمان والاسلام.. ويخاطب سبحانه وتعالى نبيه محمدا بالقول : (فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك

---

1) سورة الشورى : آية (36-39).

2) توفيق الشاوي: فقه الشورى والاستشارة، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط1، 1992م،ص303.

3) د. محمد عابد الجابري : العقل السياسي العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، 1995م،ص336.

فاعف عنهم واستغفر لهم، وشاورهم في الامـر، فـاذا عزمـت فتوكـل عـلى اللـــه ان اللـــه يحب المتوكلين)[1].

وعند وفاة الرسول الكريم اجتمع الصحابة في سقيفة بني عامر، وتم اختيار " ابي بكـر الصديق، وبعد البيعة، صعد الخليفة المنبر واعلن مشروعه السياسي وقال : "ايها النـاس اني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فان رايتموني على حق فاعينوني وان رايتموني عـلى باطـل فسددوني، اطيعوني ما اطعت اللـه فيكم، فاذا عصيته فلا طاعـة لي علـيكم. الا ان اقـواكم عندي الضعيف حتى اخذ الحق منه واضعفكم عندي القوي حتى اخذ الحق له."[2]

ولما احس ابو بكر بدنو اجله استشار الناس (جعل الامر شورى بينهم)، فكان الاتفـاق على عمر ابن الخطاب، وعندما طعن عمر وشعر بان ايامه معدودة استشار، وفكر وقـدر، ثم اسند الامر الى ستة نفر عرفوا باهل الشـورى ليختـاروا واحـدا مـن بيـنهم، وبالتـالي قـد طبقت الشورى في عهد ابي بكر وعمر بالكيفية التي كانت تتناسب مع ذلك العصر[3].

وفي حديث للامام البخاري[4] يقول : "كان رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم يستشير من حضر من صحابته، يسال اكثرهم حضورا كابي بكر، وعمـر، وكـان اذا حزبـه امـر قـال : "اشيروا علي ايها الناس" واذا تعلق الامر بحقوقهم تطلب مـوافقتهم كماكـان الامـر عنـدما سالته هوازن ان يرد اليها سبيها، فسال الناس فوافقوا فقال : "انا لم نعرف من وافـق ممـن لم يوافق، فاخرجوا الي عرفاءكم" فاجتمع الناس على عرفائهم وتشاوروا فابلغوه موافقتهم.

---

1) سورة آل عمران : (آية 159).

2) د. الجابري : المرجع السابق،ص368.

3) د. الجابري : مرجع سابق، ص368.

4) صحيح البخاري في المغازي وغيرها.

ويعلق على ذلك الباحث "مصطفى وصفي"[1] على انه لم يعرف للرسول الكريم هيئة دائمة منظمة تعينت لذلك. ويعد ذلك امرا مريحا يفضي الى الثقة، ولا يتاتى فرضه على الامام بناس ينتخبون او يتم تعيينهم، فالاستشارة ليست شرطا لصحة التصرف، وانما هي رخصة له ان شاء اتاها، وان شاء لم يؤتها لقوله تعالى : (فاذا عزمت فتوكل على الله) فهي من وجهة نظر "د.وصفي" من مندوبات الامامة ومن ادابها، ولا يبطل العمل بعد اجرائها او عدم اتباعها، فمحل الاستشارة لا تتم الا عند خفاء الحكم الشرعي، استشارة اذا كان الحكم واضحا بالنص.

واذا كان الامر يتطلب الاجتهاد بالقياس، فان ذلك لا يكون محلا للشورى بل لتداول اراء علماء الشريعة، فان عرض مشروعات القوانين والقرارات على اهل الشريعة المختصين انما يكون لابداء رايهم على وجه الالزام لا الشورى[2].

ويشير "محمد عمارة"[3] الى اتجاه معاكس "لمصطفى وصفي" حيث يقول : "ان فلسفة الحكم في دولة الرسول دعوته، وانها قد عرفت طريقها الى الحياة السياسية كفلسفة للدولة في عصر صدر الاسلام".

متى تكون الشورى ضرورية؟

مما سبق يمكن القول ان مبدا الشورى له وجهان، الاول كفلسفة سياسية نمت في فترة قصيرة في صدر الاسلام في عهد ابي بكر، وعمر، وعلي فقط، واصبحت غير ملزمة لفقهاء الفكر الاموي الذين الزموا الناس بمبايعتهم جبريا لا اختيارا، واصبح ملكا عضوضا، ثم تبعهم ال العباس

---

1) د. مصطفى كمال وصفي : النظام الدستوري في الإسلام، مقارناً بالنظم العصرية، القاهرة، مكتبة وهبة، ط2، 1994، ص115.

2) نفس المرجع : ص117.

3) د. محمد عمارة : الإسلام وفلسفة الحكم، القاهرة، دار الشروق،ط1،1989م،ص54.

والذين حاولوا ان يلزموا الناس بفكر جديد ذي طابع جدلي وهو الفكر المعتزلي. وطوعوا الفكر الاسلامي وفقا لمنهجهم، يقول : "الماوردي"[1] " واعلم ان صلاح الدنيا معتبر من وجهين : اولهما : ما ينتظم به امور جملتها، والثاني : ما يصلح به حال كل واحد من اهلها.

فهما شيئان لا صلاح لاحدهما الا بصاحبه، لان من صلحت حاله مع فساد الدنيا واختلال امورها لن يعدم ان يتعدى اليه فسادها، ويقدح فيه اختلالها لانه منها يستمد ولها يستعد. ومن فسدت حاله مع صلاح الدنيا، وانتظام امورها، لم يجد لصلاحها لذة ولا لاستقامتها اثرا، لان الانسان دنيا نفسه، فليس يرى الصلاح الا اذا صلحت، ولا يجد الفساد الا اذا فسدت عليه، لان نفسه اخص، وحاله امس، فصار نظره الى ما يخصه معروفا وفكره على ما يمسه موقوفا".

ويتساءل الباحث "محمد عمارة"[2] هل خرجت الشورى على عهد الرسول من النطاق الفردي غير المنتظم الى نطاق التنظيم المحكوم بمؤسسة من المؤسسات ؟، ويجيب على سؤاله : انه في عهد الرسول الكريم كان يوجد مجلس للشورى، وعدد اعضائه سبعون رجلا، كما كانت هناك هيئة عرفت في كتب التاريخ ومباحث الامامة باسم "المهاجرين الاولين"، وهي الهيئة التي كانت اشبه بحكومة الرسول والتي استاثرت بمنصب الخليفة، ترشحه من بين اعضائها وتختاره هي، ثم يبايعه بعد ذلك ويصدق على اقرارها من حضر المدينة من المهاجرين والانصار. فما حقيقة هذه الهيئة التي لعبت اخطر الادوار

---

1) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي : أدب الدنيا والدين، تحقيق : مصطفى السقا، القاهرة، دار المعرفة، 1973، ص134.

2) د. محمد عمارة : المرجع السابق، ص56.

في دولة الخلافة الراشدة والتي اصبحت بمثابة "السابقة الدستورية"؟.. وقد تكونت هذه الهيئة من كبار الصحابة[1].

وقد زال نظام هذه الهيئة بمقتل علي بن ابي طالب وزوال الخلافة الراشدة وانتقال الخلافة الى معاوية بن ابي سفيان، هذا فيما مضى فما هو الاثر الذي اتبعته الجماعة الاسلامية او بالاصح الدول الاسلامية في هذا الشان..

نلاحظ ان بعض الدول العربية اعادت تركيبة نظام الشورى جزءا منه بالتعيين والجزء الاخر بالانتخاب، وبعض الدول اتخذت مجلسا للشورى كديكور او مجمع لنفايات الدولة من العناصر التي قدمت خدماتها للنظام وارتكبت اخطاء يعاقب عليها القانون، فتم تعيينهم في هذا المجلس الذي لا يستند الى اية شرعية يمكن ان يتكئ عليها.. وهكذا عطل هذا المجلس والمفهوم معا..

ويبدو ان هذا ما جعل بعض التيارات الاسلامية التي لا تمتلك شرعية نشاط من قبل الدولة ان تعيد تاصيل مبدا الشورى في خطابها السياسي، بمعنى العودة الى تفعيل النص القراني "وامرهم شورى بينهم"،"وشاورهم في الامر".

والسؤال الذي يفرض نفسه هو: هل يمكن تطوير ادوات الشورى بحيث تتناسب مع الواقع المعاصر؟ او ضرورة الاخذ بالنص القراني والعمل به دون الولوج الى متطلبات الواقع الراهن؟

من المنظور الواقعي للحكومات الاسلامية بان كل ما يرتكب من ظلم واستبداد يعد خروجا على احكام الشريعة الاسلامية، وعلى الامة الاسلامية تصحيح مسار حكامها.. ولذلك يمكن القول ان معيار سيادة الشريعة او

---

1) تكونت الهيئة لاستشارية كل من : أبو بكر الصديق، عمر بن إلخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، طلحة بن عبيد الله، الزبير بن العوام، عبد الرحمن بن عوف، سعد بن أبي وقاص، سعد بن زيد بن نفيل - أبو عبيده ابن الجراح.

بالاصح مبدا الالتزام بالقواعد القانونية الشرعية، يغني عن ذكر كل المبادئ العامة كالحرية وحقوق الانسان، والخصائص المميزة للنظام الاسلامي كالشورى والبيعة الحرة، كونها مستمدة من الشريعة كمرجع ومنبع، فمسالة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، معناه الزام الامة وافرادها بالعمل على تصحيح انحرافات الحكام والزامهم بتطبيق الشريعة الاسلامية، فاذا اعترض الحكام على هذا النهج يجب الخروج على الحكام تطبيقا للنص " "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق".

كذلك من مهام مبدا "الامر بالمعروف والنهي عن المنكر" الزام الامة الى اختيار نخبة من المؤمنين بقضايا الوطن الى اصلاح كل خلل في النظام. من هنا تكون الشورى ضرورة لاصلاح الواقع، لان الحكومة في هذا المسار لا تكون شرعية الا بعقد يبنى على حرية الاختيار الكاملة دون شبه تهديد او اكراه[1]، الا ان بعض الفقهاء يفسرون قوله تعالى : "ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة" بانه اذا كانت المقاومة للحاكم سيكون منها فتنة او حرب اهلية

---

1) انظر : د. توفيق الشاوي: مرجع سابق، ص487: ويشير الشاوي في الهامش إلى حديث نبوي يقول : "عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا الآيات : "لعن الذين كفروا من بني إسرائيل "إلى قوله تعالى : "فاسقون" [سورة المائدة – الآيات من 78-81] ثم كان متكئاً فاستوى وقد أحمر وجهه قائلاً : "كلا والله.. كلا والله.. كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم، ولتقصرنه على الحق قصرا، أو ليضربن الله بعضكم ببعض ويلعنكم كما لعنه". رواه أبو داود في سننه، ملاحم، ص17، ج4، ص121، وابن ماجة، فتن 20، والإمام أحمد بن حنبل في مسنده، ج1، ص291، ج8، ص232. ويراجع : "مجمع الفوائد، ج2 رقم 7898، طبعة بنك فيصل الإسلامي بقبرص، سنة 1985م.

يضيف الغنوش : مرجع سابق، ص119-120 : إلى أن الإجماع الذي عد في شريعة الإسلام مصدراً من مصادر الشريعة إلى جانب الكتاب والسنة هذا الإجماع هو دعوة صريحة إلى الاعتراف بالرأي العام على اختلاف اتجاهاته وميوله الأصلية الثابتة".

علـيهم الاستسـلام لامـر اللـــه، وتحـت الضـغط لمبـدا الضرورة يمكـن الاعـتراف بالحـاكم المغتصب للحكم بدون اختيار شورى، لذلك يعد اختيار اخف الضررين وقـد بنـى الشـيعة فلسفتهم تلك على مبدا التقية، وهو التخفي واظهار عكس مـا يـبطن. وعـبر الفقهـاء عـن مبدا الضرورة بالقاعدة العامة : "ان الضرورات تبيح المحظورات".

واذا كان نظام الحكم في بلد اسلامي بيد قوى اجنبيـة فالمقاومـة تكـون ملزمـة شرعـا وهو المبدا الذي على اساسه مقاومة شعوبنا للاستعمار، اما اذا كان الحاكم المسـلم لا يـرى ضرورة تطبيق الاحكام الشرعية وله قوة قبلية او عسـكرية تحميـه وتكـون مقاومتـه تثـير الفتنة بالتالي يمكن الاعتراف بحكومته ضرورة شرعية منعا لاهدار الدماء والفتنة.

هل الشورى ضرورة حتمية لمواجهة الديمقراطية:

يرى اصحاب الاتجاهات الاسلامية على ان النظام الاسلامي في عهد الرسول، وابي بكـر، وعمر، وعلي هو نظام الشورى، وواجب المسلمين ان لا يولوا احدا امـرهم الا عـن شـورى، فالنظام الاسلامي لا يخضع لارادة فوق الجماعة ولا يمكن الاستيلاء على السلطة او توريـث الحكم فيها[1].

ويشـير "محمـد الغـزالي"[2] الى ان "الشـورى مبـدا اسـلامي عظـيم، لكـن وسائل تحقيق الشورى وضبط اجهزتها لم يتقرر لدينا، ويظهران هـذا مقصـود لاختلاف البيئات والمستويات الحضارية"، ويضيف: "والشورى في دولة الخلافة برزت في صور شتى وليس المهم اي طـراز نستمسـك بـه.. بـل المهـم ان نـوفر

1) انظر : عبد السلام ياسين : الشورى والديمقراطية، الدار البيضـاء ن مطبوعـات الأفـق، 1996،ص239.
انظر أيضاً : د. يوسف القرضاوي : من فقه الدولة في الإسلام، القاهرة، دار الشروق، 1997،ص35.

2) محمـد الغـزالي : السـنة النبويـة بـين أهـل الفقـه وأهـل الحـديث، القـاهرة، دار الشروق، ط2، 1989،ص135.

الضمانات والاساليب التي تجعل الشورى حقيقة مرعية، فيختفي الفرد المستبد، وتموت الوثنيات السياسية، ويترجح الراي الصحيح دون عوائق، ويتقدم الرجل الكفء دون احقاد.. ويتساءل "الغزالي" : "هل يمكن ذلك في غيبة العقائد والاخلاق؟ هذا مستحيل "لقد نقل الشرق الاسلامي صورة الديمقراطيات الغربية في مرحلة هابطة من تاريخه، صرعته فيها مواريث جاهلية، وخدعته تقاليد استعمارية سفيهة، فماذا حدث؟

تم تزوير الانتخابات على نحو مذهل، وشقت الوثنيات السياسية طريقها وسط هالة من تاييد شعبي مكذوب" فالديمقراطية بشكلها السياسي في اوروبا شيء مقبول لو استطعنا اقتباسه ومحاكاته وما يشاهد في وسائل الاعلام عن الانتخابات التي تجرى في الولايات المتحدة الامريكية او في فرنسا او غيرها، من دول اوربا، فهو شيء جميل وعندما نقلنا هذا المفهوم السياسي الجديد الى بلادنا، يقول "الغزالي" : "نظر العالم الينا ونحن نطبق الديمقراطية الغربية، ولم يحاول ان يكتم محاكاته الساخرة، فان ما كان يقع فوق كل محاولة للكتمان! كان ملاك السلطة حواة مهرة يجعلون صناديق الاقتراع تتحول بسحر ساحر الى تاييد ساحق يشترك في صنعه الانس والجن، والاحياء والاموات.. وينتهي التنافس الوهمي الى نصر اشرف منه الهزيمة، والى حكم شعبي اشرف منه الحكم الفردي الذي زهد في التزوير و العبث"[1].

لقد نقلوا عن اوروبا شكل الديمقراطية ولم ينقلوا قاعدتها الخلقية التي نهضت عليها. وهكذا تكون المقارنة لدى الاسلاميين في مسالة الافضلية بين الديمقراطية والشورى، قائمة على حرية الاقتراع دون ضغوط من قبل الحزب الحاكم او الفرد المستبد الحاكم وهذه قضية من المستحيل اصلاحها في

1) محمد الغزالي :الحق المر، ج2، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1989م، ص57.

مجتمعنا العربي بوجه خاص. لان لعبة الخيار والاختيار اصبحت غير مقبولة لدى السلطات الحاكمة حتى وان كان الضغط الخارجي يمارس على اساس فرض اللعبة الديمقراطية، الا ان هذه اللعبة خاسرة واصبحت شعارا للتضليل تعلنها السلطات الحاكمة كمتغير سياسي جديد، وعلى ضوء هذا الشعار يبقى الحاكم الديكتاتوري هو المرشح الوحيد والمتميز والحاصل على 99% من الاصوات.

ويشير "الغزالي"[1] الى ان الشورى بالمفهوم الاسلامي لها انها اينعت ثمارها وراء اسوار العالم الاسلامي، ويضيف : "ونحن نطلب الشورى، ونريد اعتبار الوسائل المؤدية لها فروضا عينية على اساس من القاعدة الفقهية، ما لا يقوم الواجب الا به فهو واجب".

والديمقراطية الحديثة تحترم احزاب المعارضة وتعتبرها جزءا من النظام العام للدولة، ولذلك يعد الحزب المنافس للحزب الحاكم، حكومة الظل. وهذه النظرة قريبة من نظام الخلافة الراشدة، فالخليفة علي بن ابي طالب لم يستبح من عارضوه، كما صنع معاوية فيما بعد.. بل قال لهم : "ابقوا على رايكم ما شئتم على شرط الا تحدثوا فوضى، ولا تسفكوا دما، ولا تقطعوا سبيلا، ولا تظلموا احدا، فان فعلتم نفذت اليكم بالحرب".

الا ان مبدا الشورى عند المودودي[2] يرى انها ملزمة لما جاء عن علي رضي الله عنه، حيث قال:"سالت يوما رسول الله لو وقع لنا بعدك ما لم نجد له حكما في القران او نسمع منك فيه شيئا فماذا نفعل؟ فقال صلى الله عليه وسلم : "اجمعوا العابدين من امتي واجعلوه بينكم شورى ولا تقضوا براي واحد".. ويقول عمر رضي الله عنه : "من دعا الى امارة نفسه او غيره من غير

---

1) محمد الغزالي : السنة النبوية بين أهل الفقه.. وأهل الحديث، مرجع سابق، ص136.

2) أبو الأعلى المودودي : الحكومة الإسلامية، القاهرة، المختار الإسلامي للطبع والنشر، 1980، ص227.

مشورة من المسلمين فلا يحل لكم ان لا تقتلوه"، ويضيف : "لا خلافة الا عن مشورة".

فالشورى في الاسلام قد تكون شبيهة بالديمقراطية الغربية في كثير من الاغراض التي تخدم الانسان، فعلى سبيل المثال، تدعو الشورى الحاكم عدم الفصل برايه الشخصي دون اعتبار للاخرين، في مسالة تتعلق بالظلم او الاجحاف في حق انسان معين، وكذلك لا يحق للفرد التصرف في امور مشتركة وتصريفها وفق ما يراه هو، والتعدي على حق الاخرين في سبيل اغراض خاصة، كما لا يحق لاحد الفصل في مسالة تتعلق بحقوق الاخرين فهي مسؤولية جسمية[1].

ان قاعدة "وامرهم شورى بينهم" الغرض منها، اولا : ان ينال الناس الحرية الكاملة في التعبير عن ارائهم في امور المجتمع التي تتعلق بهم وبحقوقهم ومصلحتهم. ثانيا : ان مسؤولية تصريف امور المجتمع لا بد ان تلقى على كاهل من يتم تعيينه واختياره برضا الناس، وهذا الرضا لا بد وان يكون حرا. ثالثا: ان يتم اختيار من هم على ثقة الشعب، بمعنى من يفوزون بتمثيل الشعب. رابعا: التسليم بما يجمع عليه اهل الشورى.. وللشورى ضوابط شرعية وهو عدم جواز التشاور في حد من حدود الله نص عليه القران الكريم.

وللمفكر الاسلامي "احمد كمال ابو المجد"[2] رايٌ يقول فيه : "و ان استقراء نصوص الكتاب او السنة قولية كانت او فعلية، وعمل الصحابة رضوان الله عليهم يكشف عن حقيقة ينبغي حسم الخلاف حولها.. وهي ان الاسلام قد وضع للحكم مبادئ اساسية وقيما عليا اعتبرها من "نظامه العام"

1) المودودي : المرجع السابق،ص105.

2) د. أحمد كمال أبو المجد : الشورى والديمقراطية، مرجع سابق.

المعروف عنه بالضرورة.. وترك للناس بعد ذلك ان يضعوها موضع التطبيق بما يحقق مصالحهم ويناسب ظروفهم، ويلائم تجدد حاجاتهم.. وعلى راس هذه المبادئ والقيم مبدا الشورى، ومبدا العدل، ومسؤولية الحكام والتزام الدولة بالقانون المستمد من مصادر التشريع الاسلامي.. اما ما عداها فحلول".

والسؤال الملح : هل الشورى مبدا سياسي او ديني؟.. نلاحظ ان معظم الرؤى المختلفة او المتفقة في هذه المسالة تخلط بين الجانب الديني والجانب الدنيوي، منهم من يرون انها مسالة تنظيمية ملزمة، واخرون يرون انها غير ملزمة للحاكم، وانها مسالة اجتهادية.

ويتساءل معنا في هذا الجانب "محمد البهي"[1]: هل الشورى السبيل للاجتماعات والندوات والمجالس التي تعرض فيها المشكلة، ويطلب حلها ممن اشتركوا فيها؟.. ام هو سبيل النيابة والتفويض؟. ويرى الى ان المسجد في وقت من الاوقات مكان الشورى العامة فيما يواجه المسلمين من مشاكل. ولكنه ليس السبيل المتعين "وانما المتعين هو صاحب الشورى ومن يعطي الراي. انه صاحب الصلاحية في فهم كتاب الله، وصاحب الاستقامة والعمل بكتاب الله طالما ان الشورى وابداء الراي فيها يعتبر صورة من صور الاجتهاد، وطالما ان اطارها العام يرسمه ويحدده كتاب الله".

اما الديمقراطية فهي نظام مقبول في الاسلام، ولكن سلطة الاغلبية ليست مطلقة.. واذا كانت الشورى واجبة في الاسلام باجماع اهل العلم لقوله تعالى : "وامرهم شورى بينهم"[2]، وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم "فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر"[3]، فالاحتكام الى سلطة فرد

1) د. محمد البهي : الدين والدولة..من توجيه القرآن الكريم، بيروت، دار الفكر، ط1،1971،ص537.
2) سورة الشورى : 38.
3) سورة آل عمران : 159.

لا يمكن ان يكون داخلا في نطاق ما يقبله الاسلام[1]، والفرق بين مفهوم الديمقراطية والشورى، ان الديمقراطية فكر غربي جاء به كل من (لوك، وهوبز، وروسو)، اما الفكر الاسلامي فقد اعتمد على فكرة العقد كاساس لبناء الدولة وذلك ما يراه اهل السنة من ان "الامامة عقد" وان البيعة هي اسلوب عقده، فالبيعة عقد حقيقي مستوفي الاركان فاساسه الرضا واطرافه الامام والامة، وموضوعه توكيل الامام ونيابته عن الامة في تصريف امورها[2].

ويعرف الغنوشي النظام الديمقراطي بالقول : بانه افضل الانظمة التي تمخض عنها تطور الفكر البشري، الا انه يرى بانه لا ينبغي الاتكاء على عيوب هذا النظام لرفضه، والا كان ذلك لحساب الدكتاتورية، فان حرية منقوصة او منفلتة خير من الاستبداد، "وان مجتمعا محكوما بقانون ناقص افضل من مجتمع قانونه ارادة الطغاة واهواؤهم"[3]. وتعد الديمقراطية ذات صلة جوار وقرابة مع الشورى، في الوعي الاسلامي المعاصر، هو رد الاولى الى الثانية باحتساب الشورى اصلا للديمقراطية[4].

ويمكن قبول تصور طروحات كثير من المفكرين في مسالة طرح السؤال التالي : هل يمكن تحقيق الشورى في اطار النظام الديمقراطي؟.. يبدو ان المصالحة بين الاتجاهين يمكن تحقيقها اذا تم تشذيب مفهوم النظام الديمقراطي واعفاء الجانب العلماني منه، ففي اطار النظام المد الديمقراطي : "يمكن ان تتم عملية تفعيل القيم السياسية التي جاء بها الاسلام كالشورى

---

1) د. أحمد كمال أبو المجد: المرجع السابق، ويضيف "وجدنا الإمام محمد عبده يقول صراحة أن تصرف الواحد في المجموع، ممنوع شرعاً".
2) د. أحمد كمال أبو المجد : المرجع السابق.
3) الغنوش : المرجع السابق، ص87.
4) د. عبدالإله بلقزيز: الدولة في الفكر الإسلامي المعاصر، مرجع سابق،ص180.

والبيعة والاجماع والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، اي التعالم التي انما جاءت لاقرار العدل وتحقيق السعادة البشرية. اذ يمكن للاليات الديمقراطية مثلما هو الامر مع الاليات الصناعية باعتبارها ارثا انسانيا ان تعمل في مناخات ثقافية وعلى ارضيات فكرية مختلفة"[1].

اما مسالة الخلاف بين الشورى والديمقراطية هو ليس بالجانب السياسي ولكنه بالجانب العقائدي، لذلك يرى بعض الباحثين.."ان الناس في الدولة القومية الديمقراطية يربطهم زيادة على العرق واللغة والمصلحة والتاريخ، عقد اجتماعي.. يتمثل هذا العقد الاجتماعي في اعراف وسوابق وحقوق منتزعة غير مكتوبة.، او في دستور مكتوب معلن.. هذه واحدة يلتقي فيها المطلب الديمقراطي بالمطلب الشوروي (ان يرتبط الناس بعقد وعهد) ليتصرف الناس على علم بما لكل وما عليه.. بيد ان الشق الثاني من المعادلة ينافي اساسًا من اسس الدولة الاسلامية ؛ ذلك ان هذا المجتمع القاعدة ليس الا مجتمعا مدنيا، تربطه فقط اهداف ارضية، وتربط المؤمنين في الدولة الاسلامية قبل كل مصحلة الولاية بين المؤمنين والمؤمنات. وهي دين، هي شرط في السياق الشوروي هي روحه"[2]، فالاسلاميون يرون ان الشريعة الاسلامية هي المعيار الوحيد، كما يرى الليبراليون ان الديمقراطية هي معيارهم الوحيد.

ويكمن ان نستخلص رؤى المفكرين للاتجاه الحزبي الاسلامي كالترابي مثلا حين يعدد الفروق بين الديمقراطية والشورى قائلا : "اول الفروق بين الديمقراطية الغربية وبين الشورى والديمقراطية في السياق الاسلامي، ان الديمقراطية في المفهوم الغربي تمارس غالبا في سياق حكم لا

1) علاء الفاسي: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، الدار البيضاء، مكتبة الوحدة العربية، 1963م،ص58: نقلاً عن : د. عبدالإله بلقزيز: المرجع السابق،ص181.
2) د. عبدالسلام ياسين : الشورى والديمقراطية، الدار البيضاء، مطبوعات الأفق، 1996، ص456-47.

ديني.. ولا مجال بالطبع في الاسلام لحكم شعبي منقطع عن معاني الايمان.. فالخروج بالديمقراطية من الاطار الديني الى اطار سياسي بحت ردة وضرب من الاشراك لانه يشرك ارادة الشعب مع خالقه.

الفرق الثاني : ان الشورى في الاسلام ليست ممارسة سياسية معزولة وانما هي نظام حياة.. وهذا يعني شيئا كثيرا، اذ ان الديمقراطية اذا جردت واصبحت تعبيرا سياسيا فحسب كانت عرضة لان تغدو ديمقراطية شكلية.

الفرق الثالث : ان السيادة في الديمقراطية الغربية تسند في النظرية الدستورية الى الشعب، اما في الاسلام فالشعب انما يتولاها على الارض بعد الخلافة من الله، وبشرط الخضوع لله، والديمقراطية في الاسلام لا تعني سلطة الشعب المطلقة: بل هي سلطة الشعب وقفا على الالتزام بالشريعة"[1].

وفي هذا الاطار السياسي المقارن بين الشورى والديمقراطية، يرى "فتحي يكن"[2] ان الديمقراطية تعني حاكمية الشعب وسيادته في الدولة، الامر الذي يستفاد منه ان الشعب "يحكم نفسه بنظام يصنعه بنفسه" وان الشورى "لا تعدو ان تكون استطلاع راي فرد او فريق من الناس في تفسير حكم شرعي او فهمه او اجتهاد في امر من الامور في ضوء التشريع الاسلامي".

هذا التقابل يلغي دور الشورى سياسيا ووطنيا ويبرز دور الديمقراطية كوظيفة تنظيمية شعبية، وهو راي تدحضه اراء مغايرة، وبذلك يمكن القول : ان النظامين هما خياريان، فالشورى لا تقر تشريعات وقوانين باعتبار ان الشريعة الاسلامية قد نص عليها القران الكريم والسنة النبوية، ويتولى السلطة التشريعية المجتهدون، بينما الديمقراطية هي حكومة دستورية

---

1) د. حسن عبدالله الترابي: نظرات في الفقه السياسي، إلخرطوم، الشركة العالمية لخدمات الإعلام، 1988م،ص82-86.

2) فتحي يكن : مشكلات الدعوة والداعية، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1974م،ص171، نقلاً عن : د. عبدالإله بلقزيز، مرجع سابق،ص188.

حاضرة في المجالس النيابية، وهم الذين يقومون بسن القوانين، ففي النظام الديمقراطي ينتخبون من يمثلون الشعب في المجالس النيابية، وليسوا جميعا من حملة المؤهلات العلمية الكبيرة، بل قد يكون معظمهم من العمال الذين لم يحالفهم الحظ بالتعليم.

اما اهل الشورى فلا ينصبون عن انتخاب واختيار، ولا حق لهم في التشريع، وقصارى ما يمكن ان يقوموا به "تفهم النص وبيان الحكم الذي يدل عليه او قياسهم ما لا نص فيه على ما فيه نص لاستنباط حكمه"[1].

- خلاصة القول : ان الاختلاف في الراي عكس القاعدة المتبعة بانه لا يفسد للود قضية، صحيح ان الاختلاف اوجد ارضية ثقافية متباينة وحراكا سياسيا نشيطا انعكس اثره على الواقع الاجتماعي، وفي ظل اوضاع اجتماعية متردية ومنقسمة على نفسها، لذلك نجح الاستعمار الثقافي والتكنولوجي بان يغزو عقولنا ويقنع حكامنا بان مصلحتهم في بقائهم في الحكم هو التعاون معه في تزيين الفكر الاستعماري داخل شعوبهم، وبدات العامة من الناس ينظرون للاوروبي نظرة جمالية في كل شيء، في ماكله، ومشربه، في ملبسه ومشيه، في القيم التي يتمتع بها الاوروبي، وهي من وجهة النظر السلوكية الاوروبية اصبحت مستهجنة وغير مقبولة، لكنها بالنسبة لنا مقبولة لسبب بسيط لم تكن هذه السلوكيات والقيم هي التي اخترعت التكنولوجي الحديثة..

وبدا المد الاستعماري في المنطقة يعمل حثيثا في استقطاب انصار له من خلال مراكز ثقافية وجامعات اجنبية، ووكالات تنموية دولية، والتي تمولها شركات متعددة الجنسية للسيطرة على الثقافة الوطنية في بلادنا، والتركيز

1) عبد الوهاب خلاف : السياسة الشرعية أو نظام الدولة الإسلامية في الشئون الدستورية إلخارجية والمالية، القاهرة، المطبعة السلفية،1931،ص44.

على قيم وانماط استهلاكية. وانعكس على ذلك راي مقاوم لهذه المظاهر تمثل بدفاع ديني بين تيارين، الاول : يرفض قبول كل شيء غربي، والاخر يدعو للتواؤم والتكيف مع الواقع والدعوة بالتي هي احسن.. واذا كان خلاف الماضويين في القرون الوسطى قد سيطرت عليه افكار اجتهادية في الفقه، فخلاف المعاصرين قد سيطرت عليه مبادئ هامشية جعل انصارها منها اهدافا استراتيجية لمنهجهم الفكري.

في عام 1926م نشات جماعة انصار السنة المحمدية في القاهرة على يد "محمد حامد الفقي"، وفي عام 1953م نشات في الاردن جماعة اسلامية اطلقت على نفسها "حزب التحرير" على يد "تقي الدين النبهاني" -احد خريجي جامعة الازهر- كما نشات جماعة التبليغ في الهند على يد "محمد الياس محمد اسماعيل"، وبما ان الحوار قاعدة اساسية بين ثقافة الراي والراي الاخر، الا انه من الملاحظ ان الحوار بين السلطة والجماعة يكاد يكون منقطعا، وكذلك الحوار بين الجماعات بعضها ببعض، ولذلك كان السؤال الذي يفرض نفسه، هل الايام المقبلة كفيلة بصياغة عقلية مرنة بين الجيل الجديد من الشباب المتدين؟، هذا قد يواجهه سؤالا اخر، هل الحكومات الاسلامية القادمة قادرة على امتصاص اراء وافكار الشباب بشفافية مقبولة؟.

اذا اتكانا على المتغيرات السياسية في الساحة العربية والاسلامية من خلال الضغوط الخارجية، فالمؤشرات تشير الى تغيير في الاتجاهات السياسية العربية والاسلامية مما يوحي بان المستقبل يبشر بخير.

كانت الديمقراطية احدى المفاهيم التي خضعت لجدل شديد بين زعماء فكر الجماعات الاسلامية المعتدلة، والجماعات الراديكالية المتطرفة، منهم من قرر قبولها في الشق السياسي منها فقط، واخرون رفضوها على اعتبار انها نظام حكم لا اسلامي.. اما مسالة الشورى وعلاقتها بالديمقراطية او

العكس، فهل الشورى تعنى نظام حكم او ما يمكن تسميتها بديمقراطية سياسية؟.

ففي الفقه الاسلامي الشورى مستقلة عن النظام السياسي، كون الشورى اصلا من اصول الشريعة الاسلامية القائم على تبادل الراي، والشورى تعني تمتع الفرد بحريته في اختيار الحكام عن طريق انتمائه للاغلبية.

ويرى اصحاب الاتجاهات الاسلامية ان نظام الشورى هو نظام كان قائما في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعهد ابي بكر وعمر وعلي، وواجب المسلمين ان لا يولوا احدا امرهم الا عن شورى.

والديمقراطية التي وفدت الينا لم نستعملها بالطرق الاخلاقية المتبعة في اوروبا، لذلك تكون المقارنة لدى الاسلاميين بين الديمقراطية والشورى قائمة على حرية الاقتراع دون ضغوط من قبل الحزب الحاكم او الفرد المستبد.. وبالتالي فمسالة تقويم اعوجاج الديمقراطية في بلادنا مستحيل، لانها خيار قد تقلل من سلطة الحاكم وبطانته المستفيدة، والتي تزين للحاكم ديكتاتوريته، كونه ادرى بمصالح شعبه.

اما اهل الشورى فيتم تنصيبهم عن انتخاب واختيار بافضلية فقهية ، والتمكن في استقراء الواقع الاجتماعي والسياسي، والاجتهاد فيما يجب العمل به وفقا للكتاب والسنة، على اساس تفهم النص وبيان الحكم الذي يدل عليه او القياس بما لا نص فيه على ما فيه نص.. وهنا تبرز الاهمية الشرطية للمرشح في مجلس الشورى الاسلامي.. وللوصول الى الحقيقة المطلوبة في المسار السياسي الديني علينا التوخي في البحث عن التوجهات الفكرية الاسلامية في بعض الاقطار العربية من خلال الفصل التالي الذي يحاول الباحث توضيح الرؤية السياسية لابرز و اهم الحركات الدينية اندفاعا وتاثيرا بالمحيط السياسي العام..

الفصل الرابع

الملامح الجديدة لمشروع النهضة الاسلامية

- تطور الفكر الحركي الاسلامي في اليمن.
- الحركة الاسلامية في الجزيرة العربية والخليج.
- الاحزاب الاسلامية السياسية في شمال افريقيا.
- الملامح السياسية للتيارات الاسلامية في بلاد الشام.
- الدور الحركي للجبهة الاسلامية القومية في السودان.



الفصل الرابع

الملامح الجديدة لمشروع النهضة الاسلامية

الحركة الاسلامية ظاهرة تاريخية "تبرز كلما اعترى المسلمين ذبول في دوافع الايمان، وخمول في الفكر وجمود في الحركة، واستفزهم التحدي الخارجي"[1] كما غدت الحركة الاسلامية تيارا فكريا منظما وظاهرة اجتماعية واسعة الانتشار مما جعلها تتحول الى حركة تجديد حضاري تستنهضها الى ذلك حالة التخلف التي تعيشها اليوم مجتمعاتنا وتستفزها العوائق التي يضعها الغرب كنظام عالمي في طريق نهضتنا[2].

واستمدت الحركات الاسلامية في الساحة العربية خصوصياتها الفكرية من حركة الاخوان المسلمين التي نشات في مصر في الثلاثينات من القرن العشرين.. وجاءت الحركة الاسلامية باليمن امتدادا لذلك الحراك، وبدات باليمن في اواخر الاربعينيات من القرن الماضي، كما ان لجماعة الاخوان المسلمين دورا واضحا في الحركة الانقلابية عام 1948م، والتي اطاحت بالامام يحيى حميد الدين.

وفي الخليج والجزيرة العربية امتد نشاط حركة الاخوان المسلمين من خلال الطلاب الذين تلقوا علومهم في مصر، وزاد من انتشار الحركة الاسلامية هزيمة يونيو 1967م.. وانتقل النشاط الاسلامي الى بلاد الشام - سوريا - لبنان - الاردن - فلسطين.

---

1) د. حسن عبدالله الترابي : الصحوة الإسلامية والدولة القطرية في الوطن العربي، منبر الحوار، العدد (8)، شتاء 1987، ص9.

2) علي سيف النصر : الصحوة الإسلامية المعاصرة والعلوم الإنسانية، المستقبل العربي، العدد (170)، عام 1993، ص116.

وفي شمال افريقيا برزت الحركة الاسلامية في تونس من خلال حزب النهضة الاسلامية، والجزائر بجبهة الانقاذ الاسلامية، كذلك المغرب العربي حيث تعددت التوجهات الدينية فيها من صوفية وسلفية.. الخ .

اما الجبهة الاسلامية القومية في السودان فقد حققت نشاطا سياسيا كبيرا.. وتحاول الاحزاب المعارضة ان يكون لها دورٌ في المشاركة السياسية بحكم تاريخها النضالي في السودان، فهل ستحقق نشاطا سياسيا منافسا للجبهة الاسلامية القومية؟

ان الحركة الاسلامية الممتدة في العالم الاسلامي والعربي اصبحت ظاهرة تفرض نفسها كقوة مهددة للاوضاع السياسية الحاكمة في تغيير بنيتها وتوجهاتها.. ويمكن توضيح ذلك من خلال المحاور التالية:

تطور الفكر الحركي الاسلامي في اليمن:

عاشت اليمن ردحا من الزمن تحت النفوذ العثماني بين والٍ جاهل او ظالم.. وقائد عسكري عنيف يمارس كل اساليب التعسف والارهاب.. بعد الحرب العالمية الاولى 1918م سلمت السلطات العثمانية باليمن مقاليد الحكم للامام يحيى حميد الدين، الذي بايعته القبائل الشمالية للامامة عام 1904م وبعث لزعماء القبائل في جنوب صنعاء حتى حدود عدن لمبايعته.. فعقد بعض زعماء هذه المناطق مؤتمرا في منطقة "العماقي" - بين تعز واب - واختلفوا بتوحيد كلمتهم، ثم توجهوا جميعا الى صنعاء وبايعوا الامام يحيى في المنشط والمكره، ثم عادوا وعقدوا مؤتمرا اخر في مدينة "القاعدة" ناقشوا الوضع السياسي والمستجدات الجديدة، ثم اعلنوا اتفاقا غير مكتوب.. وكان من نتائجه تمرد مشايخ العدين ومشايخ حبيش والحجرية (المقاطرة) بوجه خاص.

فارسل الامام قوة بقيادة الامير "علي الوزير" الذي انتقم للامام بهدم منازل مشايخ حبيش بعد معارك ضارية، ثم توجه نحو العدين ودخل " تعز " واهان ابرز

شخوصها. ثم وجد نفسه مضطرا للقضاء عليهم فبعث الى مشايخ "العدين" ومشايخ "تعز" وامر بسجنهم وتعذيبهم ثم بعث بهم الى صنعاء بعد ان اطلق سراح عامل "تعز" كونه من ال البيت، وعند وصولهم الى صنعاء تم ايداعهم السجن، وماتوا كلهم ولم يبق منهم حيا الا الشيخ "عبدالوهاب نعمان".

وتشير المعلومات ايضا الى ان ابن الوزير صادر كل ممتلكاتهم واخرج "نساءهم واطفالهم مجردين من كل شيء وجعلوا البيوت ثكنات للجند ونقلوا كل ما جل وقل، ولم يكتفوا بذلك بل ظلوا ينقرون جدران البيوت ليخرجوا بقية الكنوز" ثم حفروا فناء الدور ولم يتحصلوا على شيء[1].

تلك كانت مقدمات الخروج عن السلطة.. الا ان الامام يحيى كان يحمل مشروعا سياسيا وحدويا، وكان التمرد في ذلك الحين ليس له مبرر منطقي، بل يعتبر عملا انفصاليا بصرف النظر عن رؤية الامام لمفهوم الدولة. وكانت الضرورة تقتضي محاسبة الخارجين بصورة افضل من اجراءات ابن الوزير.

الا ان ابن الوزير له الفضل في ارساء قواعد وحدة تراب اليمن في المناطق الجنوبية وبدا الامام يحيى يمارس حكمه بطريقة بدائية مما اوجد نوعا من الممارسات الخاطئة التي قام بها ابناؤه، ولذلك يناشد القاضي "عبدالرحمن الارياني" الامام يحيى بقصيدة جاء فيها :

انصف الناس من بنيك والا *** انصفتهم من بعدك الايام

وبدا المثقفون يطالبون الامام باصلاح الاوضاع السياسية والاجتماعية، ففي منتصف الاربعينيات بدات اصوات المعارضة ترتفع وخاصة بعد هزيمة الامام يحيى في حربه مع النظام السعودي عام 1934م. وبدا عامل الاصلاح امرا ضروريا لكن الفوضى بدات تضرب اطنابها في كل بقاع الدولة،

---

1) انظر : مركز الدراسات والبحوث، ثورة 1948.. الميلاد والمسيرة والمؤثرات، بيروت، دار العودة، ط1، 1982م،ص588.

فتمردت قبائل الزرانيق في تهامة وبدات المواجهة العسكرية مع الزرانيق التي ادت في النهاية الى انتصار الامام يحيى بقيادة ابنه الامير احمد، وكانت رغبة الامير ان يحوز على جائزة انتصاره بولاية العهد، وهي مسالة مغايرة للمفهوم الديني الزيدي بوجه خاص، ومن هنا بدا الصراع بين مؤيد لفكرة ولاية العهد للامير احمد، وبين رافض مبدا الوصاية بالامامة.

وتكونت جبهة معارضة للامام سميت "بالجمعية اليمنية الكبرى" تكونت في 4 يناير 1946م، وجعل مركزها الرئيس مدينة عدن. ومن اغراضها دعوة ابناء اليمن الى الاخاء والتعاون والاتحاد وتبادل الثقة فيما بينهم، والارشاد الى التمسك بكتاب الله وسنة رسوله الاعظم والعمل بهما، ونشر الثقافة بين الجاليات اليمانية وتوجيهها الى ما يجب عليها دينيا واخلاقيا وثقافيا واجتماعيا، كذلك الاتصال بالهيئات العربية لتوجيه الجمعية ومساعدتها[1].

وتوجهت الجمعية بمذكرة الى امين عام الجامعة العربية "عبدالرحمن عزام" طالبت المذكرة تدخل الجامعة العربية بالمبادرة بايفاد بعثة عربية الى اليمن لتدرس الشؤون العامة هناك.. ويشعره بان له من اخوانه العرب ما يعزيه في مصابه ويجامله في محنته.. ولو كزيارة القبور لاجزع ولا ضجيج ولا مؤامرة ولا مظاهرة ولكن عين تدمع وقلب يخشع.

وهذا المطلب ما نحسب ان في الاعيب الحكومة المتوكلية وحيلها واساليبها ما يمكن ان يحول بين الجامعة وبين تنفيذه والقيام بتحقيقه على وجه السرعة اللهم الا ان يكشف سيوف الاسلام صفحتهم السوداء للعرب

---

1) د. عبدالله الذيفاني : الاتجاه القومي في حركة الأحرار اليمنيين 1918-1948م، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني،ط1، 1999م، ص306.

وللجامعة العربية ويقاطعوا العرب المقاطعة الصريحة المكشوفة ويمنعوا العرب من دخول بلادهم.

ان مما يدمي قلب كل عربي غيور ان تكون الدول الاجنبية اسبق من الجامعة العربية الى دراسة الوضع اليمني الراهن واحرص على كشف كنوزه ومخباته.. فما بال الجامعة تتردد وتسوف وهي مفزع الشعب اليماني وامله المشرق في هذا العالم المظلم، وما بال العرب لا يهتمون بهذا الشعب ولا يزورونه ولا يتحدثون عنه في صحفهم، ولا مواقفهم الرسمية.. في اليمن زعماء لهم نفوذ على القبائل اليمانية وفيهم وطنية وعروبة واخلاص وهم في اليمن تحت الرقابة المزعجة الخطرة وبعضهم في المنافي والسجون، وبعضهم مهاجرون في الخارج [1].

وحددت المذكرة اهداف الجمعية وتتمثل بالاصلاح السياسي مستعينة بدعم الجامعة العربية.. ويعد ذلك الحراك السياسي جزءا من قوى معارضة متعددة التوجهات الفكرية في الداخل والخارج.

وفي منتصف اكتوبر 1946م توجهت جماعة من المغتربين اليمنيين في بريطانيا – سميت بلجنة الدفاع اليمني – بنداء الى العالم والى جامعة الدول العربية وملوك وامراء العرب تناشد الجميع بالتدخل بينها وبين الامام يحيى وابنائه الذين جعلوا اليمن تسير بسرعة الى الفناء، وحكموا على الشعب بالانقراض، ولقد توفي في مدة عامين ما يزيد عن مليون نسمة من ابناء هذا الشعب من شدة الجوع والامراض الفتاكة [2].

---

1) مركز الدراسات والبحوث اليمني : ثورة 1948م الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص564-566.

2) من "وثائق الحكيمي" : نقلاً عن : ثورة 1948 م، الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص572-573.

هذه الانات التي جعلت الامير ابراهيم ابن الامام يحيى ينضم الى حركة الاحرار اليمنيين والذي صرح عقب وصوله الى عدن ان الدافع الرئيسي لانضمامه لقوى المعارضة هو خصامه مع والده واخيه الامير احمد بسبب عدم اعترافهما بخطورة الوضع السياسي المنهار، والذي سيقود حتما الى سقوط بيت حميد الدين[1]، وحافظ الامير ابراهيم على مراسلة ابية واخوته الامراء وخاصة الامير احمد، ففي احدى رسائله الى ابيه يدعوه الى النظر في السياسة المتبعة التي ادت الى ظلم الحكام لسبعة ملايين يمني.. وانه ضد هذا الجور والظلم الذي لا يعبر عن حاجات الشعب بل انه يولد النقمة على الامام[2].

وتكونت جبهة اخرى من كبار علماء صنعاء برئاسة "السيد زيد بن علي الديلمي" تبنت تقديم النصيحة للامام يحيى تمثلت بجعل الواجبات المالية امانة على اربابها كالواجبات البدنية، واسقاط الجبايات الجمركية والمنهى عنها شرعا مثل المكوس وزكاة الباطن والضرائب والتي تسمى "عائدات بيت المال" واعفاء الرعايا عن البقايا المزمنة، ومنع كل ذي سلطة من سيوف الاسلام والامراء والعمال عن الخوض والتدخل بالتجارة في الرعية ومزاحمة الناس بالمناكب في معايشهم ومكاسبهم واخراج المعتقلين من سجن "حجة"[3] ادى ذلك الى ان يقوم الامير ابراهيم بتوجيه نداء الى الشعب اليمني جاء فيه:

" يا علماء الامة ان الحالة في اليمن لا تطاق بعد اليوم ابدا، وان السكوت على ما نسمع ونرى في كل صبح ومساء جريمة واي جريمة، وانتم تعلمون انه ليس لمسلم يؤمن بعدل الله ان يسكت على هذا الظلم وكيف بكم وانتم

---

1) وليغ جيراسيوف أوليف : الثورة اليمنية قضايا وآراء، نقلاً عن ثورة 1948، مرجع سابق، ص306.
2) راشد البراوي : اليمن والانقلاب الأخير، مكتبة النهضة، القاهرة، 1948م، ص28.
3) مركز الدراسات والبحوث اليمني : ثورة 1948، مرجع سابق، ص562.

العلماء ورثة الانبياء الذين اوجب الله عليهم قبل غيرهم ان يامروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وينذروا الظالمين ويبنوا للناس احكام هذا الدين[1].

وتظل هيئة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الوثيقة الاكثر تعبيرا عن تاثير الاخوان المسلمين في حركة الاحرار اليمنيين، وبرنامجها الذي يحمل عنوان "ماذا نفعل" وضعه مؤسسو الكتيبة الاولى في القاهرة. في الوقت ذاته كان الاخوان المسلمون في مصر اشبه بحركة اممية، وعملوا على تاسيس فروع في كل دولة عربية واسلامية.. فهل كانت اليمن احدى المحطات التي بدات بارساء احد فروعها؟.. لقد اوحت الرسالة التي بعثت بها الجمعية اليمنية الكبرى والتي اتخذت قرار تفويض للاستاذ حسن البنا ليكون الناطق باسم الجمعية في جامعة الدول العربية والمحافل الدولية الاخرى[2] يفسر لنا ذلك مدى الاقتراب من الاخوان.

كما وجه خطاب اخر الى الامين العام لجامعة الدول العربية، اشار الخطاب الى التفويض للمرشد العام للاخوان المسلمين.. وجاء فيه :

---

1) نفس المرجع : ص611.

2) صحيفة "صوت اليمن" العدد [5] 6 نوفمبر 1947م، الموافق 23 ذي الحجة 1366هـ (عدن - الخميس)،ص1، ونص التفويض على النحو التالي : "حضرة صاحب الفضيلة المرشد العام لجمعية الإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا.. بعد التحية والإكبار نعلن إلى فضيلتكم أنه بما أنكم تعتبرون العالم الإسلامي كله وطناً لكم وتعتبرون كل قضية من قضاياه موضوعاً صميماً لجهادكم، وبما أنكم قد أطلعتم على كنه القضية اليمنية، وعرفتم رجالها وعطفتم عليها عطفاً كبيراً.. فإنه مما يشرف الجمعية اليمانية الكبرى أن مجلس لجنتها السياسية القانونية المختصة قرر تفويض فضيلتكم بصورة عامة وشاملة في أن تتحدثوا باسم الجمعية اليمانية الكبرى أمام الجامعة العربية وأمام غيرها من سائر الهيئات والحكومات كزعيم مطلق التصرف، والجمعية اليمانية الكبرى تعتبر تفضلكم بقبول هذا القرار تضحية كبرى من جهتكم، وشرفاً عظيماً لقضية الأحرار اليمانيين، فيأخذ الله بيدك أيها الزعيم الإسلامي الكبير. والسلام عليكم ورحمة وبركاته،،،.

"ونذكركم بقضية اليمن التي نعتقد انها تمتاز عن القضايا العربية الاخرى بانها لا تحتمل التاجيل باي حال، ولانها تتعلق بشعب فقد كل اسباب المقاومة"..."ان الاحرار اليمنيين يضعون قضيتهم بين يدي ضميركم العربي النبيل".. وتضيف الرسالة الى ان "فضيلة الاستاذ الشيخ حسن البنا المرشد العام لجمعية الاخوان المسلمين مطلع على القضية اليمنية.. والجمعية اليمانية الكبرى تفوضه تفويضا تاما في ان يتحدث عنها في كل شان من الشؤون كزعيم مطلق التصرف فيها" (1).

كان المفهوم التنظيمي لدى الاحرار اليمنيين هو الخلاص من حكم الامام يحيى وابنائه، واقامة حكومة تحتكم لابسط المعايير الانسانية، فالظروف التي خضعت لها اليمن كانت قاسية والعقلية الحاكمة تنظر للشعب باكمله بان عليهم الطاعة، ودفع ما يفرض عليهم من ضرائب وزكاة فقط..

كان المشروع السياسي للامام يحيى في البداية يحمل شعار وحدة الارض وتطور المجتمع من خلال القرارات المنتظمة فتح كلية الطيران والمدرسة الحربية والشرطة، وشراء طائرات ومعدات عسكرية، وارسال بعثات عسكرية ومدنية للدراسة في الخارج، الا ان هذا المشروع لم يستوعب الطاقات الشبابية المتعلمة وكذلك كانت شيخوخته تفرض عليه التوخي والحذر من الفكر الوافد الى الداخل.

واعلن الاستاذ حسن البنا موافقته القيام بهذه المهمة، فبعث برسالة للامير سيف الحق ابراهيم، وللاحرار اليمنيين جاء فيها : ".. واني لاشكر لسموكم وللجمعية اليمانية الكبرى من كل قلبي ما اوليتموني من ثقة واحطتموني به من ظن جميل، معتقدا اني اضعف من ان انهض بهذا العبء

---

1) نفس المرجع : ص1.

الثقيل الا بفضل الله تبارك وتعالى وجميل تاييده، وارجو ان يعينني الله على ان اكون عند حسن ظنكم"[1].

ويشير "الصايدي" الى ان الطلاب المبتعثين بمصر تحققت علاقة الاخوان المسلمين بحركة المعارضة اليمنية منذ بداية الاربعينيات وكلف مكتب الارشاد "الفضيل الورتلاني" بالنشاط مع الطلبة اليمنيين وتجاوزت العلاقة من النصيحة الى الدعم المادي، مكن هذه الحركة من النشاط الاعلامي، فاصدرت صحفا ومنشورات علنية، وفتح الاخوان صحفهم لشن حملات دعائية ضد نظام الامام باليمن.

وفي عام 1947م تم ارسال الفضيل الورتلاني الى اليمن بقصد تنشيط حركة المعارضة والاعداد لادخال تعديلات في شكل الحكم عندما يتوفى الامام يحيى[2]، وتمكن الفضيل الورتلاني[3] -بصفته قدم الى اليمن لفتح شركة تجارية استثمارية- ان ينتقل بحرية داخل البلاد والى الخارج، مما جعله يشكل ضابط اتصال بين قوى المعارضة في الداخل والمعارضين في الخارج[4].

وبعث الاخوان بمصر الى اليمن بمدرسين للقيام بالتعليم وهو عمل يراد منه تاسيس فرع للاخوان باليمن، ويبدو ان الدور الذي لعبه المدرسون انصب في مسالة محو الامية بالدرجة الاولى، وكان للامام عيون تحيط بالمدرسين

---

1) صوت اليمن، نفس العدد السابق، ص1.

2) د. أحمد قايد الصايدي : حركة المعارضة اليمنية في عهد الإمام يحيى حميد الدين 1904-1918م، بيروت، دار الآداب، ط1، 1983،ص147.

3) انه الأستاذ حسن بن محمد الفضيل الورتلاني، ولد في قرية (آنو) ببلدة (بني ورتلاني) ولاية سطيف بالجزائر في عام 1907، وتوفي إلى رحمة الله في تركيا (10 مارس 1959م).. انظر حميد أحمد شحره : مصرع الابتسامة، سقوط مشروع الدولة الإسلامية في اليمن 1938-1948م، مرجع سابق،ص167.

4) د. الصايدي : المرجع السابق، ص147.

مما ادى الى تحجيم دورهم السياسي المراد القيام به، الا ان المتعلمين اليمنيين قد انبهروا بالقدرات التعليمية للمعلمين المصريين وتاثروا كثيرا بمناهجهم الا ان الحاجز المذهبي يبدو انه عمل على عدم الاسراع بالانضمام الى جماعة الاخوان المسلمين السنيين، فالتركيبة القبلية باليمن تحتكم الى عصبية مذهبية قوية خاصة في اطار المفاهيم التعبوية لدى القبائل للفكر الزيدي منذ عهد الامام الهادي يحيى بن الحسين.

الا ان المدرسين العاملين في "تعز" كان لهم نشاط ملموس وقوة تاثير بطلابهم ادى ذلك الى اتهام الامير احمد بن الامام يحيى بتدخل المدرسين بالشؤون الداخلية لبلاده، واسفرت التحقيقات عن براءتهم وعادوا الى مصر..

وفي اواخر عام 1947م توجه الامير محمد البدر بن الامير احمد الى مصر، والتقى بالشيخ حسن البنا، واتفقا على ان يسعى الامير البدر لطلب بعثة مصرية للتدريس في اليمن، ويقوم الاخوان المسلمون بتلقف الطلب من وزارة المعارف المصرية.. وتم ارسال مجموعة من المدرسين من جماعة الاخوان المسلمين[1]. وكان لهم نشاط دعوي ديني مما اكسبهم احترام معظم المحيطين بهم من السكان، ولذلك كان بمقدورهم التاثير السياسي على جزء من المتعلمين.. ونجح الشيخ الورتلاني في مهمته الدعوية والسياسية. والتقى بقيادة الحركة في كل من صنعاء واب وتعز، كما التقى كذلك الامام الذي طلب منه القيام باعداد تقرير عن الاقتصاد اليمني.. وفي اغسطس 1947م عاد الى اليمن لتسليم التقرير وقد عرج الى عدن حيث قضى بضعة ايام عقد اثناءها محادثات مع النعمان والزبيري.

---

1) حميد أحمد شحره : مصرع الابتسامة، سقوط مشروع الدولة الإسلامية في اليمن، 1939-1948، المركز اليمني للدراسات الاستراتيجية، ط1، 1998م.

"وكان اول مشكلة يواجهها الاحرار اليمنيون الثوار تتمثل في اختيار مرشح يخلف الامام يحيى، وكانوا يحتاجون الى شخصية تقليدية قوية تتوفر فيها المعايير الضرورية للامامة الزيدية، ومن ثم يحظى باحترام الشعب"[1].

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : هل كان للفضيل الورتلاني - المطلوب للعدالة من قبل دولة الامام احمد بعد اغتيال والده الامام يحيى - دورٌ في حركة 1948م ؟.. يجيب "الورتلاني" بنفسه على ذلك بالقول : "..انني لا انتمي الى اية هيئة او الى اي حزب في مصر اللهم الا عضويتي في الاتحاد العربي، ولقد كنت ضيفا في اليمن ايام ان جرت حوادث اغتيال الامام الراحل ولا علم لي بهذا الذي يقال عن.."[2].

لكن لا يمكن استبعاد "الورتلاني" عن قضية الانقلاب، وقد كان له دورٌ كبيرٌ في الاسهام في تحديد شكل النظام لمستقبل اليمن من خلال "الميثاق الوطني المقدس" الذي كان المرجعية الدستورية لشكل الدولة اليمنية.. ويمكن الجزم بالقول ان جماعة "الاخوان المسلمين" قد اسهموا في تحريك فعالية حركة القوى المعارضة في الداخل والخارج لتغيير النظام.. لكنهم اخفقوا في تاسيس فرع في اليمن، وربما لان القوى المهيمنة والمعارضة كانت تؤمن بتصحيح الفكر الزيدي خاصة لدى بيت الوزير، وليس تغيير منهجية الفكر الزيدي والمختلف ايديولوجيا مع جماعة الاخوان المسلمين.

وتفرض هذه المرحلة استفسارا عن ظاهرة الحركة الاسلامية، وكيف تم وادها؟.. نلاحظ ان الحياة السياسية بعد مقتل الامام يحيى وفشل الانقلابيين كان هناك متغير سياسي جديد، تمثل بحملة اعلامية حكومية على ان الانقلابيين الدستوريين عملوا على اختصار "القران الكريم" فكانت

1) لي دوغلاس : الإعلان الكاذب عن وفاة الإمام يحيى "تعريب : بلقيس الحضراني"، ثورة 1948 الميلاد والمسيرة والمؤثرات، مرجع سابق، ص253.

2) حميد شحره : المرجع السابق، ص123.

هذه الدعاية -كما يروي معظم المعاصرين لتلك الفترة - كفيلة بتصفية اثار ذلك التوجه الاسلامي الذي صنع الانقلاب وفشل بصنع استمرارية فكر الانقلاب.. وبعد مقتل ابرز رجال حركة 1948م واحد رجال ثورة 26 سبتمبر 1962م الاستاذ محمد محمود الزبيري عام 1965م، بدا احد انصار الزبيري هو الشيخ "عبده المخلافي" بتكوين فرع لتنظيم جماعة "الاخوان المسلمين" بتكليف رسمي من قيادة جماعة الاخوان المسلمين بمصر.

ونتيجة لطبيعة الموقف السياسي في عهد الرئيس الراحل القاضي "عبدالرحمن الارياني" دخل الاخوان المسلمون في صراع مع السلطة، وكانوا مدعومين من قبل النظام السعودي، وتم تعيين "المخلافي" مراقبا عاما لجماعة الاخوان المسلمين في اليمن، وكان "المخلافي" خطيبا مفوها، وكثير النقد للسلطة السياسية الحاكمة، بسبب التوجهات السياسية لنظام الارياني في مسالة الوحدة بين شطري اليمن، وكانت السعودية لا ترغب بالتقارب الوحدوي، وكان التيار الاسلامي يعد طابورا خامسا للنظام السعودي.. وفي ظل هذا الخضم من الصراع قتل الشيخ "المخلافي" في حادث مروري، وفسر الموقف على انه تدبير من قبل حكومة الارياني وربما الجبهة الوطنية -الماركسية- كانت وراء الحادث[1].

1) في الفترة من 24 إلى 26 يونيو 1968م جرت أعمال المؤتمر الاستثنائي لحركة القوميين العرب اليمنية في مدينة "جبلة" وأقر فيه تأسيس الحزب الديمقراطي الثوري اليمني وانتخب المؤتمر اللجنة المركزية للحزب وأقر برنامج العمل السياسي "القائم على أساس مبادئ الاشتراكية العلمية" وأعلن الحزب انفصاله التام عن حركة القوميين العرب في بيروت. كما قرر تشكيل "الجبهة الوطنية" للجمهورية العربية اليمنية، وتضم في صفوفها كل العناصر الوطنية التقدمية، ووضع وإعداد ميثاق وطني يكون دليل عمل الجبهة الوطنية. (انظر : جولوفكايا، يليناك : التطور السياسي للجمهورية العربية اليمنية 1962-1985م - تعريب : محمد علي البحر، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط1، 1994، ص128).

ويمكن الاشارة الى الدور الذي لعبه الاخوان المسلمون في عهد الارياني، وخاصة في الفترة ما بعد المصالحة مع النظام السعودي، فقد استولت جماعة الاخوان -بدعم الحكومة السعودية- بالتدريج على الدور الرقابي في ميدان التعليم والثقافة "ودفعوا بصنائعهم الى اجهزة الشرطة في مدن وارياف الجمهورية العربية اليمنية" [1].

وتكونت في صنعاء فرق مسلحة والتي اخذت تسمى "الجبهة الاسلامية"[2] وجرت مصادمات عنيفة بين الاخوان المسلمين والقوى التي تنعت نفسها بالتقدمية تحت شعار "النضال ضد الالحاد والشيوعية" كما جرت اعتقالات ضد البعثيين وانصارهم وعلى الاخص في اوساط شباب البعث[3].

من جهة اخرى كون اليساريون فرقا مسلحة في المنطقة الوسطى من اليمن "منظمة المقاومة الثورية" والتي انشاها اعضاء سابقون في حركة القوميين العرب.. وواجهتها الجبهة الاسلامية في صراع مسلح، وكانت جبهة "المقاومة الثورية" لها صلة وثيقة بالحزب الديمقراطي الثوري وتبلور موقفهم الى اسلوب حرب العصابات.

بعد الثورة الاسلامية الايرانية زاد تاثير "الاخوان المسلمين" من عام لاخر وتواجد ممثلوهم وانصارهم بشكل واسع في مجلس الشعب التاسيسي وفي الحكومة والجيش واجهزة امن الدولة. وكانوا متعاطفين مع العربية السعودية، وقد اطلق عليهم في ذلك الحين "العشيرة السعودية" كما كانت للاخوان صلات وطيدة مع القبائل "وعلى مدى سنوات عديدة بذل الاخوان

---

1) د. محمد علي الشهاري : دوائر العدوان السياسي السعودي ضد اليمن، نقلاً عن : إيلينا جولوفوفسكايا : التطور السياسي للجمهورية العربية اليمنية، مرجع سابق، ص167.

2) تكونت الجبهة الإسلامية في نهاية السبعينات ومطلع الثمانينات، وضمت الإخوان المسلمين إلى جانب الجماعات السلفية الوهابية.

3) إيلينا : المرجع السابق، ص168.

المسلمون جهودا مضنية للسيطرة على مختلف مناحي الحياة الاجتماعية في البلاد، وتمكنوا من تحقيق سيطرتهم في مجال التربية والمؤسسات التعليمية العليا"[1]. وفي نهاية السبعينات انتشرت "المعاهد الدينية" وانفجرت المصادمات بين الجبهة الوطنية الديمقراطية من جهة، والجيش والجبهة الاسلامية من جهة اخرى في منطقة قعطبة - لواء اب وتشير المصادر المعادية للجبهة الاسلامية الى ان اعضاءها مارسوا الارهاب في المدن وقاموا بعدة محاولات لاغتيال الضباط الوطنيين، كما تمادت الى اتهام رئيس الجمهورية نفسه اذ اتهمته بالتساهل المفرط ازاء ممارسات وانشطة الجبهة الوطنية الديمقراطية.

وفي ظل هذا التصاعد كانت الضرورة تقتضي التوصل الى حل يرضي جميع الاطراف، وفي مطلع الثمانينات اقر رئيس الجمهورية علي عبدالله صالح مشروع "الميثاق الوطني" وشكلت من اجل ذلك لجنة من مجلس الشعب التاسيسي ومن خارجه ضمت مختلف الكفاءات والقدرات الوطنية وانبثقت من تلك اللجنة لجان فرعية شملت كل ذي اختصاص في اختصاصه، وتمخضت عن تلك اللجان لقاءات ساخنة وحوارات وندوات، واسفرت تلك اللقاءات عن مشروع الميثاق الوطني، الذي قدم لرئيس الجمهورية والذي احاله على المجلس الاستشاري لمناقشته، وبرزت من خلال النقاش ملاحظات جعلته مشروعا اشمل، ثم طرح من جديد لمناقشته في اجتماع موسع ضم المجلس الاستشاري ومجلس الوزراء ومحافظي المحافظات وغيرهم من المسئولين في المؤسسات الرسمية العسكرية والمدنية والشعبية، وصوت الجميع عليه كمشروع يعرض على الشعب.

وحرصا من القيادة السياسية فقد اصدر رئيس الجمهورية قرارا عام 1980م بتشكيل لجنة الحوار الوطني والتهيئة للمؤتمر الشعبي.. وضمت

---

1) إيلينا : المرجع السابق، ص342.

عناصر من ذات اليمين وذات اليسار لتقوم بعرض مشروع الميثاق الوطني على جميع المواطنين وتقصي ارائهم ووجهات نظرهم.

ومضت لجنة الحوار مستمرة في عملها ما يقرب من عامين، ثم كانت مرحلة العرض على الشعب لابداء رايه من خلال استبيانات تم تعبئتها ثم فرزها عن طريق لجان الحوار الوطني.. وعلى ضوء الاستبيانات تم اعادة صياغة مشروع الميثاق من ثم صدر قرار رئيس الجمهورية لعام 1981م بتحديد عدد اعضاء المؤتمر الشعبي العام بالف عضو يمثلون الشعب، على ان يتم انتخاب (70%) من اعضائه من قبل المواطنين (30%) يتم اختيارهم من قبل الدولة لمراجعة مشروع الميثاق الوطني.

وفي اغسطس 1982م صدر قراران لرئيس الجمهورية، قضى الاول بتعيين (309) في المؤتمر الشعبي ويقضي الاخر بالدعوة لانعقاد المؤتمر الشعبي العام من 24-29 اغسطس 1982م. واتخذ عددا من القرارات الهامة والايجابية، ومنها اقرار الميثاق الوطني [1]، وطغى على الميثاق فكر جماعة الاخوان المسلمين، فمن ناحية احتوى على تسجيل نظم الحياة السياسية للجمهورية وحدد مبادئ بناء الدولة والاتجاهات السياسية الداخلية والخارجية، واستهدف الميثاق مسالة التنمية الاسلامية اليمنية ورسم اتجهات التحولات الاجتماعية في نطاق الوحدة الوطنية، والقائم على اساس العقيدة الاسلامية، واكد الميثاق على تمسك المجتمع اليمني بالاسلام وقيمه الروحية والاسلام كعقيدة وشريعة "قاعدة الحكم" وعليه فالمجتمع اليمني يرفض كل نظرية في الحكم تتناقض مع عقيدته وشريعته الاسلامية "واكد الميثاق على ان اي تبعية خارجية ايديولوجية تعتبر خيانة واضرارا بمصلحة الوطن العليا"[2].

1) مفاهيم من الميثاق الوطني، المؤتمر الشعبي العام (أمانة اللجنة الدائمة)، صنعاء، ص16-18.

2) إيلينا : التطور السياسي للجمهورية العربية اليمنية، مرجع سابق، ص353.

واعلن الميثاق انتهاجه الديمقراطية المباشرة، واشار الميثاق الى حاجة اليمن في المرحلة المعاصرة الى ان الديمقراطية التي يؤمن بها الشعب اليمني هي الديمقراطية الاسلامية.. وتضمن الميثاق توصيفا للنظام الجمهوري كنظام "ديمقراطي شوروي برلماني" وطبقا لما نص عليه الميثاق فان مبدا الشورى يعني حق الشعب في اختيار قادته "حكامه" واعتبار خروج السلطة عن هذا المبدا او استخدام وسائل لا تتفق والانظمة الاسلامية عملا غير قانوني. وجاء في الميثاق بان نظامنا الجمهوري يقوم على اسس دستورية واضحة "سلطة الشعب، العدالة، المساواة الاجتماعية البشرية واستقلال القضاء" [1].

ويعد الميثاق من الوثائق السياسية الهامة، ومشروعا وطنيا نهضويا عظيما لو تم تطبيقه. صحيح لقد حقق برنامج الميثاق الوحدة الوطنية وهي خطوة عظيمة.. الا ان استقلال القضاء لم يتم تطبيقه بعد.

من جهة اخرى كانت تركيبة الاخوان شبه سرية، فبعد وفاة "المخلافي" اختارت قيادة الاخوان بمصر "الشيخ عبدالمجيد الزنداني"[2] من علماء محافظة اب، مراقبا لجماعة الاخوان المسلمين في اليمن، وتشدد الزنداني في مطالب الجماعة وادى تشدده الى انقسامها بين جماعة مؤيدة له واخرى ترى عدم الخروج على طاعة السلطة ولذلك عرف بانه رجل صدامي.

ويبدو ان الشيخ "الزنداني" كان يرغب في استقلالية الاخوان على غرار ما تم في السودان على يد الشيخ الترابي، وكلا الشخصين يحملان فكرا اكثر استقلالية عن جماعة الاخوان بمصر "وذلك بسبب الخلاف في بعض الطروحات الفكرية والسياسية والمحلية والدولية. لذلك تم تنحيه -الشيخ

1) نفس المرجع : ص354.

2) كان الشيخ الزنداني أحد الطلاب الدارسين في جمهورية مصر منذ قبل ثورة 26 سبتمبر 62م، وكان مبرزاً في نشاطه السياسي ثم تحول إلى جماعة الإخوان حوالي عام 1964م والتحق بالشهيد الزبيري وكونا حزب الله، ثم نشط بعد مقتل الزبيري عام 1965م.

الزنداني – من منصبه وعين مكانه – الشيخ ياسين عبدالعزيز القباطي – من محافظة تعز، وهو اقل من "الزنداني" خبرة وعلما لكنه اكثر انقيادا وتبعية للقيادة بمصر، مما جعل القيادة بمصر تستانس بتعيينه مراقبا لجماعة الاخوان المسلمين، نظرا لطبيعته السلمية والمسالمة للنظام الحاكم، فلقي قرار تعيينه ارتياحا من قبل النظام الحاكم. وعندما اعلنت القيادة السياسية في اليمن التعددية السياسية عقب اعلان الوحدة اليمنية عام 1990م، تكون حزب اسلامي يسمى "التجمع اليمني للاصلاح" من عناصر الاخوان المسلمين، وانضم اليه الشيخ عبدالله بن حسين الاحمر، شيخ مشايخ حاشد وانصاره، وشرائح من التجار والقبائل، ثم السلفيون الوهابيون.. ثم انشق "الشيخ مقبل بن هادي الوادعي" زعيم الاتجاه السلفي، وكون تنظيما فعاليا مستقلا، وقام الوادعي بنقد شديد للاقتراب الوحدوي بين شطري اليمن ودون كتيبا اعتبر الوحدة بين شطري اليمن كفرا لان احد شطري اليمن شيوعي، كما ساق انتقادات مرة ضد الشيخ الزنداني مؤسس "جامعة الايمان" وايضا وجه انتقادا شديدا للشيخ "يوسف القرضاوي"[1].

كان الوادعي يمثل التوجه السعودي الوهابي.. وكان يلاقي حظوة كبيرة بين انصاف المتعلمين والجهلاء في اليمن وخارجها، ولاقى دعما ماديا كبيرا من النظام الحاكم ومن انصاره في السعودية والخليج.. واتخذ معظم مؤيديه من خطاباته مصدرا دعويا يمكن العمل به.

من جهة اخرى حقق حزب الاصلاح قدرا كبيرا من النجاح بعد عام 1995م خاصة بعد ان تخلص من خصم سياسي وعقائدي في الساحة، تمكن بعد ذلك من التعديل الدستوري الذي نص صراحة على جعل الشريعة

1) د. أحمد نعمان قاسم المذحجي : ورقة عمل قدمت لندوة "49" لدراسة الشرق الأوسط (مؤتمر جمعية أمريكا الشمالية) المنعقد في 8 ديسمبر 1995م، بعنوان : تعددية مراكز القوى اليمنية وأثرها على العلاقات اليمنية السعودية.

الاسلامية المصدر الرئيسي والوحيد للتشريع.. كما شارك الحزب الحاكم "حزب المؤتمر الشعبي العام" بتقاسم السلطة ممثلا بنائب لرئيس الوزراء، ثماني حقائب وزارية.

ونشط حزب "الاصلاح" بما في ذلك السلفيون المعتدلون في انشاء جامعة الايمان بصنعاء من جهة، والسيطرة على نسبة عالية من مساجد الجمهورية.. كما انشاوا معاهد دينية ومراكز تعليم القران الكريم والجمعيات الخيرية، والتي لعبت دورا هاما في الاستقطاب الحزبي.. ونجح النظام الحاكم بصنعاء في اضعاف التوجه السلفي المعتدل كالشيخ الزنداني ورفقاه، وخاصة بعد تصفية الحزب الاشتراكي وتقليص دوره السياسي بعد هزيمته في حرب 1994م[1].

بعد حرب 1994م عقد اتفاق بين المؤتمر الشعبي العام والتجمع اليمني للاصلاح على ان يقوم بينهما ائتلاف حكومي وفقا للاسس والالتزامات والاجراءات الملزمة للطرفين[2].

---

1) في الخامس من مايو 1994م تحول إلخلاف بين المؤتمر والحزب الاشتراكي إلى حرب ضروس انضم حزب الإصلاح إلى المؤتمر ودارت رحى المعارك على أشلاء آلاف اليمنيين من طرفي المتصارعين. كان للملكة العربية السعودية دور في إشعال أتون الحرب، وقامت بدعم الحزب الاشتراكي بالعتاد والسلاح والطيران العسكري، كما كانت دول إلخليج بأجمعها داعمة للحزب الاشتراكي بالمال والإعلام، وكانت ساعة الصفر تنتظر مصر والسعودية ودول إلخليج لإعلان الإنفصال لتقوم بإعلان الاعتراف بدولة الجنوب المعلن عنها.. وللحقيقة التاريخية فقد رفضت الولايات المتحدة الأمريكية الانفصال وأرغمت الدول المتعاطفة مع الحزب الاشتراكي بعدم الاعتراف لأن مصالحها مع دولة موحدة أفضل...

2) انظر : محمد عبد الرحمن المقرمي : التجمع اليمني للإصلاح الرؤية والمسار دراسة في النشأة والتطور من (90-98م) صنعاء، دار المجد للطباعة والنشر، ص244.. ويشير المرجع إلى نص الاتفاق ونوجز منه الآتي : 1- الإسلام عقيدة وشريعة. 2- الشرعية الدستورية ونتائج انتخابات 27 أبريل. 3- النهج الديمقراطي الشوروي القائم على التعددية

من جهة ادخل "الاصلاح" في هيكله التنظيمي دائرة سياسية هامة تتمثل بمجلس الشورى والذي يضم معظم مؤسسي تنظيم جماعة الاخوان المسلمين.. وللمجلس حق الاشراف السياسي والتنظيمي للحزب [1]. وتقمص حزب الاصلاح روح الديمقراطية في الطرح والحوار والنقاش، والنقد البناء في اطار التنظيم وهي تكاد تكون ظاهرة حزبية فريدة.

السياسية والحزبية والتداول السلمي للسلطة وضمان الحريات العامة وحقوق الإنسان وحق المعارضة في ممارسة دورها البناء لإثراء وترسيخ الممارسات الديمقراطية. 4- ضمان حيادية وسائل الإعلام الرسمية وحق الأحزاب المعترف بها قانوناً في استخدامها بصورة متكافئة وعدم السماح بهيمنة أي تنظيم عليها أو تسخيرها في الصراع السياسي بين الأحزاب والتنظيمات السياسية. 5- قيام الأئتلاف الحكومي بين التنظيمين على أساس نسبة كل منهما إلى مجموع أعضاء التنظيمين في مجلس النواب أي بنسبة (1:2) على أن يكون رئيس الحكومة من المؤتمر الشعبي العام ،، ونائبه من التجمع اليمني للإصلاح يساعده في أعماله وينوب عنه عند غيابه.

1) المقرمي : المرجع السابق : يشير المرجع إلى الآتي: يتكون مجلس الشورى من مائة عضو ينتخبهم المؤتمر الشعبي العام ورؤساء هيئات الشورى المحلية، وقيادة كتلة الإصلاح –النيابية- وتشير مادة (22) إلى أن "لمجلس الشورى بناءً على ترشيح من الهيئة العليا أن يضيف لعضويته من تدعو إليهم الحاجة من بين أعضاء "الإصلاح" من أهل إلخبرات والتخصصات العلمية المختلفة، ومن الشخصيات الاجتماعية على أن لا تزيد الإضافة عن نسبة 5% من أعضائه.. مادة (23) مجلس الشورى هو الجهة المسؤولة عن بلورة أهداف "الإصلاح" وقرارات وتوصيات المؤتمر العام ومراقبة الأجهزة المختصة في تنفيذها، ويختص بالآتي: - 1- انتخاب رئيس المجلس ونائبيه وأمين سر المجلس. 2- انتخاب الأمين العام والأمين العام المساعد. 3- انتخاب عشرة لعضوية الهيئة العليا من بين عشرين مرشحاً تتقدم بهم الهيئة العليا في دورتها الأولى إلى المجلس من ذوي الرأي وإلخبرة في المجالات التي ترى الهيئة الحاجة إليها. 4- انتخاب أعضاء الدائرة القضائية. 5- متابعة الهيئة العليا والأمانة العامة في تنفيذ قرارات وتوصيات المؤتمر العام. 6- مناقشة وإقرار إلخطط العامة الهادفة لتنفيذ برنامج العمل السياسي وقرارات وتوصيات المؤتمر العام. 7- مناقشة واقتراح مشروعات تعديلات النظام الأساسي واللائحة العامة وبرنامج العمل السياسي..

وفي منتصف سبتمبر 1995م وصل الامر الى انتقاد الاصلاح في جريدته الناطقة باسم "الصحوة" حين جرى انتقاد مشاركة اليمن في قمة عمان الاقتصادية، بسبب مشاركة "اسرائيل" فيه ووصل الامر في منتصف اكتوبر 1995م الى حد تهديد الاصلاح بالانسحاب من الائتلاف، وفي منتصف نوفمبر من نفس العام قاطع الاصلاح اجتماع مجلس الوزراء الذي نوقش فيه تقارير فساد وزراء الاصلاح، كما اشتد الخلاف داخل الاصلاح في نهاية عام 1995م، ومطلع 1996م في اعقاب استقالة وزير التموين ونائبه الاصلاحيين.

ومن الملاحظ ان حزب الاصلاح خسر كثيرا بازاحة الحزب الاشتراكي كمنافس للمؤتمر، كما خسر سياسيا بدخوله الحكم كشريك للحزب الحاكم[1].

ويبدو ان هذه الرؤية كانت واضحة للعيان، فالمماحكات السياسية وتبادل الاتهامات بالفساد وخاصة عندما افتتح حزب الاصلاح الاكتتاب بالاسهم في تجارة الاسماك، وفشل في ذلك فشلا ذريعا، ويبدو ان الحزب الحاكم لعب دورا في اجهاض ذلك المشروع الاستثماري على غرار ما صنعته مصر مع جماعة الاخوان المسلمين في مشروع الريان.

من جهة اخرى كان على الاصلاح مهمة توزيع القمح بصورة متوازية بين الناس نظرا لقلة القمح بالسوق، الا ان معظم من اوكل اليهم توزيعه اوجد نوعا من المفاضلة بين منتسب للاصلاح وغيره وادى ذلك الى نقد شديد لحزب الاصلاح.

لقد كان التيار الاسلامي في اليمن في البداية عازفا عن السلطة، لكنه بعد الوحدة عندما انضم اليه التيار القبلي خاصة، وجماعة السلفيين بوجه

---

1) د. أحمد نعمان قاسم المذحجي : ورقة عمل شارك فيها الباحث المذحجي في ندوة "49" في دراسات الشرق الأوسط، مرجع سابق.

عام بدا ينظر الى السلطة كهدف اساس. ولذلك انضم الاصلاح الى جبهة المعارضة للسلطة.

الحركة الاسلامية في الجزيرة العربية والخليج:

الانظمة الملكية تتبع سياسات تدرجية ضـمن المعتقـد الـديني الاسـلامي، ويـؤازر ذلك تاييد قبلي، وتستخدم الاسرة الحاكمة الاسلام كحائط تستند عليه في مواجهة الخارجين عليها.. وتحيط نفسها بهالة الشرعية الاسلامية لتقطع الطريق على قوى المعارضة.. فالنظام السعودي يحتكم الى الشرعية المذهبية "الوهابية"، واعلنت الهيئة المرجعية الدينيـة لـديها بانها لا تؤمن بالمذهبية ولا تعترف بها بينما توجهاتها بالاساس تستند لفكر مذهبية احمـد بن حنبل.

ومن المعلوم ان النظام الحركي الاسلامي تطور بشكل ملحوظ منذ مطلـع السـبعينات عندما خرج معظم الاخوان من مصر واتجهوا نحو السعودية واليمن، ودول الخليج العـربي واخرون اتجهوا نحو اوربا.. ونجح انصار الاتجاه الفكـري الوهـابي ان يلـبس معظـم هـؤلاء فكر ابن عبدالوهاب، وهو فكر مغالٍ في كثير من طروحاته، ويقوم على تكفـير الاخـر دون منطق فقهي، باعتبار ان الاتجاه الوهابي لا يؤمن بالاجتهادات الفقهية التي قام بها عمالقة الفكر الاسلامي في السابق[1].

1) يشير المفكر الفرنسي المسلم "روجيه جارودي" في إحدى محاضراته التي طبعت بشكل كتيب بعنوان "الإسلام وإلخطر السعودي" إلى أن العصر الحاضر يرجع تفتت الأمة الإسلامية وتدهور الإسهام الإسلامي إلى التقسيمات القومية واندماج البلدان الإسلامية الغنية في النظام الرأسمالي الأمـريكي، فبيـنما تسـتثمر بلدان إلخليج (172) بليون دولار في الولايات المتحدة الأمريكية معظمها مكدس في خزائن البنوك تحت التصرف المباشر لحكومة الولايات المتحدة وإسرائيل، بل وقدموا للولايات المتحدة قواعـدهم العسـكرية وطائراتهم "الأواكس" وملايين الدولارات وضعت تحت إمـرة "رونالـد ريجـان" لتسـليح "الكـونترا" ضـد

ويختلف النظام الملكي السعودي عن الانظمة الملكية في الوطن العربي كالمغرب والاردن، فالسعودية تعيش حالة انغلاق فكري وسياسي عن العالم.. وان كانت تقيم علاقات دبلوماسية مع العالم.. الا ان ايديولوجية الفكر السياسي يخضع لمفهوم "لكم دينكم ولي دين" حتى في اطار علاقتها مع الجيران لها منظور اقليمي ضيق، وتحتكم لمنطق الاستقواء بالمال والاستعلاء بالراي.. والتوسع في الاراضي على حساب الجيران.

ثوار "نيكاراجوا" البلد الوحيد في أمريكا الوسطى الذي لم يشارك في جهود ريجان المناهضة للمسلمين، وأصبحت دول إلخليج الغنية جزءاً من المستعمرات الأمريكية وأدوات لسياستها. ويضيف : إلى أن النظام السعودي عهد بمهمة تشكيل حرسه الوطني إلى مؤسسة "فينيل" من نبراسكا، واستعانت بالبوليس الفرنسي لطرد مقتحمي المسجد الحرام في مكة عام 1979م، وعينوا المجرم الألماني "أولبرس فون فاجنر" مديراً عاماً لتدريب الحرس الوطني.. في نفس اليوم الذي أطلقوا فيه النيران على الحجاج الإيرانيين عام 1988م.

واندمج الإخوان إندماجاً كاملاً بالنظام السعودي حتى في ملابسهم، وكأن الزي الإسلامي المنشود حتى في العلاقات الأمريكية الإيرانية .بعد الثورة الإيرانية الإسلامية شدد النظام السعودي عداءه للنظام الإيراني، واعتبرهم كفاراً مشركين واندمج الإخوان في الاتجاه نفسه في عدائهم للشيعة الإيرانية، وذلك إنتصاراً للسياسة الأمريكية في المنطقة.. ومن المعلوم أن إيران كانت في عهد الشاه تمثل شرطي المنطقة وانتهى هذا الدور بالثورة الإسلامية الإيرانية، وأعلن الرئيس الأمريكي في ذلك الحين "ريجان" بالقول : "لن نسمح بأن تكون السعودية إيران جديدة".. وانتصاراً للرؤى الأمريكية التي أعلنت عداءها للثورة الإسلامية الإيرانية تحالف الأمراء السعوديون إلى جعل إيران العدو الأول بدلاً من إسرائيل عدو الإسلام.

ونلاحظ أن الدول العربية تلاحمت مع صدام حسين في حربه ضد إيران انتصاراً للاتجاه السياسي الأمريكي واستغل النظام السعودي أنصارهم من الإخوان في نشر الإسلام كما يفهمون في أفريقيا وآسيا، وإغراقهم بكتبهم وكتاباتهم المجانية التي تقدم الإسلام في إطار منظومة من الممارسات والطقوس الخارجية.. لا روح لها، وتختزل في طقوس وممنوعات..

ولم يكن الفكر الوهابي على وئام مع ال سعود في منتصف العشرينات من القرن العشرين عندما اعلن الوهابيون العسكريون عصيانهم لابن سعود وهاجموا المناطق الشمالية الواقعة تحت الانتداب البريطاني، مما استدعى الملك عبدالعزيز القيام بمواجهة المتمردين وتحالف مع القوات الجوية البريطانية في موقعة "السبلة" عام 1929م وتم تصفيتهم.. وكان ذلك اول خروج على ابن سعود[1].

بعد وفاة الملك عبدالعزيز عام 1953م تولى الحكم من بعده ابنه "سعود" كان شخصية ضعيفة وكان عهده ايذانا بعهد من التبذير وفساد الحكم ادى ذلك الى تنحيته عام 1964م باجماع كبار الاسرة المالكة والعلماء.. وتولى فيصل الحكم وبدا باصلاحات سياسية وحكومية، ومنها تحديد ميزانية للدولة وتعيين هيئات قضائية للاقاليم، فضلا عن اجراءات للرعاية الاجتماعية والسيطرة على الاسعار والغاء الرق. كما اوجد مجموعات من قوانين العمل، وسار على نهج والده في اضفاء الشرعية على المبادرات الجديدة.. "كان اعظم تحد خارجي واجه الملك فيصل هو الوحدة العربية التي نادى بها عبد الناصر، وادى ذلك الى مواجهة عسكرية (مصرية – سعودية) في الحرب الاهلية اليمنية (1962-1968م)، وكان رد فعله هو اللجوء الى الشرعية الاسلامية في الداخل وتشجيع حركات "الجامعة الاسلامية في الخارج" [2].

---

1) ريتشارد هرير دكميجان: الأصولية في العالم العربي "ترجمة" عبد الوارث سعيد، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط3، 1992م، ص194.. انظر أيضاً : د. برهان غليون، المحنة العربية الدولة ضد الأمة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1993م، ص48. انظر أيضاً : د. عبدالوهاب العقاب : تطور العلاقات اليمنية السعودية "1948-1970م)، عدن، جامعة عدن، ط1، 2002م، ص35.

2) فاروق أ. شكري : الإسلام والسياسة في السعودية في "الانبعاث الإسلامي في العالم العربي"، تحرير علي الدين هلال دسوقي، نيويورك، بريجر، 1982، ص148-185 نقلاً عن ريتشارد هرير دكميجان، الأصولية في العالم العربي، مرجع سابق، ص196.

اغتيل فيصل عام 1975م وتولى اخاه الملك خالد بعده، ثم تنازل عن العرش في ظروف غامضة، وتربع على العرش من بعده الملك فهد بن عبدالعزيز وفتح البـاب عـلى مصراعيـة في علاقات امنية مع الولايات المتحدة، وادت جهود الملك فهد في مجال التنمية واهتماماتها في مجال الامن الى تزايد الوجود الامريكي[1].

ويشير "ريتشارد" الى انه نتج عن هذه التطورات فساد واسراف في الاستهلاك بين افراد معينين وزيادة في حرمان القبائل والطبقتين الوسطى والدنيا، وفي هذا الجو ظهـرت موجـة جديدة من الانبعاث الاسلامي خلال السبعينات[2].

1) ميكائيل كورتس : خلق السعودية وتآكل السلفية الوهابيـة في الـدين والسياسـة في الشرق الأوسـط، نقلاً عن ريتشارد هرير دكميان، المرجع السابق، ص117، ويشير المرجع إلى ما ذكر ميكائيـل إلى أن أكـثر من (300.000) أمريكي يعيشون في السعودية منذ أواخر السبعيات، ص282.

2) نفس المرجع السابق، ص197 : ويشير المرجع أيضاً إلى الحراك التاريخي، ويوضح أن الجهة المعارضـة كان مسرحها الرئيس يحتله القوميون العرب الناصريون بقيادة الأمير طلال، وهذا شـل دور الإسـلاميين، إلا أن هذا الدور الذي قام به القوميـون ضـعف عقـب اعتقـال قادتـه عـام 1969م وتـدهورت واحتـل مكانها الأصولية الإسلامية وكان قيادتها في يد الأمير خالد بن مساعد بن عبدالعزيز، وعندما شـعر الملـك فيصل بأن هذه القوة تشكل تهديداً للمملكـة خاصـة عنـدما عـارض الأمـير خالـد إدخـال التلفـاز.. وفي أغسطس 1965م قتل الأمير خالد مع سعد بن هليل وآخرون من الأتباع.. وبعد عشر سنوات قام الأمـير فيصل بن مساعد باغتيال الملك فيصل انتقاماً لموت أخيه الأكبر الأمير خالد بن مساعد.

وبرز الى الساحة تيار اسلامي جديد، ويعد "جهيمان بن سيف العتيبي"[1] قائد ومؤسس هذا التيار، وكذا المحرك الرئيس في المواجهة العسكرية في المسجد الحرام عام 1979م.. تكونت في شخصية جهيمان عوامل مهمة جعلت منه ثائرا اصوليا من اعلى درجة، ميالا الى تحطيم نظام ال سعود، وخلفيته القبلية وطبقته الوسطى وتاريخ اسرته واخلاصه العقائدي وخبرته العسكرية.. وتحدد بياناته التي اذيعت عبر مكبر الصوت عند احتلاله الحرم المكي توجهاته الفكرية وهي :-

_ وجوب اتباع سنة النبي عليه الصلاة والسلام، الوحي والدعوة والغلبة العسكرية.

_ ضرورة ان يقوم المسلمون بالاطاحة بحكامهم الحاليين الفاسدين المفروضين عليهم والذين تنقصهم الصفات الاسلامية حيث لا يعترف القران بملك او قبيلة.

_ شرعية الحكم تتطلب الاخلاص للاسلام والعمل به والحكم بالقران، وليس بالقهر، والانتماء الى اصول قريشية وانتخاب المؤمنين المسلمين "للحاكم".

_ واجب اقامة العقيدة الاسلامية على القران والسنة وليس على تفسيرات العلماء المشكوك فيها ودروسهم "الخاطئة" في المدارس والجامعات.

---

1) انظر : ريتشارد هرير ديكمجيان : المرجع السابق، ص199.. ويشير المرجع إلى شجرة "العتيبي" التي تنحدر من قبيلة "عتيبة" وقد قتل جده في موقعة "السبلة" وهي حادثة تمثل رابطة بين الوهابين القدامى والجدد من الناحية المرجعية المذهبية.. خدم "جهيمان" في الحرس الوطني السعودي المجند من القبائل. واستقال منه عام 1974م، وتعلم أسس الفكر المذهبي على يد الشيخ عبدالعزيز بن باز في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، بعد منتصف السبعينات قضى جيهمان وقته في نشر رسالته وتنظيم أتباعه في مواجهة النظام..".

ـ على المسلم ان ينفصل عن النظام الاجتماعي والسياسي بترك الوظائف الرسمية.

ـ ظهور "المهدي" من نسب الرسول صلى اللـه عليه وسلم ومن ولد الحسين بن علي ليزيل المظالم القائمة ويقيم العدل والسلام للمؤمنين.

ـ رفض كل من يشرك باللـه بما في ذلك عباد علي وفاطمة ومحمد والخوارج، وحتى الموسيقى والتكنولوجيا.

ـ وجوب اقامة مجتمع مسلم ملتزم يحمي الاسلام من الكافرين، ولا يؤثر الاجانب[1].

يمكن القول مما سبق ان الافكار المطروحة شبيهة الى حد ما بافكار "جماعة التكفير والهجرة" الذين اعتبروا العمل الوظيفي مع النظام الحاكم كفرا بسبب تعامله مع البنوك الربوية وخروجه عن التشريعات السماوية الاسلامية.

في 20 نوفمبر 1979م تمكن "جهيمان" من احتلال المسجد الحرام بعد ان قام باغلاق بوابات الحرم الثمانية والاربعين، اعلن "محمد عبداللـه القحطاني" اخو زوج "جهيمان" انه المهدي المنتظر امام تجمعات الحجاج المذهولين -كان عدد اتباعه ما يزيد على (300) من الرجال مع اسرهم- واستمروا في القتال اسبوعين حتى تم قتل معظمهم والقاء القبض على من تبقى منهم حيث تم اعدام جهيمان واثنين وستين من اصحابه.

والسؤال المطروح هو هل المحاولة الانقلابية على النظام كانت وليدة ظلم حقيقي، ام انها نتيجة خلاف على اساليب وحظوة نفوذ قبيلة ال سعود؟

يبدو لقارئ التاريخ ان معظم الدول العربية تسيطر وتستاثر على مقدراتها القبيلة صاحبة الحظوة والنفوذ، صحيح ان بعض المناطق العربية التي خضعت

---

1) نفس المرجع السابق : ص200.

لنفوذ الاستعمار الاوربي ذابت فيها العصبية القبلية كمصر وتونس والمغرب العربي، اما بقية الدول العربية فالقبيلة الواحدة هي المستاثرة بكل مقدرات البلاد.. ولذلك يمكن القول ان النزاع الذي جرى بين قبيلة عتيبة وال سعود كان وليد الشعور باستئثار ال سعود والقبائل المنتمية عن طريق الخوالة اليهم بكل شيء.. هذا جانب، الجانب الاخر هي النزعة الثارية، فقد قتل جد "جهيمان" في المعركة التي دارت بين الملك عبدالعزيز والقبائل المتمردة والتي توارت خلف الفكر الوهابي في موقعة "السبلة".

اما الجانب الديني والمذهبي فقد كان وسيلة او مطية تحتمي بها وخلفها قبيلة "عتيبة" لتبرر موقفها الانقلابي، وتشير بعض المصادر[1] الى ان ارتباطات قبلية حول قبيلة عتيبة كقبيلة قحطان، وحرب، وعنزة، ومطير، وكان معظم المتمردين قد جاءوا من "نجد" وقلة من "شمر" و "عسير" وانضم اليهم متعاطفون فكريا وتم القبض عليهم حوالي اثنين وعشرين شخصا، معظمهم من مصر واليمن وقليلون من الكويت والسودان والعراق.

من جهة اخرى كانت الشيعة في المنطقة الشرقية من المملكة تعاني من شعور بالاحباط نظرا لاساليب ارهاب الدولة ضدها -وهي منطقة تعتبر سكانيا امتدادا للاغلبية الشيعية في ايران والعراق- ويعود تاريخ تمردها الى زمن احتلالها من قبل الملك عبدالعزيز عام 1913م[2].

---

1) صوت الطليعة (مايو 1980) : ص128-129.. روشت " الحمى الكبرى" ص92.. نقلاً عن : ريتشاد هرير دكمجيان، المرجع السابق، ص202.

2) نفس المرجع : ص203 : ويشير المرجع إلى أنه تم في عام 1925م إنشاء جمعية بقيادة محمد الحبشي لتعبر عن مطالبها واعتبرت الحكومة تلك المطالب غير شرعية، وحين كشف النفط أصبح للمنطقة الشرقية أهمية جديدة حيث عمل كثيرون من المواطنين الشيعة في حقول النفط، وفي عام 1948م تظاهر الشيعة ضد النظام فتم سحق المتمردين الذين يطالبون بالانفصال عن المملكة، وفي عام 1949م اكتشفت الحكومة مجموعة متآمرين تعمل تحت اسم جمعية تعليمية، وتم سحقها عام 1950م، وفي خلال حرب 1956م، و1967م بين العرب وإسرائيل قام الشيعة بقطع الإمدادات النفطية عن الغرب وفي عام 1970م تم قمعهم عن طريق الحرس الوطني واحتواء الاضطرابات.

وكان اخر انتفاضة ضد النظام حصلت عام 1978م ادت الى اعتقالات وخسائر واسعة النطاق[1].. وفي اواخر عام 1979م ادت الاضطرابات والتي تزامنت مع ايام الحداد الديني الشيعي -عاشورا- واحتجاز الرهائن الامريكيين في طهران، والاستيلاء على المسجد الحرام في مكة ، وسحقت هذه الانتفاضة على يد قوات الحرس الوطني في 19 نوفمبر وحتى النصف الثاني من ديسمبر 1979م[2].

واتخذت المملكة العربية السعودية تكتيكا سياسيا تمثل بالمكافات المالية مع مناوئيها المبعدين، وقامت ايضا بارضاء معارضيها من السنة في الداخل والخارج، فالجماعات الاسلامية السنية داخل المملكة وخارجها لها ارتباطات قوية مع الاخوان المسلمين في مصر وفروعها في الكويت والخليج واوربا.. ونظرا لتزايد موجة الاحتجاج فقد نظم بعض الشباب الاصوليين انفسهم في جماعة اسموها "جماعة الدعوة" ومن مظاهرهم الخارجية التزامهم بالاتي:-

_ لحى كاملة مع شارب نحيل او بدون شارب.

_ تقصير شديد لشعر الراس -3 ملليمتر-.

_ ثوب ابيض قصير فوق السراويل، يغطي من السرة الى الركبة لا يغطي الثوب القدمين لان الثوب الطويل يشير الى البذخ او الكبر.

_ غطاء للراس "طاقية" وغترة بدلا من العقال العربي المعتاد الذي يعتبر بدعة.

_ ساعة يد مع سلسلتها، وليس ثمة مسبحة[3]."

1) فردهاليداي : الرمال المتحركة تحت بيت سعود، مجلة التقدمي، مارس 1980،ص39.

2) ريتشارد هير ديكمجيان : مرجع سابق، ص204.

3) نفس المرجع : ص206.

وبرزت معظم هذه المظاهر في الكليات العلمية في جامعة المعادن والبترول، وكلية الطب بجامعة الملك فيصل، وجامعة الملك سعود في الرياض.. ويدل ذلك على توجه جديد باستخدام التقنية الغربية ضد الغرب.

ونتيجة لذلك فقد بدات المملكة السعودية استرضاء المعتدلين والمتشددين من الاصوليين فاتخذت قانونا اساسيا يتضمن "مجلس الشورى" الى جانب وعود اخرى باتخاذ برنامج شامل للاصلاح.

وفي منتصف يونيه 1983م دعا الملك فهد الى عقد مؤتمر عالمي لعلماء المسلمين تحت شعار "تحديث الشريعة الاسلامية"" عن طريق "الاجتهاد""[1].

فهل كانت النتائج مجدية؟.. يبدو ان سياسة ال سعود بدات تستجيب تحت وطاة الضغط من العلماء والمثقفين السعوديين. ولكنها استجابة وقتية، وكان الغرض من اختيار العلماء من العالم الاسلامي لحضورهم المؤتمر لمناقشة العلاقة بين الراعي ورعيته، صحيح ان البرنامج اخذ شعار تحديث الشريعة، الا ان مقتضيات الواقع السياسي لال سعود هو دراسة دور العلماء في توجيه العامة للعمل بتوجيهات ولي الامر. برغم التسليم بالنص الذي يامر بانه لا سمع ولا طاعة في حالة وقوع المعصية او الامر بها من جانب الامام او السلطان او ولي الامر او الدولة، لكن ذلك لا يعني الرضا والقبول، فنزع السيف لا يعني نزع اشكال اخرى من الاحتجاج او الرفض السلبي[2].
ويرى الامام احمد بن حنبل - وهو مذهب الاتجاه الوهابي - ان ليس من السنة ان

---

1) مجلة الواشنطن بوست (1983/6/16)م.

2) د. فهمي جدعان : الطاعة والاختلاف في ضوء حقوق الإنسان في الإسلام، في ندوة تحرير : سلمى إلخضراء الجيوشي، وآخرون "ندوة فكرية حول حقوق الإنسان في الفكر العربي" دراسات في النصوص، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ط200،1م،ص203.

ترفع السلاح على امامك، وان من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات ميتة جاهلية[1].

مما سبق يمكن القول ان الاتجاه الحركي الاسلامي في الجزيرة العربية اخذ في النمو نتيجة مؤثرات خارجية وداخلية، وهو تحدٍ يضع النظام السعودي امام خيار التغيير التدريجي وفقا للمعايير الديمقراطية المطلوب ممارستها وهو خيار مرهون بقناعات الاسرة الحاكمة اذا رغبت باستمرار مكانتها ووضعها السياسي.

وفي دول الخليج العربي فسماتها قائمة على حكم سلالي في ايدي عائلات تدين بالمذهب السني باستثناء عمان والتي تدين بالمذهب الاباضي، والبحرين ومعظم سكانها من الشيعة، وتتحكم هذه الاسر بالاقتصاد، ومنحت تغلغلا غربيا ملموسا في اقتصاد المنطقة وثقافتها ضمن عملية التحديث.وتميز بعض سكانها العرب بالثراء الفاحش.. هذه العوامل انتجت فكرة الاصولية السلبية اذا قورنت بدول الجوار الاسلامية في ايران والسعودية.. وتعد مجتمعات الخليج منفتحة الى حدما على العالم.

ويشير "ريتشارد"[2] الى ان الغنى الفاحش، والتبذير والتهتك، قد ساهم في ظهور الاصولية بشكليها السني والشيعي، وقد ساهم الوافدون العرب، المصريون والفلسطينيون والباكستانيون واليمنيون، والسوريون، والعراقيون وغيرهم في انبعاث حركي اسلامي نتيجة الاحتكاك بالايرانيين الشيعة والهنود البوذيين العاملين في دول الخليج.

ففي الكويت تم اول انتخاب نيابي عام 1981م، وبدات الكويت تعمل على تحديث سريع للمجتمع والاسلام لا يزال القاعدة الاساسية في شخصية

---

1) أبو علي حنبل بن إسحاق : ذكرى محنة أحمد بن حنبل، ص89-99.

2) ريتشارد ديكمجيان : مرجع سابق، ص209.

الفرد والمجتمع، وتشير المعلومات الى ان سياسة النظام الحاكم لال الصباح قد شجعت على نمو الوعي الاسلامي غير السياسي[1].

وفي مطلع الثمانينات استضافت دولة الكويت العديد من اللاجئين السياسيين ما بين يساريين وتحرريين "ليبراليين" واصوليين اسلاميين، والذين اصدروا صحفا ومجلات عالية الجودة منها "مجلة المسلم المعاصر"، ومجلة "الوعي الاسلامي"، ومجلة "المجتمع" التي تصدر عن "جمعية الاصلاح الاجتماعي" والتي تنتهج فكر "الاخوان المسلمين" وتحظى هذه الجمعية بحماية وتعاطف من عدد من الشخصيات البارزة في النظام والاسرة الحاكمة، وتراس الجمعية شبكة من الفروع على امتداد دول الخليج.

وهناك جماعة شيعية وتتمثل "بدار التوحيد" وكان لها مطبوعات باسم "اهل البيت" وكان لهذه الجماعة نشاط اعلامي دعوي، وتحظى هذه الجماعة بدعم مادي من ايران.. وتحظى جماعة "حزب الدعوة" الشيعية ايضا بدعم من الداخل والخارج.. وعندما بدات هذه الجماعة تهدد امن البلد بعد تفجيرات ديسمبر 1983م في السفارتين الامريكية والفرنسية، اتخذت الدولة الكويتية اجراءات امنية صارمة، وبدا النظام يتجه نحو الجماعات العلمانية من اجل التوازن السياسي مع الاسلاميين.

اما البحرين فالاغلبية السكانية شيعية، الا ان المسيطرين على امور البلاد هم السنة "عائلة الشيخ عيسى بن خليفة" من هنا بعض افراد الشيعة متعاطفون مع السياسة الايرانية.

وفي عهد الامام الخميني ثارت الاغلبية الشيعية في محاولة انقلابية، وللشيعة تنظيم يسمى "الجبهة الاسلامية لتحرير البحرين" ويتزعمها

---

1) توفيق فرح : السياسة والدين في الكويت، في الانبعاث الإسلامي في العالم العربي، تحرير : علي الدين هلال دسوقي، 1982)،ص171-176، نقلاً عن : ريتشارد ديكمجيان، مرجع سابق،ص27.

"حجة الاسلام هادي المدرسي" وتم ابعاده من البحرين بسبب ادعائه انه وكيل الخميني في البحرين. وكان له علاقة بمنظمة العمل الاسلامي المعارضة لحزب البعث العراقي[1].

في 16 ديسمبر 1981م اعلنت البحرين والسعودية القبض على خمسة وستين فردا، اتهموا بالضلوع في الارهاب، وانه تم تدريبهم عن طريق "المدرسي" وفي 20 ديسمبر 1981م عقدت معاهدة دفاع مشترك بين البحرين والسعودية، واتهم وزير الداخلية السعودي "نايف بن عبدالعزيز" ايران التي اصبحت دولة عدوانية[2].

اما دولة قطر فتحكمها عائلة ال ثاني وتعتنق فكريا المذهب الوهابي، ومميزات دولة قطر، نزوع سكانها الى العمل في التجارة، وكان للاخوان المسلمين المبعدين من مصر دورٌ في تكوين جماعة اسلامية معارضة للنظام والاتجاه الشيعي الذي يشكل 16% من مجموع السكان وهم من اصل فارسي. وتقف "عمان" الاباضية وحدها في العالم الاسلامي، وتحكمها اسرة "ال بوسعيد"منذ منتصف القرن 18م.

ونتيجة لقسوة "سعيد بن تيمور" (1932-1970) اوجد عزلة عمان عن العالم الخارجي، وادى ذلك الى العديد من الثورات كان اخطرها ثورة ظفار في منتصف الستينات من القرن العشرين، فاستبدل البريطانيون بالسلطان سعيد ابنه "قابوس" الذي نجح بسحق الثورة بقوة ايرانية واخرى اردنية.

وتتكون "الامارات العربية المتحدة" من سبع مشيخات التقت في اتحاد فيدرالي عام 1971م، وتم نجاح ذلك الاتحاد تحت رعاية بريطانيا، وكان

---

1) المرجع السابق : ص214.

2) الدستور (1982/1/11)،ص26-27.

ذلك الحديث بمثابة حل للصراعات العائلية والقبلية والاقتصادية التي ظلت قرونا على التوحد[1].

ويمثل الشيعة من اصل ايراني 30% من مجموع السكان وثلثاهم من مواطني الامارات، يتركز معظم الشيعة في "دبي" كونها مركزا تجاريا وتجمعا للمصارف، ويحتل الشيعة مراكز هامة تجارية وسياسية ايضا. وقد استقدمهم الشيخ" مكتوم" للعمل في مشاريعه التجارية.. وتنظر الدولة الى الشيعة على انهم طابور خامس لايران على الرغم من هدوئهم.

مما سبق يمكن اسدال الستار على النشاط الاسلامي في الخليج وخاصة اثناء حرب الخليج الثانية عندما انقلب "الاخوان المسلمون" في دول الخليج على نظام وتوجهات الاخوان في المركز بمصر، وغلب عليهم عاطفة المصالح الاقليمية على العاطفة الروحية.. فهل يمكن تقويم اعوجاج المواقف المتباينة بين المحلي والمركز بعد احتلال العراق، وسقوط النظام العراقي في 9 ابريل 2003م؟.

الاحزاب الاسلامية السياسية في شمال افريقيا:

تعد "ليبيا وتونس والجزائر والمغرب" من الدول التي عانت كثيرا من الاستعمار، الا ان جبروت الاستعمار الفرنسي في "تونس، والجزائر، والمغرب" كان له اثر كبير على مجتمع شمال افريقيا سواء في اللغة التي كادت ان تطمس، والثقافة المحلية التي امتزجت بالثقافة الفرنسية، ويبدا تاريخ كل من هذه الدول في التاريخ الحديث من الدور الذي لعبه العثمانيون منذ دخولهم شمال افريقيا.. فتونس خضعت للنفوذ العثماني عام 1573م، وكان دورهم هو ملاحقة الاستعمار الاسباني، وقد تم عن طريقهم طرد الاسبان الذين دخلوا تونس على اثر استنجاد الحسن الحفصي بهم، ودخول القائد العثماني "دار

1) انظر : تقارير MERIP (يناير1980) : 19-22. نقلاً عن : ريتشارد : مرجع سابق،ص216.

غوث باشا" مدينة القيروان، وتم اعتقال محمد الحفصي عام 1573م، وارساله الى الاستانة.. وبذلك انتهى عصر الدولة الحفصية، التي حكمت تونس ثلاثمائة وخمسين عاما[1].

وضع "سنان باشا" نظاما مدنيا يكون الباشا العثماني هو الوالي، وله موظف يدير الشؤون المالية بلقب الداي، الا ان الامور تطورت فيما بعد، واستاثر الدايات بالسلطة دون الوالي وحكموا من "1590-1705"م حين ظهرت سلطة اخرى هي سلطة الباي، واصبح الحكم لهؤلاء البايات بالوراثة، وما رست هذه الاسرة "الحسينية" حكمها من "1705-1957"[2]، وعلى الرغم من استقلال هذه الاسرة بالحكم الا انها كانت تخضع للدولة العثمانية من الناحية الدينية على اعتبار ان العالم الاسلامي وطن واحد.

في عام 1880م اقتربت القوات الفرنسية من العاصمة التونسية ومنح الباي اربع ساعات مهلة للاستسلام من ثم عقدت معاهدة (باردو) معه،وقامت انتفاضة في جنوب تونس فقام الفرنسيون بقمعها عام 1881م، ومنحت فرنسا نفسها في معاهدة اخرى حق الاشراف على الشؤون العسكرية والخارجية والمالية، وتعيين وزير فرنسي في تونس يكون حلقة وصل بين تونس وفرنسا. ولم تستطع الدولة العثمانية تقديم شيء من اجل تونس.. وبعد الحرب العالمية الاولى تنازلت تركيا عن تونس في معاهدة لوزان عام 1923م.. من ثم اصبحت تونس تحت الحماية الفرنسية من عام 1880-1956م.

واصبحت الاسرة الحاكمة الحسينية مشلولة التصرف واصبح حكم الباي حكما صوريا فقط على الرغم من مشاركة وزراء تونسيين، الا ان الحاكم العام الذي تم تعيينه "فرنسي الجنسية".

---

1) د. إسماعيل أحمد ياغي : تاريخ العالم العربي المعاصر، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1،2000م، ص341-342.

2) Ling, Dwightl. Tunisiau from protectorate to Republic. P. 18-20.

لم يقف التونسيون مكتوفي الايدي في النضال ضد الاستعمار، فكانت حركة "علي شوشة" ثم حركة "علي باشا حمبة" الذي كون حزب المقاومة واستمر حتى عام 1908م عند تحول هذا الحزب الى حزب تونس الفتاة بزعامة الشيخ عبدالعزيز الثعالبي، وكانت ثورة 1911م ضد الفرنسيين بسبب محاولة الفرنسيين مد خط حديدي عبر مقابر المسلمين.. وفي عام 1919م انشا الوفد من الاعيان الذي ذهب الى المقيم الفرنسي بتونس لشرح الوضع العام في تونس، كون "حزب الدستور الحر" وتعد المذكرة التي تقدموا بها للحاكم المقيم هي اهداف الحزب.

وباعتلاء الباي "محمد المنصف" عرش تونس في 19 يونية 1942م احتل الالمان تونس. فتقدم "حزب الدستور" بمطالبه وشكلت حكومة اصلاحية، الا ان الحلفاء خرجوا من تونس وعاد الفرنسيون فخلعوا الباي عام 1943م، وعانى التونسيون الكثير من الاضطهاد الفرنسي، وضعف نشاط الاحزاب السياسية وفر الزعماء النشيطون الى القاهرة، ودمشق، وكان من هؤلاء "الحبيب بورقيبة" الذي اتخذ من القاهرة ملجا سياسيا له من 1945-1949م، واستمر الكفاح المسلح ضد الفرنسيين حتى عام 1954م عندما منحت فرنسا تونس الاستقلال الذاتي، فشكل "طاهر بن عمار" وزارة وطنية في اول حزيران 1955م، ووقعت تونس مع فرنسا اتفاقية استقلال تونس مع بعض التحفظات الفرنسية فلم يقبل الشعب.. وعادت الاضطرابات من جديد. وفي العشرين من اذار 1956م انتخب "الحبيب بو رقيبة" رئيسا للجمعية الوطنية وشكل اول وزارة استقلالية.. وتنازلت فرنسا عن تحفظاتها والغيت المحاكم الفرنسية، وفي العشرين من اذار 1957م الغيت الملكية، وفي 25 تموز 1957م انتخب "بورقيبة" اول رئيس جمهورية لتونس المستقلة[1].

---

1) د. إسماعيل يغي : مرجع سابق، ص350-372.

كان "بورقيبة" علمانيا، وكانت ثقافته فرنسية، ولذلك جاء الى السلطة متوشحا مشروعا سياسيا علمانيا.. وعمل على تفكيك مدرسة "الزيتونة" واصلاح منهجها وفقا لتوجهاته، وكان "الحزب الدستوري" -الحزب الحاكم- يقوم بملاحقة علماء الدين، ادى ذلك الى ظهور تيار اسلامي سياسي في بداية السبعينات من القرن العشرين.

ويشير البيان لحركة الاتجاه الاسلامي[1] الى ان الحركة لا تقدم نفسها ناطقا رسميا باسم الاسلام في تونس ولا تطمح يوما في ان ينسب هذا اللقب اليها "فهي مع اقرارها بحق جميع التونسيين في التعامل الصادق المسؤول مع الدين ترى من حقها تبني تصور للاسلام يكون من الشمول بحيث يشكل الارضية العقائدية التي منها تنبثق مختلف الرؤى الفكرية والاختيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تحدد هوية هذه الحركة وتضبط توجهاتها الاستراتيجية ومواقفها الظرفية".

ويضيف الى ان "حركة الاتجاه الاسلامي" حالت بينها وبين جماهيرها المسلمة ظروف القهر والارهاب.. وتعمل الحركة على تحقيق الاتي:-

_ بعث الشخصية الاسلامية لتونس حتى تستعيد مهمتها كقاعدة كبرى للحضارة الاسلامية بافريقيا، ووضع حد لحالة التبعية والاغتراب والضلال.

_ تجديد الفكر الاسلامي على ضوء اصول الاسلام الثابتة، ومقتضيات الحياة المتطورة وتنقيته من رواسب عصور الانحطاط واثار التغريب.

_ ان تستعيد الجماهير حقها المشروع في تقرير مصيرها بعيدا عن كل وصاية داخلية او هيمنة خارجية.

---

1) د. راشد الغنوش : الحريات العامة في الدولة الإسلامية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1993، ص335-336.

_ اعادة بناء الحياة الاقتصادية على اسس انسانية وتوزيع الثروة بـالبلاد توزيعـا عـادلا على ضوء المبدا الاسلامي، الرجل وبلاؤه، الرجل وحاجته"[1].

ولتحقيق هذه المهام تعتمد الحركة الوسائل التالية:

_ اعادة النشاط الفكري في المسجد كمركز للتعبد والتعبئة الجماهيرية كامتداد لما كان يقوم به "جامع الزيتونة" دعما لمكانة تونس كاشعاع حضاري عالمي.

_ تنشيط الحركة الفكرية والثقافية عن طريق اقامة الندوات، تشـجيع حركـة التـاليف والنشر، تجذير وبلورة المفاهيم والقيم الاسلامية، وتشجيع البحث العلمـي، ودعـم الاعـلام الملتزم.. دعم التعريب في مجال التعليم والادارة مع التفتح على اللغـات الاجنبيـة. ورفـض العنف كاداة للتغيير، وتركيز الصراع على اسس شوروية تكون هي اسلوب الحسم في الفكر والثقافة والسياسة.. ورفض مبدا الانفراد بالسلطة "الاحادية" لما يتضـمنه مـن اعـدام ارادة الانسان وتعطيل طاقات الشعب ودفع البلاد في طريق العنف، وفي المقابل اقـرار حـق كـل القوى الشعبية في ممارسة حرية التعبير والتجمع وسائر الحقوق الشرعية والتعاون في ذلك مع كل القوى الوطنية.

بلورة مفاهيم الاسلام الاجتماعية في صيغ معاصرة حتى يـتم تحديـد مظـاهر الحيـف واسبابه والوصول الى بلورة الحلول البديلة.. والانحياز الى صفوف المستضعفين من العـمال والفلاحين وسائر المحرومين في صراعهم مع المستكبرين[2].

---

1) الغنوش : مرجع سابق، ص337.

2) نفس المرجع : ص338.

برز "الغنوشي" كاستاذ فلسفة في مطلع السبعينات يخوض غمار المعارضة للنظام كمؤسس للحركة الاسلامية، وهي "حركة النهضة" في 3 ايار / مايو1988م، يروي تجربته بالاتي:-

"في بداية السبعينات ايضا قدمت انا من المشرق مفعما بفكرة الاصلاح الديني التي شهدها المشرق، وكنت ذهبت الى سوريا للدراسة لانني من بقايا التعليم الزيتوني، وخريجي الزيتونة لم يكن لهم امل في الجامعة، فالبعض يتوظف والبعض يتسلل الى الشرق لان طريق الشرق لم يكن مشجعا عليه. ولما رجعت الى تونس حضرت حلقات الشيخ بن ميلاد، والتقيت بالشيخ عبد الفتاح مورو، ثم انطلقنا في الحركة الاصلاحية، وقد ساعدني عملي في التعليم الثانوي على الاتصال بالشباب وتوعيتهم، وكان عملنا يتركز على التوعية العقائدية، وتتلخص في نقد المفاهيم الغربية التي كانت مسيطرة على اذهان الشباب، واثبات تفوق الاسلام بالنسبة اليها، وقد انشانا لذلك حلقة اولى في جامع "سيدي يوسف" بالعاصمة سنة 1970م، وهي تتجه خاصة لشباب الباكلوريا تقدم فيها المفاهيم الغربية وتحلل وتنقد، ويقدم البديل الاسلامي.

وفي سنة 1971م انضممنا الى جمعية المحافظة على القران، ونشطنا داخلها، الا ان الحزب تدخل واخرجنا منها، فانشانا حلقة اخرى في جامع "صاحب الطابع" بالعاصمة، وبدات تتسع شيئا فشيئا، واستمرت تقريبا سبع سنوات. ثم انتقل هؤلاء الشباب الذين كانوا يحظرون الحلقات الى الجامعة، ونقلوا معهم الفكرة الاسلامية، وبدا صراعهم هناك مع الاتجاهات اليسارية. والذين تخرجوا من الجامعة انتشروا في البلاد ونقلوا فكرتهم وانشاوا

بدورهم حلقات لتوعية الشباب وتربية اسلامية، وهكذا انتشرت الحركة"[1].

وهكذا بدات الحركة بتكوينها الشبابي الجامعي والمدرسي تشكل تواجدا بـارزا داخـل الساحة التونسية.. ويقارن "الغنوشي" بين حركته والحركـات المنافسـة لهـا.. فيشـير الى دور الشيوعيين، فانطلقوا الى النقابات خاصة وجعلوها مكانا لعملهم يجندون الطبقـة العاملـة ويوهنون السـلطة، حتـى تضـعف فينقضـوا عليهـا بيـنما الحركـة الاسـلامية اتجهـت نحـو الجامعات في العالم الاسلامي.

كانت مرحلة السبعينات نهاية فترة المد القومي وانحسـار المـد الشـيوعي في المنطقـة العربية، وكان التيار الاسلامي هو البديل والصاعد على حساب التيارين القومي والمـاركسي، الا ان التيار العلماني الليبرالي هو المنافس للتيار الاسلامي ومازال، ويحظى بـدعم كبـير مـن المعسكر الغربي.

والسؤال الذي يفرض نفسه، ما هـي الاسـس الفكريـة التـي تكـون التوجـه الاسـلامي بتونس؟.. يشير "الغنـوشي" الى ان الظـاهرة الفكريـة بتـونس تتصـل بثلاثـة عنـاصر، الاول: التدين التقليدي التونسي، والذي يتكون من التقليد المـذهبي المـالكي، والعقائـد الاشـعرية، والتربية الصوفية.. اما العنصر الثاني، وله انصاره، يتمثل بالتـدين السـلفي الاخـواني القـادم من الشرق، ويتكون من المنهجية السلفية التي تقوم على رفـض التقليـد المـذهبي الفقهـي والعقائدي والعودة الى الكتاب والسنة، وتجربـة الخلفـاء والاصـحاب والتـابعين، ومحاربـة الوسائط بين الخالق والمخلوق بتقديس الاضرحة والتقرب اليهم ومحاربة البدع.

---

1) د. محمد عبد الباقي الهرماسي : الإسلامي الاحتجـاجي في تـونس، في [د. إسـماعيل صـبري وآخـرين]، ندوة "الحركات الإسلامية المعـاصرة في الـوطن العـربي"، بـيروت، مركـز دراسـات الوحـدة العربيـة، ط2، 1989، ص251.

كذلك الفكر السياسي والاجتماعي الاخواني القائم على تاكيد شمولية الاسلام ومبدا حاكمية الله سبحانه، وتكفير الانظمة القائمة والعمل على ازالتها.

اما المنهج التربوي ويركز على التقوى والتوكل والذكر والجهاد والجماعية والاستعلاء الايماني والاخوة، والتقلل من الدنيا وتحري السنة حتى في الجزئيات.. ويضاف المنهج الفكري والذي يضخم الجانب العقائدي الاخلاقي على حساب الجوانب السياسية والاجتماعية، ويقيس الاوضاع والجماعات بمقياس عقيدي، وياتي العنصر الثالث، ويتمثل بالتدين العقلاني، ويتكون من الاتي:-

التراث العقلاني الاسلامي، وعمل انصار هذا الاتجاه على احيائه والدفاع عنه، واعادة الاعتبار الى المنهج الاعتزالي في التعامل مع الاسلام، حسب فهمهم لهذا المنهج، وكذلك اعادة الاعتبار للمعارضة السياسية في التاريخ الاسلامي، كالخوارج والشيعة، والزنج، وللتيارات المناوئة للسلفية واهل السنة عموما، والنقد الجذري الصارم للاخوان، واعادة الاعتبار للمدرسة الاصلاحية مثل : كتب محمد عبده، والكواكبي، وجمال الدين الافغاني، والطهطاوي، وقاسم امين.. واعتماد الفهم المقاصدي للاسلام بدل الفهم النصي، فالنصوص ينبغي ان تفهم وتؤول في ضوء المقاصد (العدل، التوحيد، الحرية، الانسانية).. واعادة الاعتبار للغرب وللتيار اليساري فيه بالذات، خلافا للفكر السلفي الاخواني الذي لا يرى في الغرب في تنظيماته وثقافته وعلومه الانسانية.. واعادة الاعتبار للمدرسة الاصلاحية في تونس (خير الدين، الحداد) لتجزاتها في امتدادها الحديث من خلال البورقيبية، مثل تحرير المراة والعقلانية في التعليم.

ويضيف "الغنوشي" الى ان هذا التيار لم يكن واعيا بنفسه في النصف الاول من السبعينات، الا من خلال القلق وعدم الرضا عن واقع الحركة،

وكان احيانا اكثر حماسا في الدفاع عن المواقف السلفية الاخوانية. وكان لابد لنزوعه العقلاني من حوافز اكتشاف نفسه، لذلك كان النصف الثاني من السبعينات مليئا بالنشاط المعرفي، وبرز ذلك من خلال "مجلة المعرفة" -التونسية- التي اتاحت للكثير منهم التعبير عن رؤاهم[1].

هذا الاتجاه الفكري تخوفت منه الحكومة التونسية،و بدات ترصد حركاته من خلال القانون الاساسي لحركة النهضة في تونس، الذي يوضح اهداف حركة النهضة بالاتي:

المجال السياسي : ويهتم بدعم النظام الجمهوري وصيانة المجتمع المدني وتحقيق مبدا سيادة الشعب وتكريس الشورى، وتحقيق الحرية وتاكيد مبدا استقلال القضاء، واقامة علاقات دولية وفق مبادئ عدم الانحياز، ودعم التعاون بين الاقطار العربية والاسلامية، واشاعة روح الوحدة العربية والاسلامية.. والنضال من اجل تحرير فلسطين، ودعم قضايا التحرر في الوطن العربي والاسلامي، والكفاح ضد الاستعمار في العالم.. والعمل على تطوير التعاون مع البلدان الافريقية.

المجال الاقتصادي : بناء اقتصاد وطني يحقق الاكتفاء الذاتي، وتحقيق التكامل والتوازن بين القطاعات الوطنية والتاكيد على ان العمل هو اصل التكسب وشرط النهضة، من اجل بناء حياة اقتصادية وفقا لمبدا : الرجل وبلاؤه، الرجل وحاجته.

المجال الاجتماعي : العمل على توفير الخدمات الاجتماعية بما يضمن الكفاية للجميع، والعمل على دعم كل المنظمات الجماهيرية وحماية وجودها ووحدتها وديمقراطية القرار داخلها واحترام استقلالها. وكذلك

---

1) انظر : راشد الغنوشي : تعقيب : تحليل للعناصر المكونة للظاهرة الإسلامية بتونس، في "إسماعيل صبري وآخرين، مرجع سابق، ص301-302.

الحفاظ على كيان الاسرة، قوام المجتمع، وتوفير الظروف الملائمة لرعاية الطفولة تنشئة واعدادا. والنهوض بواقع المراة وتاكيد دورها الايجابي في الساحة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية.. ويؤكد القانون على اهمية رعاية الشباب وحسن اعداده لمهام النهضة، وترسيخ القيم والاخلاق الفاضلة حتى يسود المجتمع روح التاخي والتراحم.

المجال الثقافي : ترسيخ الهوية العربية الاسلامية وتجذيرها باعتبارها شرطا من شروط النهضة واحلالها المكان الذي تستحقه تجسيدا لمقتضيات دستور البلاد وقوانينها، واعتبار الاسلام وعاء للثقافة الوطنية، وتوفير المناخ الملائم لنهضة فكرية وعلمية شاملة مقامة على الثابت من اصول الاسلام، وعلى مقتضيات الحياة المتطورة.. واعتماد اللغة العربية في مجالات التعليم والادارة والثقافة والارتقاء بها لتكون اداة نهضة حضارية تسهم في توحيد الامة الاسلامية.. وتوفير الشروط الضرورية لتشجيع البحث العلمي، والحث عليه وتوفير العلماء والباحثين، والمخترعين وانزالهم المكانة التي يستحقونها ايمانا باهمية دور العلم في تحقيق نمو البلاد.. والعمل على تحقيق سياسة اعلامية قوامها احترام حرية التفكير والتعبير وتنمية روح الابداع والابتكار.. وتشجيع الاداب والفنون وممارسة الرياضة حتى تؤدي دورها في نشر الفضيلة والدعوة الى التدبر وضمان سلامة الجسم[1].

مما سبق يمكن القول ان حركة النهضة الاسلامية التونسية تعد حركة وسطية عقلانية في مواجهة الواقع السياسي التونسي ومع ذلك فلم ترض عنها الدولة، حيث عملت على الغاء شرعيتها وطرد قادتها خارج الوطن، وبالتالي خلصت الدولة الى ازاحة الاسلاميين وفرض قيود شديدة لعودتهم الى الساحة خوفا من مستقبل ينبئ بتفجر عنف ضد النظام وفرض مكانتهم في الساحة

1) د. راشد الغنوشي : الحريات العامة في الدولة الإسلامية، مرجع سابق، ص339-341.

السياسية. وهكذا اقصت الحكومة التونسية ابجدية الحوار الديمقراطي بينها وبين قوى المعارضة الاسلامية.

الجزائر:

كانت الجزائر تعرف "بالمغرب الاوسط" حتى عهد العثمانيين في مطلع القرن العاشر الهجري، وفي اول القرن السادس عشر 1509م هجم الاسبان على موانئ الجزائر "وهران والمرسى الكبير" ولذا كان مجيء العثمانيين الى شمال افريقية عام 1515م لانقاذها من الغزو الاوربي، وعملت على توحيد البلاد من جديد. واصبحت الجزائر عاصمة الولايات العثمانية في شمال افريقية ويحمل الحاكم لقب "البيلربك" اي رئيس البكوات، الى ان انفصلت تونس عنها عام 1590م، واصبح يحكمها "داي" يتصل بالاستانة مباشرة.

وسيطر الجند والبحرية سيطرة تامة على نيابة الجزائر، وكان الجند يختارون من يمثلهم ثم يبعثون للسلطان العثماني لاصدار قرار التعيين، واستمر هذا النظام من 1516-1588م، وبعد ذلك بدات الدولة العثمانية تقوم بتعيين والي لمدة ثلاث سنوات حتى عام 1659م عندما فرض الجند نفوذهم من تنصيب احد اعضائه حاكما فعليا للولاية ويلقب بالداي على نمط النظام المتبع في تونس منذ الانقلاب الذي احدثه الانكشارية بها عام 1590م[1].

وفي عام 1672م وضع رؤساء البحر حدا لسيطرة الانكشارية وفرضوا احد رجالهم على مجلس الجند ولقب "بالداي" واستمر حتى عام 1830م بقدوم الاستعمار الفرنسي[2].

---

1) د. إسماعيل أحمد ياغي : تاريخ العالم العربي المعاصر، مرجع سابق، ص380.

2) نفس المرجع : ص382.

وارتكب الاستعمار الفرنسي جرائم القتل والنهب وهتك الاعراض ضد السكان الجزائريين من جراء المقاومة الجزائرية، ويمكن القول ان السياسة الاستعمارية في الجزائر مرت بمرحلتين اثنتين : الاولى : عمل على تحطيم النظام الاقتصادي والاجتماعي للاهالي، والمرحلة الثانية : حاول ادماج الجزائر بفرنسا "وكرد فعل على هذه السياسة فان الايديولوجيا الوطنية تحولت هي الاخرى من اصلاحية الى ثورية، حيث تحول الصراع الى تناقض اساسي بين المستعمِر، والمستعمَر اخذ في ما بعد شكل نضال مسلح ادى في نهاية المطاف الى استقلال الجزائر، وذلك بعد حرب ضروس تعتبر من اكبر الحروب الدموية في العصر الحديث"[1].

بدا النضال اسلاميا جهاديا تزعمه الامير عبد القادر، والذي بدا عام 1832م عندما منحه العلماء وزعماء القبائل بيعتهم واعترافهم به اميرا لهم، وفي عام 1834م عقد مع السلطات الفرنسية اتفاقية اعترفت له فيها بسلطته على المناطق الداخلية في غرب الجزائر.

وفي عام 1837م وما بعدها دعا الجزائريين في المناطق التي خضعت للاحتلال الى الهجرة منها والالتحاق به في المناطق التي سيطر عليها المجاهدون، وفي عام 1839م شن المستعمر الفرنسي هجوما كبيرا على مواقع المجاهدين بقيادة بيجو، واضطر الامير عبدالقادر الى اللجوء الى سلطان مراكش، فهاجم الفرنسيون مراكش وارغموا سلطانها على توقيع اتفاقية تقضي بطرد الامير عبدالقادر من مراكش.

في نفس الفترة ادعى الشيخ بو معزة انه المهدي المنتظر، وعمل على اقلاق الفرنسيين، فانفك الحصار على الامير عبد القادر، مما جعله يقوم بجمع

1) د. صالح فيلالي : إيديولوجيا الحركة الوطنية الجزائرية في (سليمان الرياش وأخرون)، ندوة حول : الأزمة الجزائرية، إلخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1999م، ص19.

قواته ليستانف الجهاد، وفي عام 1847م سقط بيد الفرنسيين اسيرا، فتم نفيه الى باريس واستمر حتى عام 1852م ثم نقله الفرنسيون الى دمشق للاقامة الجبرية هناك حتى توفي عام 1883م.

لم تتوقف حركة المقاومة الاسلامية بنفي الامير عبدالقادر، فقد ثار قائد جزائري اخر هو "سيدي مكراني" في منطقة القبائل عام 1871م وحركة الشيخ بو عمامة في جنوب وهران عام 1881م، ثم كانت جمعية العلماء بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس من (1889-1940)، وكثفت جهودها على اصلاح الجانب التربوي والتعليمي، ومحاربة البدع والخرافات ومحو الامية، ونشطت في تاسيس المدارس العربية الحرة في معظم انحاء البلاد رغم محاربة السلطات الفرنسية لها، وكان التعليم في مدارس الجمعية مخصصا بالنهار للاطفال وبالليل للكبار في نطاق برنامج طموح لمحو الامية، وبهذه الطريقة تعلمت اعداد كبيرة من الرجال والنساء القراءة والكتابة ومبادئ الدين الاسلامي.

كان الهم الاكبر لابن باديس هو اعداد جيل يؤمن بحتمية الاستقلال للجزائر فكانت ثورة 1954م كان قادتها قد تربوا في مدرسة ابن باديس، واستمرت الثورة حتى عام 1962م، وهو عام الاستقلال بعد حرب ضروس استشهد فيها من الجزائريين مليون ونصف مليون شهيد، وتوحدت جهود الثوار في "جبهة التحرير الوطني" وقد انضم اليها جمعية العلماء عام 1956م، وكانت جبهة التحرير تضم قوى ماركسية وليبرالية واسلامية، الا ان الاسلاميين تم تحجيم دورهم داخل الجبهة[1] .

1) إبراهيم البيومي غانم : الحركة الإسلامية في الجزائر وأزمة الديمقراطية، القاهرة، أمة برس للإعلام والنشر، ط1، 1992،ص20.

في عام 1964م تاسست جمعية اسلامية باسم "جمعية القيم" واصدرت مجلة باسم "التهذيب الاسلامي" وكانت هذه الجمعية متاثرة بافكار الاخوان المسلمين، ويتزعم الجمعية "الشيخ الهاشمي يتجاني"، وتلقى "جمال عبدالناصر" برقية شديدة اللهجة من الجمعية عام 1966م بسبب اعدام "سيد قطب"، وشكى عبد الناصر جمعية القيم لهواري بو مدين الذي عمل على تجميد نشاطها في 22 سبتمبر 1966م، ثم حلها نهائيا في 17 مارس 1970.. وانتهج "بو مدين" سياسة يسارية حيث عمل على تاميم الاراضي الزراعية.. ففي عام 1971م اصدر "قانون الثورة الزراعية" الذي يقضي بانتزاع الارض من المواطنين بحجة الحد من الملكية الفردية بحيث لا تزيد ملكية العائلة الواحدة عن سبعة هكتارات، وما زاد عن ذلك يوضع تحت تصرف الصندوق الوطني للثورة الزراعية[1].

في عام 1976م جرت مناقشات حول مشروع جديد لتعديل الميثاق على نحو يتعارض مع بعض القواعد الاسلامية وخاصة فيما يتعلق بالاحوال الشخصية وقانون الاسرة، ادى ذلك الى معارضة احد اعضاء جمعية العلماء هو الشيخ عبد اللطيف سلطاني، والف كتابا بعنوان "المزدكية اصل الاشتراكية"، وتم توزيعه بشكل سري وهاجم بومدين وحكومته، كما نشر كتابين خلال السبعينات هما كتاب "دفاعا عن الايمان الاسلامي"، وكتاب "سهام الاسلام".. وابرز الشخصيات الاسلامية المعارضة كان الشيخ "محفوظ نحناح" الذي حكم عليه بالسجن خمسة عشر عاما، قضى منها خمس سنوات وافرج عنه عام 1981م مع من تم الافراج عنهم من الاسلاميين في بداية عهد الرئيس الشاذلي بن جديد[2]. كان بومدين يرغب تعبئة العامل الديني لخدمة سياسته

---

1) نفس المرجع : ص22.

2) إبراهيم البيومي غانم : الحركة الإسلامية في الجزائر وأزمة الديمقراطية، مرجع سابق، ص23.

الاشتراكية، وعندما فشل في ارضاء الاسلاميين اتخذ سياسة القمع والارهاب ضدهم.

جاء عهد بن جديد بمجيء الثورة الاسلامية الايرانية، وصعود الحركة الاسلامية في بلدان اخرى كافغانستان التي اعلن فيها الجهاد ضد الغزو السوفييتي لها عام 1979م، كانت هذه احد العوامل الخارجية التي هيات ولادة تيارات اسلامية في الجزائر. وبدا المشروع الاسلامي يشكل هاجسا كبيرا للمثقفين الاسلاميين من الشباب والذين اكدوا رفضهم للحلول المستوردة سواء كانت ليبرالية غربية او اشتراكية، بعد وفاة بو مدين عام 1978.. "وكان لابد ان تحدث سلسلة من المصادمات واعمال العنف بين السلطة والتيارات العلمانية من ناحية، والاسلاميين الذين بداوا ينتظمون في مجموعات متفرقة من ناحية اخرى"[1].

في عام 1980م وقعت اشتباكات بين الطلبة الاسلاميين واليساريين في الجامعات وحاول الاسلاميون منع الطالبات من الاختلاط بالطلبة كما حاولوا اغلاق عدد من الفنادق والملاهي والمحلات التي تقدم الخمور[2].

وفي الفترة من 1980-1990 سيطرت الجماعات الاسلامية على المساجد التابعة لوزارة الشؤون الدينية، كما شكلت المساجد قاعدة شعبية للعمل الاسلامي في كل انحاء البلاد، ووجه الاسلاميون من على منابرها الانتقادات الحادة للتوجهات الوافدة من الغرب وكذا للسلطة الحاكمة. كما انتقدوا مظاهر الفساد والرشوة والمحسوبية والتي انتشرت بعد وفاة "بومدين".. واستفاد الاسلاميون من قانون صدر عام 1971م يسمح بانشاء جمعيات خيرية.. وفي الفترة من 1971-1978م تم انشاء ما لا يقل عن احد عشر الف

---

1) نفس المرجع : ص24.

2) نفس المرجع : ص24.

جمعية خيرية، يرتبط معظمها بالمساجد في حين يهتم عدد قليل منها بالشؤون الرياضية.

وتعد سنة 1972م سنة حاسمة في بروز التيار الاسلامي في الجزائر، حيث تم عقد اول تجمع كبير للجمعيات الاسلامية في كل انحاء الجزائر بمسجد جامعة الجزائر برعاية "عبداللطيف سلطاني" و"احمد سحنون" واخرين من القيادات البارزة، وتقدم المجتمعون بطلبات منها طلب بوضع حد صارم للتاثيرات الغربية في الجزائر. وان يحل القران الكريم محل الميثاق العلماني، وتقام دولة اسلامية.

وعلى اثر ذلك تم اعتقال عدد من المشاركين في المؤتمر كان منهم "الدكتور عباس مدني" ولم يفرج عنه الا في عام 1984، وفي عام 1982م فاز الاسلاميون في انتخابات اتحادات الطلبة بجامعة الجزائر، وحاول الطلاب الشيوعيون الاعتداء عليهم والتشكيك في نتيجة الانتخابات فقامت الشرطة باعتقال اربعمائة طالب من الاسلاميين، فتجمع بالعاصمة الجزائرية نحو مائة الف متظاهر بعد صلاة الجمعة للمطالبة بالافراج عنهم فاستخدمت الشرطة اسلوب القمع ضد المتظاهرين[1] فاتجه الاسلاميون الى اعمال العنف كرد فعل، وقاد هذا الهجوم احد الجماعات الاسلامية هو "مصطفى بو يعلي" -كان ضابطا سابقا في الجيش- وبدا الهجوم على ثكنات عسكرية عام 1982م، وتلا ذلك في عام 1985م وعام 1986م في مهاجمة كلية الشرطة بولاية البليدة، وسقط مصطفى يعلي مع ستة اخرين من رفاقه قتلى برصاص الشرطة في مطلع عام 1987م.

بعد مقتل مصطفى بو يعلي بدات الحكومة الجزائرية تعيد النظر في مسالة النفوذ الاسلامي في البلاد، ومحاولة تجريدها من النفوذ السياسي..

---

1) نفس المرجع : ص25.

لذلك انشات الدولة مجلسا للاسلام يتراسه عضو من الحكومة مهمته الرقابة على نشاط الجماعات الاسلامية وتحجيمها، وقد تميز المشروع الاسلامي بالجزائر بالاتي:-

_ اعادة الاعتبار لدور الدين الاسلامي في ادارة المجتمع والدعوة الى احياء العقيدة.

_ السعي الحثيث لاقامة دولة اسلامية تعمل على تطبيق مبادئ الدين واحكامه.

_ القبول بمنطق التعايش في اطار التعددية والشورى[1].

وبدات الحكومة تعمل على اعادة ترتيب اوراقها السياسية، وهو ما حدث في عهد الشاذلي بن جديد الذي وعد بديمقراطية متعددة الاحزاب، وصدر الدستور الذي تم استفتاء عليه في فبراير 1989م، ونصت المادة "39" منه على ان "حرية التعبير وانشاء الجمعيات والاجتماع مضمونه للمواطن". كما نص في المادة "40" على ان : "حق انشاء الجمعيات ذات الطابع السياسي معترف به"[2]. وعلى هذا تقدمت الجماعات الاسلامية والتي تعددت مشاربها الفكرية بطلبات الترخيص لها كاحزاب سياسية، وظهر اول حزب اسلامي هو : "الجبهة الاسلامية للانقاذ" بزعامة الدكتور عباس مدني، ثم تلاه حزب "حركة النهضة الاسلامية" بقيادة الشيخ محفوظ نحناح.

تاسست الجبهة الاسلامية للانقاذ في مارس 1989م، وحصلت على ترخيص رسمي في سبتمبر من العام نفسه وضمت الجبهة عدة تيارات اسلامية مثل التيار السلفي وجماعة الجهاد او جماعة التكفير والهجرة كما يسميها

---

1) منعم العمار :ا لجزائر والتعددية المكلفة، في "سليمان الرياشي، وآخرون" في : الأزمة الجزائرية إلخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،ط2، 1999،ص68.

2) انظر : دستور جمهورية الجزائر الصادر عام 1989،ص13.

النظام الحاكم.. وتميز الخطاب السياسي للجبهة بالقوة والراديكالية بما يتفق مع ميول ورغبات قطاعات واسعة من جماهير الشعب، ويدل ذلك على ضخامة عدد المنخرطين في عضويتها.. ومع ذلك فالجبهة من الداخل تعد غير موحدة الرؤى من حيث التجانس الفكري، والمتفق عليهه بين هذه الجماعات هو اقامة دولة اسلامية.. ويوضح ذلك الخلاف في الخطابين السياسيين بين عباس مدني وعلي بلحاج، فالاول يقر التعددية السياسية في اطار قواعد الممارسة الديمقراطية بينما الاخر يعلن رفضه للديمقراطية ومساواتها بالكفر.

ومن الطريف جدا في هذا الاطار، عندما اعلنت الدولة فتح باب التراخيص للاحزاب السياسية كان "بلحاج" يرفض رفضا قطعيا تقديم طلب ترخيص من الدولة التي هي بنظره غير شرعية، وبعد جهد جهيد قبل تنظيمه الجهادي تقديم الطلب من باب الحرص على سلامة الحركة.. ويتكون الهيكل التنظيمي للجبهة من "مجلس الشورى" و"مكتب تنفيذي" على مستوى البلديات والولايات، ويضم مجلس الشورى ثلاثين عضوا يمثلون معظم ولايات الجزائر، اما المكتب التنفيذي فهو يمثل القيادة السياسية للجبهة، ويقوم مجلس الشورى بانتخاب اعضاء المكتب التنفيذي اضف الى ذلك عدد كبير من اللجان الفنية المختصة بالشؤون المالية والادارية والاعلامية والدعوية..الخ.

وتم انتخاب الدكتور عباس مدني[1] رئيسا للجهبة، وعلى بلحاج[2] نائبا له.. ويعالج البرنامج السياسي لجبهة الانقاذ الاسلامية[3] كمشروع سياسي

1) عباس مدني من مواليد عام 1931 بمدينة سيدي عقبة بولاية بسكرة، بدأ تعليمه في الكتاتيب القرآنية والزوايا، ثم المدرسة الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين، ثم انخرط في الحياة السياسية فكان عضواً في منظمة سرية مناهضة للاحتلال الفرنسي، وهي المنظمة التي انبثق عنها جبهة التحرير الوطني، والتحق بها عام 1954م، وتم القبض عليه بعد فشل خطة الهجوم على الإذاعة الجزائرية عام 1954م، ولم يتم خروجه من السجن إلا بعد حرب التحرير وانتصار الثورة عام 1962م، وبعد ذلك تابع دراسته فحصل على شهادة في الفلسفة ثم على الدكتوراه من الدرجة الثالثة في التربية ثم دكتوراه الدولة من جامعة لندن في التربية المقارنة وأصبح أستاذاً في جامعة الجزائر. ثم بدأ في شجب ما أسماه انحراف جبهة التحرير عن أهدافها، وبرز كزعيم سياسي في عهد الشاذلي بن جديد 1982م.

2) الشيخ علي بلحاج، من مواليد عام 1956م وأصله من الصحراء الجزائرية من ولاية أدرار، لكنه ولد في تونس ونشأ يتيم الأبوين، فقد استشهد والده في حرب التحرير الجزائرية، وكفله خاله، وقد تأثر بمدرسة ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية، والشيخ البنا، وسيد قطب، وعبد القادر عدوة، وسعيد حواء، واشتهر بموهبته إلخطابية، ونتيجة لذلك فقد سجن خمس سنوات من 1983-1987م.

3) انظر : البرنامج السياسي لجبهة الإنقاذ، إعداد وتوثيق مؤسسة يافا للدراسات والأبحاث، ط1، 1991،ص8.

قضايا عددة اهمها : الاطار العقائدي الاسلامي، والسياسة والاقتصاد والاجتماع، والجانب الثقافي والحضاري والاعلامي، والجيش والسياسة الخارجية. وفي نفس المسار برزت حركة النهضة الاسلامية ثاني حزب اسلامي تم الاعتراف به رسميا في ديسمبر 1990م بزعامة الشيخ جاب اللـه من مواليد 1956م – ولاية سكيكدة- ويعد حزبه فرعا لجماعة الاخوان المسلمين بالجزائر.. ويقول زعيم الحزب في معرض حديثه عن حزبه : "نحن نؤمن بتبني منهج الاخوان المسلمين في النشاة والظروف من حيث القيام اساسا على الفكر التربوي والسير المتدرج المبني على فقه الاولويات وفقه الموازنات".

ويدعو حزب النهضة الى اتخاذ الشورى منهجا واسلوبا في الحكم، واعلان مبدا السيادة لشرع اللـه والسلطة للشعب يمارسها في حدود الشرع.

ويلي ذلك "حركة المجتمع الاسلامي – حماس"، وحصلت على الاعتراف في فبراير 1991م، ومؤسسها الشيخ محفوظ نحناح – من مواليد 1942 مدينة البليدة – وبرنامجه الحزبي يتضمن المحددات التالية:

1- رفض التوجه التغريبي ومحاربته.

2-رفض الفجائية والعنف.

3- شعاره الاسلام هو الحل.

4- يدعو الحزب الى العناية بالمراة ومنحها كل الحقوق المفروضة في الاسلام..الخ.

من جهة اخرى بدات الازمة الجزائرية بين الجيش والاسلاميين بعد الانتخابات المحلية في يونية 1990م، ثم الانتخابات البرلمانية التي لم تكتمل في ديسمبر 1991م، شارك في الانتخابات البلدية "احد عشر حزبا" وجرت المنافسة على مقاعد البلديات، وتفوقت جبهة الانقاذ على جبهة التحرير -الحزب الحاكم- وبدات الحكومة بالتعاضد مع العلمانيين يشنون حملة اعلامية على جبهة الانقاذ التي ستقضي على الديمقراطية.. وكان "علي بالحاج" هو السبب بهجومه على الديمقراطية.. وجرت اعمال عنف.. وحتى مجئ الانتخابات البرلمانية في يونية 1991م بدات الجولة الاولى واكتسح الاسلاميون اغلبية المقاعد.. وعلى الرغم من حصول الجبهة على 26 مقعدا في البرلمان في المرحلة الاولى، بعد جبهة التحرير، الا ان جبهة التحرير رفضت الاعتراف بالفوز الذي حققته جبهة الانقاذ.

في الوقت ذاته اعلن رئيس الجمهورية فجاة تنازله عن السلطة، وادانت الجبهة الانقلاب العسكري الذي اطاح ببن جديد، وجيء بمحمد بوضياف الى الحكم، واوقفت الدورة الثانية، واعلنت الحكومة حالة الطوارئ لمدة اربعة اشهر، وانتشر الجيش في العاصمة وفرض حضر التجول فيها، وفي ثلاث محافظات اخرى.. وفي يوم 25 يونيو اندلعت اعمال العنف التي صنعها الجيش والقضاء على الديمقراطية[1].

---

1) إبراهيم البيومي : مرجع سابق، ص66-71، انظر أيضاً : منعم العمار : الجزائر والتعددية المكلفة، مرجع سابق، ص69.

وبنجاح جبهة الانقاذ كان الصبر قد فقد لدى العسكريين وبدات حلبة الصراع بين انصار الاسلام والتوجه الاسلامي وبين العسكريين العلمانيين وانصارهم. فهل ستعود الديمقراطية لتسكت افواه البنادق؟

التيارات الاسلامية في المغرب:

تعرضت مراكش منذ النصف الثاني من القرن 13م للاستعمار الاسباني ثم نافستها فرنسا على مدينة طنجة، وفرض محاكم قنصلة وحماية على مراكش، وفي الثامن والعشرين من حزيران 1900م اتفقت فرنسا واسبانيا على الاجزاء الجنوبية من مراكش فنالت اسبانيا "الصحراء الغربية" واخذت فرنسا "موريتانيا" وكانت مراكش قد خسرت "افنى" منذ عام 1510م، وكان سلطان مراكش مهتما بعرشه فقط على حساب شعبه، وسمح للفرنسيين بفرض حماية على مراكش وبعض المدن المغربية، فثار السكان على السلطان في فاس في 17 و18 نيسان 1912م، وطردوا الحماية الفرنسية منها، لكنهم عادوا من جديد لاحتلالها بعد اسبوعين، فتنازل السلطان عبد الحفيظ لاخيه يوسف في 18 اب 1912م، ولجا الى طنجة، ثم خضعت البلاد كلها للاحتلال الفرنسي عام 1917م.

وبرز الامير عبد الكريم الخطابي في ثورة ضد الاستعمار الفرنسي، ولقي حتفه عام 1920م، وخلفه ابنه محمد والذي هاجم الاستعمار الاسباني في اغادير، وطاردهم حتى حصن "مليلة"، وخسر الاسبان خمسة عشر الف قتيل، وبالتعاضد بين الاسبان والفرنسيين تم الضغط على الخطابي في حصار شديد وتم القبض عليه ونفيه الى جزيرة رينون في المحيط الهندي[1].

وفي الحادي عشر من كانون الثاني 1944م اجتمعت الاحزاب الوطنية المغربية، اتخذت ميثاقا تضمن الاهداف الجديدة للمغرب وهي :

---

1) د. إسماعيل أحمد ياغي : تاريخ العالم العربي المعاصر، مرجع سابق،ص428.

1- المطالبة بالاستقلال التام ووحدة الاراضي المغربية.

2- اقرار الملكية الدستورية نظاما للحكم.

3- التعاون بين الملك والشعب على تحرير البلاد وتحقيق الاصلاح المنشود بصفته امرا داخليا لاحق للفرنسيين التدخل في امره"[1].

ولم يتقبل الاستعمار الفرنسي طلبات التنظيمات السياسية للاحزاب، واثيرت قضية المغرب على الصعيد الدولي في الخريف من عام 1952م، وعرضت كتلة الدول الاسلامية الافريقية قضية المغرب على هيئة الامم المتحدة ابان اجتماعها في باريس، الا ان الجمعية العمومية قررت تاجيل النظر في القضية. وطالب السلطان بالغاء الحماية على المغرب، فقامت فرنسا بدفع اكثر من (270) شخصا من اعيان مراكش لتوقيع عريضة (اواخر عام 1953) طالبوا بخلع سلطان مراكش لمعارضته للاصلاحات، وتم خلعه ونفيه الى (كورسيكا) ثم الى (مدغشقر) ونصب محمد بن عرفة سلطانا على المغرب.

وتحت ضغط الراي العام الدولي والمقاومة الداخلية، تراجعت فرنسا عن موقفها، فاعادت السلطان المنفي الى عرشه بعد عامين من الصراع المرير، وتم توقيع اتفاق بين السلطان محمد وفرنسا على منح مراكش الاستقلال واقامة ملكية دستورية بها. وبعد شهر صدر بيان اسباني مغربي مماثل، وفي العشرين من ايار 1956م استعاد المغرب حريته السياسية. واصبح عضوا في الامم المتحدة.

واهتم السلطان محمد بن يوسف الخامس بانشاء جيش قوى وتعريبه، واهتم بالتعليم والقضاء، والغاء القواعد الامريكية والفرنسية الموجودة في البلاد، وتم ذلك ما بين (1963-1971م)، وتوفي الملك محمد في 26 من شباط

---

1) نفس المرجع : ص437.

1961م، وخلفه ابنه الملك الحسن الثاني الذي تم في عهده جلاء الامريكيين والفرنسيين.. وخسرت المغرب مدينتي (سبته ومليلة) لصالح الاسبان، واقتطع منها "موريتانيا" ، واستقلت بكيان مستقل، كما نشات ازمة الصحراء الغربية منذ عام 1976م ومازالت قائمة.

في عام 1970م ظهرت في المغرب " جمعية الشبيبة الاسلامية "الا ان ابرز فصيل هو الجماعات الاسلامية، ويتزعمها "عبد القادر ياسين" والذي بعث برسالة مفتوحة عام 1973، الى ملك المغرب، الاسلام او الطوفان[1].

ومع ذلك فالحركة الاسلامية في المغرب محدودية الهامش الذي يتحرك ضمنه الاسلاميون، وتركت السلطة مجالا للتعايش مع انماط التدين من صوفية، وسلفية، وحركية، والمؤسسات الدينية غير التقليدية. ولقد كان الهم الاساسي هو تغييب اللغة العربية، لان الاستعمار الفرنسي في المغرب سار بالتعليم وجهة التعدد والاختلاف في المدرسة.. فجعل مدرسة للبادية ومدرسة للمدينة، وسعى بمختلف الوسائل الى تغييب اللغة الوطنية.. وكان على الاسلاميين بحكم اهتمامهم باللغة العربية لانها لغة القران الكريم اعادة النظر في مسالة برنامج التعريب، بمعنى عودة الهوية العربية للمغرب، واتسمت الحركات الاسلامية في المغرب بالسكينة والهدوء، لذلك لا يوجد فيها اعمال شغب او عنف، ربما يعود ذلك لقدرة الدولة في كبح جماح الجماعات الاسلامية، او ان المشروع السياسي الاسلامي في المغرب لم يكتمل بعد.

الدور الحركي للجبهة الاسلامية القومية في السودان:

في عام 1956م احتفلت السودان باستقلالها وقيام النظام الجمهوري فيها، وبادرت مصر وبريطانيا الى الاعتراف بالجمهورية المستقلة في اليوم نفسه،

---

1) F. Bugat, L, Lslamisme au Maghreb (paris :Karthala, 1988).p.p 182-201.

نقلاً عن : عبداللطيف الهرماس : الحركات الإسلامية في المغرب العربي، عناصر أولية لتحليل مقارن، المستقبل العربي، (عدد156) 1992/2،ص19.

واصبحت عضوا في الجامعة العربية،و الامم المتحدة في العام نفسه. وكان الحزبان الرئيسيان المتنافسان هما حزب الامة، والحزب الاتحادي الديمقراطي....

و اول رافد للحركة الاسلامية يعود الى عام 1944م بعد زيارة وفد مصري حيث انتهت الزيارة بتكوين اول لجنة للاخوان المسلمين، وكان في الحركة تيار يسعى للاستقلالية عن اخوان مصر، والتجارب مع مناخات الحركة الوطنية السودانية،لذلك فضل البعض تسمية "حركة التحرير الاسلامي" عوضا عن اسم "الاخوان المسلمين"، وفي اجتماع هام عقد في اغسطس 1953م، حددت الحركة خطها السياسي والفكري حين وصف المجتمعون انفسهم "بانهم حركة تحرير وليسوا اخوان مسلمين، ومنحازون للعمال والطلاب والفلاحين"[1]. الا ان مؤتمر الحركة الاسلامية الذي عقد عام 1954م اختار اسم "الاخوان المسلمين" بدلا عن "حركة التحرير الاسلامي".

بعد ثورة اكتوبر (نوفمبر 1964) تغير اسمهم الى "جبهة الميثاق الاسلامي" وتم اختيار الدكتور/ حسن الترابي امينا عاما، وفي ابريل من عام 1985 تغير الاسم الى "الجبهة الاسلامية القومية"[2].

في الاسبوع الاخير من ايار 1968م اقدم الجيش على انقلاب عسكري بقيادة "جعفر النميري" والقى القادة الحزبيين في السجن، واعطيت رئاسة الوزارة مؤقتا لاحد القضاة "بابكر عوض الله" ثم جرت محاولات تمرد من قبل جماعة المهدي عام 1970م، في جزيرة " ابا " فاستعانت الحكومة بالطيران المصري الذي فتك بجماعة حزب الامة في جزيرة " ابا " كما جرى عصيان

---

1) د. حيدر إبراهيم علي : الأحزاب السودانية واقع ومستقبل، القاهرة، مركز الدراسات السودانية، ط1،2001،ص13.

2) نفس المرجع : ص13.

مدني في الجنوب وحصلوا من الحكومة على الحكم الذاتي عام 1971.. وفي نفس العام جرت محاولة انقلابية على "النميري" بقيادة "الرائد هاشم العطا" كما جرت محاولة اخرى عام 1972، وكان وراء تلك المحاولات الانقلابية الحزب الشيوعي السوداني، وانتخب النميري بعد ذلك رئيسا للجمهورية[1].

وفي 7 تموز 1977م جرت لقاءات بين السلطة والمعارضة، وتمت المصالحة مع الاخوان المسلمين، الذين اشترطوا تطبيق الشريعة الاسلامية.. ثم انقلب النميري على الاخوان بحجة انه اكتشف مؤامرة منهم ضده، فاعتقل البعض منهم، وابعد اخرين في "10مارس1985" ويرى الاخوان ان سبب انقلاب النميري عليهم هو الارساليات التنصيرية في الجنوب، وكذلك مسالة تطبيق الشريعة الاسلامية.

وفي السادس من ابريل 1985 قام وزير الدفاع السوداني "عبدالرحمن سوار الذهب" بانقلاب اطاح بالنميري، وسيطر الجيش على الحكم مدة سنة، ثم سلم الحكم للمدنيين، وبعد اتفاقية (كوكادام) تم تجميد قوانين الشريعة الاسلامية حسب اقتراح حزب الامة، وجرت انتخابات تفوق فيها حزب الامة، والذي شكل حكومة ائتلافية، وفي 30 حزيران 1989 قاد الجيش حركة انقلابية بقيادة العميد عمر حسن البشير وتسلمت الجبهة الاسلامية الحكم[2].

1) د. إسماعيل أحمد ياغي : تاريخ العالم العربي المعاصر، مرجع سابق،ص309.
2) نفس المرجع : ص309.

ويشير "الترابي"[1] الى ان الحركة الاسلامية السودانية جاءت من مصر باسم "الاخوان المسلمين" وطرح تصورا للدين شاملا وحركيا ونموذجا لجماعة المتدينين، القائمة على تنظيم الصف، وكان التعبير عن الدين قائما على الاصول الكلية الواحدة، ولذلك تيسر للنمط ان يعبر الحدود والظروف الاقليمية المصرية الى السودان، ويضيف الى ان الرافد العالمي لحركة السودان ورد من مصادر غير مصرية، فقد استرفدت الحركة بافكار المودودي امير الجماعة الاسلامية بباكستان، وبالكتابات الاسلامية القادمة من المغرب والمشرق العربي.

وتجمد نشاط الحركة الاسلامية بمصر وغالب البلاد العربية نتيجة ظروف سياسية في سنوات الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، ادى ذلك الى تخلف الحركة في مواقع عالمية اخرى لصالح تيارات يسارية ووطنية بينما ظلت الحركة في السودان حية تنمو[2].

يرى الترابي : "ان الدين توحيد بين المثال المطلق والواقع النسبي، فالمثال ترسمه التعالم والتكاليف الشرعية، التي يخاطب بها الانسان، والواقع هو الابتلاءات المادية والظرفية التي تحيط بدنيا الانسان. والتدين هو ايمان نفسي بمثال الحق المطلق.. ويضيف الى ان كثيرا من ابناء المسلمين بسبب من ضغوط التعليم والترقي الاجتماعي انخرطوا في ملل غير اسلامية او ذابوا في

---

1) د. حسن الترابي : من مواليد مدينة كسلا بالإقليم الشرقي بالسودان عام 1932م، حفظ القرآن الكريم ببضع قراءات، تلقى تعليمه الأولى بالمدارس السودانية الحكومية، درس القانون في كلية القانون جامعة إلخرطوم، حصل على البكالوريوس في القوانين من جامعة لندن عام 1955م، والماجستير عام 1957.. درس نحو أربع سنوات في جامعة باريس وحصل على الدكتوراه في القانون المقارن عام 1964م.

2) د. حسن الترابي : البعد العالمي للحركة الإسلامية التجربة السوادينة، تحرير وتقديم : د. عبدالله النفيسي في "الحركة الإسلامية رؤية مستقبلية أوراق في النقد الذاتي، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1، 1989،ص76 ومابعدها.

الحضارة الغربية، "والحاجة اليوم شديدة لاتخاذ استراتيجية مشتركة لمجابهة هـذا التحـدي الذي لا تجدي معه الصدقات والمشروعات المحدودة".

وبشان المـراة يقـول : "ان المـراة المسـلمة تحكمهـا التقاليـد والاعـراف القديمـة التـي تظلمهـا وتحبسـها عـن المشـاركة في الحيـاة باسـم الـدين، وعـلى حسـابه، لـذلك لا بـد ان تستظهر المراة المسلمة بقوة شرعية تضفي على مشاركتها الشرعية وترشـدها، وتضـبطها في الوقت ذاته".

كذلك " ان البناء الديني يقوم على الاخلاص والاختيار الطوعي، ولا يمكن للقوة فضـلا عن العنف ان تكون اداة لتحقيق هـذا البنـاء".. وان الصـحوة الاسـلامية ظـاهرة تاريخيـة دورية، وهي تيار فكري جماهيري سائرا"[1].

ويضيف، انه لا بد للنهوض من استكمال شروط اليقظة الروحية، والصـحوة الفكريـة، والنهضة الحركية، وبذلك نكون قد استكملنا توبتنا من ماضي الانحطاط، واستقبلنا توجهنـا نحو دورة حضارية تتقدم بالمسلمين نقدمها الى العالم اجمع. الا ان المناخ السياسي القهـري شغل الصحوة الاسلامية باصل وجودها، وصرفها عما وراء ذلك، وحرمها مـن الحريـة التـي هي شرط النشاة، والحياة، والتطور لكل صراع فكري منزل على الواقـع. وحـال بينهـا وبـين الحوار الداخلي والخارجي.

ويشير الى ان حكومات المسلمين مـدعوة بحـق الـدين وبالمصـلحة في الاستقرار السـياسي، الى ان تتخـذ سياسـة ارشـد نحـو الاسـلام، والا تلجـئ الاسلاميين الى الصراع السلبي.. وان الدول الاسـتعمارية مـدعوة كـذلك ان تتعقل لانها لن تستطيع مغالبة التطور الاسلامي المتقدم، وقد تضره قلـيلا

1) كتاب الأمة : فقه الدعوة ملامح وآفاق، ط2، حوار مع الدكتور/ حسن الترابي فقه المرحلة، قطر، ط1، ذي الحجة 1408،ص14 ومابعدها.

بمصادمته المباشرة او باغراء حكومات المسلمين به، لكن الامر في النهاية سيؤدي الى تصاعد الجهاد.. وان الديمقراطية اذا طرحت بشكل صحيح فان غالبية الشعب سوف تجنح نحو الاسلام لان الشعوب مسلحمة بفطرتها، لذلك فان المؤامرات لاقامة انظمة عسكرية او قهرية، القصد منها سد الطريق امام الشعوب المسلمة بشريحة مغتربة عنها[1].

ومن الملفت للنظر ان "المفكر الترابي" شخصية مختلفة عن مفكري الجماعات الاسلامية الاخرى، فهو متحرر فكريا، وله ذهنية فقهية لا يوجد مثال له في الساحة العربية والاسلامية، فهو يرى ان الواقع العربي اليوم بحاجة الى فقه الصحوة التوحيدي،ان يعقد حوارا مع مذاهب القومية العربية التي تتجه ايضا نحو الوحدة على الرغم من ان المناظرة كانت في الماضي سلبية، فالدعوة القومية مهما انفعلت بعض اطروحاتها بالاصل العرقي او الثقافي او تاثرت بالحضارة الغربية المهيمنة فغالب المؤمنين بها شعوب تعبر عن فطرة القربى العربية ولا تتخذها خصما لدينها بل تتحد بها مع دينها، وبعض دعاتها وصلها بالاسلام صراحة لاسيما في الاونة الاخيرة.

والواقع العربي بحاجة لتوحيد القومية الى الدين "فالعاطفة القومية مهما دعمتها المضامين المبهمة التي تطرح الان لا تقوى وحدها على فعالية اهواء الفرق الاقليمية والسياسية ومكائد التفريق الامبريالية"، واخفاق مشروعات الوحدة الكثيرة، شاهد على قصور دافع التوحيد القومي، الا ان يعزز بدافع التوحيد الديني الفعال[2].

هذه التصورات التي يؤمن بها الدكتور الترابي تعطي انطباعا تجديديا للحركة الاسلامية في السودان فيما لوعممت ستكون تجربة ناجحة في

---

1) المرجع السابق، مقابلة مع د. الترابي،ص16 وما بعدها.

2) نفس المرجع : ص17.

مجال فقه الدعوة ، ونقلة نوعية متميزة في فهمها للواقع وقدرتها على قراءة الظروف السياسية للعالم العربي المعاصر.

مما سبق يمكن القول : ان ظاهرة الصحوة الاسلامية في العالم العربي تتميز بالتنوع بين التقليد الايديولوجي الاعتقادي بقضايا التصحيح الدعوي وفقا لمقولة اللامذهبية في الاسلام، وبين التجديد بين الذين يرون دعاته الخروج من مازق التقليد والصراع المذهبي الى البحث عن صيغ تتوافق مع منطق العصر.. ومن هذا المنطلق يمكن النظر الى الرؤى الفكرية التي نظرت الى المنظورين التقليدي والتجديدي، فالحراك السياسي الاسلامي في اليمن اخذ بالرؤى الفكرية لتوجه الاخوان المسلمين بمصر، مع الاخذ في الاعتبار بالرؤى السلفية الوهابية في قضايا الهجوم على الحركة الصوفية، والبدع المتبعة من وجهة نظر الفكر الوهابي.

اما الرؤى الفكرية في الجزيرة العربية عموما بما في ذلك دول الخليج، فالاساس الفكري الوهابي هو المرجعية لكل القوى المتعددة والمتعارضة ببعض التفاصيل، الا ان المرجع الوحيد هو فكر ابن عبد الوهاب، وابن حنبل، وابن تيمية، ومعظم هؤلاء يميلون الى تكفير مجتمعات كاملة كالشيعة بايران، والزيدية في اليمن، ويميل اليهم بعض جماعة من الاخوان المسلمين بمصر والخليج، كالكويت والامارات وقطر، اما عمان بحكم تكوينهم الفكري الاباضي فيميلون الى حمل الناس على السلامة دون تكفير احد، وفي البحرين فيها توجهان اسلاميان، جماعة الشيعة الاثني عشرية، وهم الاكثرية واهل السنة ولكنهم اصحاب السلطة.

وتعكس الاحزاب الاسلامية السياسية في شمال افريقيا النمط القبلي والفوارق المدنية بين اقليم واخر، ففي تونس يحكم الاسلاميين الجانب العقلاني، ومع تشدد النظام ومع انتشار الشذوذ الحضاري الغربي فيها من قيم فكرية غربية، لم يكن هم الاسلاميين وخاصة حزب النهضة الاسلامية

الا جانب الحرية الفكريـة او التعبـير الحـر في المعتقـد، ولجـا قادتهـا الى بريطانيـا، امـا في الجزائر فقد كان النزوع لمقاومة النظام ومازال من اجل الديمقراطية التـي تسـوف الدولـة بتطبيقها، ادى ذلك الى انتزاع الاستقرار.. فالعسكر المتواليون للسلطة يرفضون ابجدية حق التصويت للاسلاميين.. ويبدو ان العامل الخارجي لعب دورا في استمرار الصراع على حساب مقدرات الامة.. اما المغرب العربي فقد نجحت سياسة الدولة في تـدجين الاسـلاميين وجعـل نشاطهم سلبيا، لذلك لم يكن للعنف مكان فيها عكس ما كان في بلاد الشام وخصوصا، فقد اتسمت الحركة الاسلامية بسمات خاصة.. وقد نشات الحركة وفقا لتوجه تعددي باختلاف المشـارب الثقافيـة، الا ان ابـرز تلـك الهيئـات الاسـلامية السياسـية هـي جماعـة الاخـوان المسـلمين، والتـي مارسـت نشـاطها السـياسي وفقـا للهـامش الـديمقراطي منـذ اواخـر الاربعينيات، وكان يتوقف نشاطهم بين حين واخر بحكم الانقلابات العسكرية وتوجهـاتهم السياسية. الا ان نشاطهم كان قائما على الفعل ورد الفعل.

وفي السودان تبلور موقفهم الاسـلامي بـين التنسـيق مـع نظـام النمـيري عـام 1977م والانقلاب عليهم عام 1985م، وبعد الاطاحة بـالنميري، في نفـس العـام عـاد نشـاطهم، وفي عام 1989م تسلم السلطة عمر البشـير وتحـالف مـع الجبهـة الاسلامية القوميـة.. ولكنـه انقلب عليهم بعد ذلك.. والسؤال المطـروح : هـل التيـارات الاسـلامية المتعـددة في سـاحة العمل العربي تمتلك مشروعا موحدا في اطار العمـل السـياسي.. ام انهـا تعـيش حالـة صراع داخلي وتكفير الاخر، وبالتالي تحول المشروع الى اصلاح ديني لا سياسي؟

يمكن اعادة الاعتبار الديني كهدف تعبوي لحشد الجماهير لتقويم الاصـلاح السـياسي وفق المنظور الفكري الاسلامي..

* * *


@Ahmedyassin90

الخاتمة

تعد الفترة التاريخية التي عاشتها الامة الاسلامية منذ مطلع القرن 19م وحتى الثلث الاول من القرن العشرين عصيبة للغاية.. وتمحورت في تكتلات دولية ضد النظام العثماني الذي بسط نفوذه على الساحة العربية كلها.. والتزم النظام العثماني بمجاراة التطور الاوربي من خلال تحقيق اصلاحات ادارية وعسكرية.. وكان على العثمانيين التعايش مع اوروبا، وبالتالي منحت امتيازات تجارية للدول الاوروبية. وكان ذلك بداية التدخل في الشان العثماني، فنشطت اوروبا على اثارة النزعات العرقية، والطائفية في اليونان، والبوسنة، والهرسك، وغيرها من المناطق الاوروبية التي كانت خاضعة للنفوذ العثماني.. واقتبس العثمانيون من الاوروبيين الفكر القومي، فاعلنوا تعميم التتريك، مما اثار عرب الشام بوجه خاص، وفيهم ولدت فكرة القومية العربية لمناهضة العثمانيين.

ومن نتائج الحرب العالمية الاولى هزيمة الدولة العثمانية، وسلخ العالم العربي كله عنها.. واقتسم الاستعمار الاوروبي العالم العربي وقام بتجزئته الى اقاليم صغيرة، واوجد الاستعمار عناصر متعاونة معه من ابناء العرب، وشجعت هذه الحفنة المريضة على الدعوة الى الاقليمية، ونبذ اللغة العربية التي هي الوعاء الثقافي للفكر الاسلامي.. وقاوم العرب كثيرا المستعمرين باتجاهين "الديني، والقومي".. وقسم الاستعمار البريطاني "فلسطين" الى قسمين، الاول تكون فيه دولة اسرائيل ومنحها كل ضمانات البقاء والقوة، والقسم الثاني للعرب الفلسطينيين، وتعاون الاستعمار الامبريالي مع الصهيونية الاسرائيلية على نجاح مشروع دولة اسرائيل في المنطقة، واجهاض قيام دولة فلسطين وشرذمتهم وتفكيك قدراتهم، كانت كل هذه الهموم

كفيلة لمحاولة قيادات فكرية اسلامية لتشكل تيـارا اسـلاميا لمواجهـة الاسـتعمار العسـكري والثقافي.

ومع احتدام الصراع بين العرب والاستعمار حقق "جماعة الاخوان المسلمين" قدرا مـن النجاح في مصر، وكان لهم دورٌ في معركة العرب ضد اليهـود عـام 1948م، ونتيجـة لخيانـة الملك فاروق بتوزيعه اسلحة فاسدة للمقاتلين ادى ذلك الى هزيمة الجيـش العـربي ومـنهم "الاخوان" فاحتدم الصراع بين الاخوان والحكومة.. وتم اغتيال رئيس الحكومـة "النقـراشي"، وكان رد فعـل النظـام الحـاكم باغتيـال "الشـيخ حسـن البنـا".. وفي مرحلـة لاحقـة تعـاون الاخوان مع جماعة الضباط الاحرار للقضاء على الحكم الملكي، واعلنت الثـورة في 23 يوليـو 1952م، ومارس الاخوان نشاطهم السياسي في الوقت ذاته تم وقف كل الانشطة السياسـية الحزبية بمصر كلها.. الا ان الاخوان تعاضدوا مع "محمد نجيب" رئيس الجمهورية ضد عبد الناصر قائد الثورة، وحاولوا اغتيال عبد الناصر بعد الانقلاب الذي تـم ضـد محمـد نجيـب عام 1954م.. ولم يحققوا شيئا.. ونجح عبد النـاصر بوقف نشاط الاخوان والقضاء على قادة التنظيم.. وكانت محنة السجون كفيلـة بـانقلاب العديـد مـنهم عـلى المنظومـة الاخوانيـة. وعند خروجهم من السجون في عهد الرئيس السادات اعلنت هذه المجـاميع المبـتسرة مـن جماعة الاخوان عن تكوين تنظيمات جديدة منها : "الناجون من النار" و "منظمة الجهاد" او بما تسمى جماعة التكفير والهجرة، واتخذوا مـن العنـف مبـدا سياسـيا ودينيـا لمواجهـة النظام الحاكم.. وكانت النتيجة اغتيال السادات عام 1981م عن طريقهم.

ويمكـن القـول ان "جماعـة الاخـوان" هـم الـذين صـنعوا لانفسـهم تلـك المحنة.. ولم تكن القضية مرتبطة بتطبيق الشريعة الاسلامية في مصر، ولم تعلـن "ثورة يوليو" اقامة نظام علماني، ومن المعلـوم ان الاجـراءات التشريعيـة سـواء في الاحوال الشخصية او الجنائيـة قائمـة عـلى مفـاهيم فقهيـة.. ومعظـم تلـك

الاحكام تعود الى عهد "محمد علي باشا 1805-1849" مقننة يجرى العمل بها حتى اليوم.

ولعبت اسرائيل دورا كبيرا في جعل مراكزها الثقافية والبحثية مصدر المعلومات عن الاقطار العربية والعالم الاسلامي المجاور لها.. وعلى سبيل المثال "مركز شيلوح لدراسات الشرق الاوسط وافريقيا" -التابع لجامعة تل ابيب- يقوم باعداد الدراسات والبحوث، وتقدم لاجهزة الامن الاوربية والامريكية. كما تقوم اجهزة الاستخبارات الصهيونية الاسرائيلية والاوروبية والامريكية على تنشيط واحياء فكرة هذه الاقليات كالاسماعيلية واليزيدية والعلوية (النصيرية) والدرزية والفرق الصابئة.. وكل ذلك من اجل اسقاط القضايا الشرعية داخل مربع الاحداث النشطة في معظم البلدان العربية والاسلامية.

وكان الاتحاد السوفييتي الذي تزعم معسكر اوروبا الشرقية وحاول اعلاميا ان يقوم بتحقيق الرفاهية للشعب قد انهار ت منظومته الاشتراكية بسبب ضخامة الاستثمارات العسكرية، ولعب السوفييت في اواخر السبعينات دورا كبيرا في افغانستان، وبدا الصراع بين الامريكيين والروس على ارض افغانستان، وجندت امريكا كل امكانياتها في حلبة الصراع، وفرضت على حلفائها العرب السير في ركابها بدعم عسكري من خلال تجنيد متطوعين من "السعودية، مصر، اليمن، والاردن" لمواجهة الغزو الشيوعي بافغانستان، وتم تدريبهم على ايدي خبراء امريكيين.

وهزمت روسيا وانسحب الجيش الروسي من افغانستان، وظهر فيما بعد الحرب قضية "عرب الافغان" ودارت الدائرة عليهم من قبل الامريكان وعملائهم من الحكام العرب، واصبحوا يشكلون نموذجا عدوانيا للغرب، وبانسحاب الروس كان البديل تيار اسلامي عرف بجماعة "طالبان" وهم جماعة من الشباب الذين كانوا يتلقون تعليمهم في باكستان.

اما الاتحاد السوفييتي فقد صعد "جوربا تشوف" الى رئاسة الدولة الروسية، وبدا العد التنازلي للنظام الشيوعي في اوروبا الشرقية كلها، من خلال مشروعه السياسي المتمثل ببرنامج "البروسترويكا" -اعادة البناء- في الوقت ذاته فقد كان سقوط الشاه في ايران، ونجاح الثورة الايرانية انتصارا للقوى المعارضة لامريكا، فكما خسرت روسيا افغانستان، خسرت امريكا ايران.

بعد نجاح الثورة الايرانية تفجر موقف حدودي بين ايران والعراق ودارت الحرب رحاها مدة ثماني سنوات.. ثم تلتها الحرب العراقية - الكويتية.. كما فرضت ازمة الخليج تحديا على جماعة الاخوان المسلمين، وتعين عليهم اتخاذ موقف من الازمة باعتبارهم اكبر التشكيلات السياسية العربية في موقع المعارضة.

ومع اندلاع الحرب انكسر التحالف بين اخوان مصر وجماعة اخوان الخليج.. وفي ظل هذا الخضم العسكري اقرت هيئة كبار العلماء الاسلاميين في السعودية شرعية قدوم القوات المتعددة الجنسية من ثم تم ضرب العراق وتدميره واسقاط النظام.

وبرزت الى الساحة موجة من مفهوم فكري يقوم على تفوق العقل الاوروبي من خلال مؤسسات اكاديمية تبنتها المخابرات الامريكية في العالم العربي والاسلامي.

وكان على التيار الاسلامي تبني مسالة الدفاع عن الاسلام بانه صورة ممكنة، ولو ادى ذلك الى تبني سياسة العنف ضد الاجانب الاوروبيين، او من يقوم بترويج للفكر الغربي من المسلمين. ويمكن القول ان الاختلاف اوجد ارضية ثقافية متباينة وحراكا سياسيا نشيطا انعكس اثره على الواقع الاجتماعي، وفي ظل الظروف المحيطة بمجتمعنا التي تحكمها اهواء سياسية منها منفتحة واخرى منغلقة.. لذلك نجح المد الاستعماري الثقافي ان يصل الى

عقولنا ويقنع حكامنا بان مصلحتهم في بقائهم في الحكم هو التعاون معه في تـزيين الفكـر الاستعماري داخل شعوبهم.. ويعمل الاستعمار الفكري في المنطقة على استقطاب انصار له من خلال مراكز ثقافية وجامعات اجنبية، ووكالات تنموية دولية، والتـي ادارتها شركـات متعددة الجنسية لكبح الثقافة الوطنية في بلادنا والتركيز على قيم استهلاكية.

هذه الظاهرة الثقافية الوافدة هي التي دفعت بالتيـار الاسـلامي الى رفـض كـل شيء وافد، الا انه في الفترة الاخيرة ولد تيار اسلامي يعمل على المعادلة بقبول جزء ورفض الجزء الاخر، وبدات الضرورة المرحلية البحث عـن مخـرج مـن الراديكاليـة الرافضـة والمتفسـخة القابلة لكل شيء، فكان الحوار مع الانظمة ثم الحوار الاسلامي الاسلامي، وكان الهدف منه اقناع الراديكاليين فقط، ولم يكن الهـدف منـه الخـروج نحـو رؤيـة مسـتقبلية يحـتكم لهـا الجميع.

وكانت الديمقراطية احدى المفاهيم الوافدة من الغرب والمطلـوب قبولهـا كـما هـي.. فخضع هذا المفهـوم لجـدل شـديد بـين زعـماء الجماعـات الاسـلامية، وكـان البـديل لـدى الاسلاميين العمل على تطبيق مبدا الشـورى الاسـلامي باعتبـاره النظـام الـذي تـم في عهـد الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه ابي بكر وعمر وعلى.

من هذا المنطلق يمكن النظر للرؤية الفكرية الاسلامية التي تعصرنـت مـع الواقـع السياسي وفقـا لمنظـور تقليـدي.. فـالحراك السـياسي الاسـلامي في الـيمن اخـذ بـالرؤى الفكرية لتوجيه الاخوان المسلمين بمصر مع الاخذ في الاعتبار بالرؤى السـلفية الوهابيـة في قضايا مواجهة البدع والحركة الصوفية.. وفي الجزيرة العربية عموما بما في ذلـك دول الخليج العربي.. فالاساس الفكري الوهابي يعد مرجعية كل القوى المتعـددة والمتعارضـة ببعض التفاصيل والاتفاق على توجه سياسي مغلـق دينيـا بتكفـير الاتجاهـات الشـيعية

بكل طوائفها المتعددة، ويميل اليهم جماعة الاخوان المسلمين لسبب سياسي ايضا، حيث ساءت علاقة الاخوان "بالامام الخميني" لرفض الاخير اللقاء مع وفد الاخوان، والذين كانوا يرون انهم قادرون على احتوائه، وهو منطق غريب ايديولوجيا.

اما التوجه الفكري الاسلامي في شمال افريقيا فقد تباين بين فرقاء التوجهات الاسلامية، ففي تونس يعتبر المفكر الاسلامي راشد الغنوشي شبيها بالمفكر السوداني حسن الترابي، وتختلف عباس مدني بالجزائر، والذي يعد اكثر اعتدالا من زميله علي بلحاج، وقد يكون للتوجه الفكري الاخواني له بصماته في الجزائر والمغرب، كما هو الشان في بلاد الشام...

ومما سبق يمكن بلورة الاحياء الفكري الاسلامي وفقا للمعطيات التقييمية التي خضع لها برنامج المشروع الاسلامي السياسي، فالمنظور التاريخي لهذا الفكر يقوم على مبدا الاتصال والتواصل، لان التاريخ سلسلة متصلة من الماضي الى الحاضر الى المستقبل.. فالمشروع الاسلامي لا يكون الا مستقبليا. لانه يقوم على التواصل الاجتهادي الفقهي عبر الزمن واختلاف المكان بما في ذلك الحضارات والثقافات المتنوعة.

والسؤال المطروح في اطار مربع الاحداث في الساحة العربية هو، هل تجديد الفكر الثقافي امر ضروري وفقا للمعطيات الايديولوجية؟.. يمكن القول ان التجديد هو تجاوز الذات، تجاوز الماضي بمعنى الخروج على التكرار.

فالفكر الاسلامي لم يعش داخل سور متميز، فقد فرض ذاته داخل مجتمعات غير متجانسة ثقافيا وقوميا، فالتجديد يجب ان يكون من الداخل كالحضارة الغربية التي اصبحت حضارة عالمية تفرض تجربتها الديمقراطية وتفرض علينا فتح اسواقنا لمنتجاتها وثقافتها، الامر الذي يحول العالم العربي

والاسلامي الى تابع اسير انبهاره بقيم تكنولوجيا الغـرب المتقدمـة.. واصـبح مـا يمـلى علينـا نقبله بعلاته.

واذا كان للهوية الاسلامية دور فهو تعبـير عـن معطيـات تاريخيـة، وقاعـدة يمكـن ان تستخدمها الاقليات الاثنية والدينية، وتتشكل من خلالها جماعات منفصـلة عـن الاخـرين، وبذلك ينعدم الحوار ويتراجـع المشروع السـياسي للهويـة، ويحـل مكانـه التـاريخ الماضـوي مكان الرؤية المستقبلية، وتطغى على السطح المرجعية الاصولية بمعنى طغيان الماضي عـلى المستقبل، فاذا انعـدمت الرؤيـة الموحـدة لطبيعـة امـة موحـدة يصـبح المشروع السـياسي الاسلامي للامة مشروعا فاشلا.

فالامة العربية جوهر قضيتها اليـوم فلسـطين، وموضـوع فلسـطين اصـبح بـديلا عـن المشروع الاسلامي السياسي الوحدوي.. فقد كانت الوحدة العربية قضية اساسية مـن اجـل مواجهة اسرائيل التي تغتصب ارض فلسطين، كان ذلك في نظر الاتجـاه القـومي.. وبتمـزق وتفتت وحدة الاتصال والتقارب بين العرب.. كـان البـديل المفـترض هـو الاتجـاه الاسـلامي الذي سيعمل على جمع شمل الامة العربية بوحدة عربية، الا ان المشروع الاسـلامي اصـبح اممياً يدعو الى اقامة وحدة اسلامية دون معطيـات مرجعيـة حتـى ولـو تنظيريـة للكيفيـة الدعوية.. وقاموا بهجوم عنيف على من يدعو للوحدة العربية من منظور قومي، واعتـبروا ذلك خروجا عن الاسلام ومبادئه.. وبالتالي فقد ساهمت تلك الافكار بتمزيق الامة العربية.

ونستخلص من المشروع الاسلامي كمنظـور تـاريخي انـه حـاول ان يعـالج القضايا المعاصرة وفق منظور ماضوي وغض الطرف عـن مـا يقتضـيه الواقـع.. والاسلام القراني الذي نظر الى الدفاع عن الذات والكينونـة بمنظـار يتـواءم مـع الواقع والمستقبل.. يقول تعالى : ﴿وَاعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ

الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللـه وَعَدُوَّكُمْ﴾(الانفال: من الاية60).. ومعنى الاعداد الشامل بما في ذلك المواجهة العلمية بالعلم وهو القوة المحركة لسيرورة الانسان نحو التقدم والرقي والاستعلاء.. فالمجتمع الغربي قادته الضرورة عندما كان مستضعفا الى اللجوء لان يبحث عن ذاته وتاريخه، فعمل على استنهاض معطياته الذهنية والادارية فحقق نجاحا انتاجيا وحضاريا.

ونتيجة للحقد التاريخي بين الشرق الاسلامي والغرب الاوروبي، فقد اجتهد الغرب كثيرا على استدراج الشرق الى الانزلاق في هاوية التخلف، وهي معركة وصراع حضاري نجح الغرب كثيرا باختراق الشرق الاسلامي بعناصر منها واليها، عبر السنوات الممتدة من القرن 15م وحتى اليوم، عندما برز "الشيخ اسامة بن لادن" متقلدا وشاح الدور القومي الاسلامي، ونشط في اقامة مشروعه السياسي والمتمثل بمنظمة القاعدة، والتي اقضت مضاجع الغرب.. وقد تجمع حوله كل المحبطين والمطاردين من دولهم واصبحوا يعملون باتجاه واحد، تمثل بمواجهة الاستعمار الغربي واخراجه، وكذا الخلاص من الاحتلال الصهيوني الاسرائيلي.. ورفض التشريعات الوافدة الى العالم الاسلامي.. واذا كان مشروع "ابن لادن" يختلف حوله اصحاب الاتجاهات الاسلامية المهادنة، الا ان مشروعه قابل للتعديل والتغيير اذا انتهى ابن لادن ورفاقه.. لكنه يبقى مشروعا سياسيا اسلاميا يخضع لحوار الاتباع.. وقد يتبلور الى مشروع سياسي ايديولوجي يعمل على احياء تطبيق الشريعة الاسلامية، واحياء حركية العلوم الاسلامية وعصرنتها وفقا للواقع السياسي الراهن...

والله ولي التوفيق،،،

المراجع العربية والاجنبية

اولا : الوثائق - البحوث -الدراسات :

ـ الوثائق البريطانية - اسباب الحرب - المجلد الخامس.

ـ دستور جمهورية الجزائر (الصادر عام 1989)م.

ـ كمال السعيد محمد : وثيقة الاحياء الاسلامي.

ـ وثيقة [رسالة الايمان]، د. صالح سرية - قائد تنظيم الفنية العسكرية.

ـ منشور صادر عن حزب التحرير - بمدينة اب.

ـ البرنامج السياسي لجبهة الانقاذ، اعداد وتوثيق مؤسسة يافا للدراسات والابحاث، ط1، 1991م.

ـ حقوق الانسان في الفكر العربي.. دراسات في النصوص، ندوة في (د. سلمى الخضراء الجيوسي) واخرون.. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2002م.

ـ العلاقات العربية التركية من منظور عربي، ج1، 1991، بحوث (د. جمال زكريا قاسم) و اخرون، مصر، مركز الدراسات والبحوث العربية.

ـ القومية العربية والاسلام - بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ندوة في (د. عبد العزيز الدوري)، واخرين،ط1، 1981م.

ـ التراث وتحديات العصر في الوطن العربي (الاصالة والمعاصرة)، بحوث ومناقشات، ندوة في (السيد ياسين) واخرين، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1987.

ـ الحركة الاسلامية رؤية مستقبلية اوراق النقد الذاتي، ندوة في (د. عبدالله فهد النفيس) واخرون، ط1، 1989م.

ـ الحركات الاسلامية المعاصرة في الوطن العربي، ندوة في (د. محمد احمد خلف الله)، واخرون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1989م.

ـ ثورة 1948 : الميلاد والمسيرة والمؤثرات، ندوة في (د. عبد العزيز المقالح)، واخرون، بيروت، دار العودة، ط1، 1982م.

ـ كتاب الامة : فقه الدعوة ملامح وافاق، ج 2، حوار مع (د. حسن الترابي) حول فقه المرحلة، قطر، ط1، ذي الحجة، 1408هـ.

ـ مفاهيم الميثاق الوطني : المؤتمر الشعبي العام، امانة اللجنة الدائمة،صنعاء.

ـ دراسات الشرق الاوسط، ندوة في (د. احمد نعمان قاسم المذحجي.. عن تعددية مراكز القوى اليمنية واثارها على العلاقات اليمنية السعودية في 8 ديسمبر 1995).

ـ الحركات الاسلامية المعاصرة في الوطن العربي، ندوة في (د.اسماعيل صبري عبد الله) واخرون، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1989م.

ـ الازمة الجزائرية : الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ندوة، في (دسليمان الرياشي واخرون) بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 1999م.

ـ ازمة الديمقراطية في الوطن العربي، بحوث ودراسات، ندوة في (د. علي الدين هلال) واخرون، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1984م.

ثانيا : الدوريات – الصحف:
ـ مجلة الاجتهاد – بيروت، العدد (45،46) شتاء وربيع 2000م.
ـ المنهاج – العدد (4) شتاء، 1996م.
ـ ابعاد – العدد (3) مايو 1995م.
ـ المجلة المصورة – مجموعة مجلدات – عن الحرب العالمية الاولى، تحرير، عمر ابو النصر.
ـ العربي، اعداد (1961/30، 1994/431، 1991/397، وعدد 2001/517، و1992/399).
ـ الدعوة، عدد (1950/11/20).
ـ اخر ساعة، عدد (1948/12/29).
ـ التقرير الاستراتيجي، الاهرام – مركز الدراسات الاستراتيجية بالاهرام، 1995، وعام 1990.
ـ المستقبل العربي – العدد (1993/170) وعدد (1992/156).
ـ منبر الحوار – العدد (8 شتاء /1987).
ـ التقدمي – مارس 1980م.
ـ الواشنطن بوست (1983/6/16).
ـ الوحدة – العدد (96/ سبتمبر 1992)م.
ـ الكلمة – العدد 1997/15، 8/صيف 1995.
ـ الانسان – العدد /2 اغسطس 1990.
ـ المنطلق الجديد، العدد3 صيف – خريف 2001م.
ـ عالم الفكر – العدد 1993/2، وعدد 1984م.
ـ مستقبل العالم الاسلامي، العدد 5، شتاء 1992م.
ـ السياسة الدولية، عدد 1979/55، وعدد 102/اكتوبر 1990م.
ـ شئون عربية.. عدد 1984/35.
ـ شئون الاوسط – خريف 2002، عدد108.
ـ صحيفة صوت اليمن : العدد /6/51نوفمبر 1947م.
ـ صوت الطليعة، مايو 1980م.
ـ صحيفة الدستور، 1982/1/11م.
ـ الشعب – صحيفة اسبوعية مصرية، 4 سبتمبر 1992، و6 يوليو 1993.
ـ الشرق الاوسط – الخميس 1993/7/1م.

ثالثا : المراجع العربية:

_ ابراهيم البيومي غانم : الحركة الاسلامية في الجزائر وازمة الديمقراطية، القاهرة، امة برس للاعلام والنشر، ط 1، 1992م.

_ ابو الاعلى المودودي : الحكومة الاسلامية، القاهرة، المختار الاسلامي، 1980م.

_ البرت حوراني:التاريخ الاقتصادي للهلال الخصيب (1800-1914) ترجمة:رؤوف عباس حامد،بيروت،1990م.

_ ابن القيم الجوزية : اعلام الموقعين عن رب العالمين، القاهرة، دار الحديث، ط1، 1993م.

_ ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي : ادب الدنيا والدين، تحقيق (مصطفى السقا)، القاهرة، دار المعارف، 1973م.

_ احمد قايد الصايدي : حركة المعارضة اليمنية في عهد الامام يحيى حميد الدين (1904-1918)، بيروت، دار الاداب، ط1، 1983م.

_ احمد كمال ابو المجد : حوار لا مواجهة، دراسات حول الاسلام والعصر (كتاب العربي)، العدد السابق، 15 ابريل 1985م.

_ اسامه الغزالي حرب : الاحزاب السياسية في العالم الثالث (عالم المعرفة - المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب - الكويت)، سبتمبر عدد (117)، 1987م.

_ اسحاق الحسيني : الاخوان المسلمون كبرى الحركات الاسلامية في العالم العربي، بيروت، ط2، 1955م.

_ اسماعيل احمد ياغي : تاريخ العالم العربي المعاصر، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 2000م.

_ اكمل الدين احسان اوغلى : العرب في ظل الرابطة العثمانية (ط.ت) بدون.

_ جمال الدين الافغاني : الاعمال الكاملة، دراسة وتحقيق محمد عمارة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981، ج2.

_ جولوفكايكا ايلينا.ك: التطور السياسي للجمهورية العربية اليمنية 1962-1985م، تعريب : محمد علي البحر، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط1، 1994م.

_ حيدر ابراهيم علي : الاحزاب السودانية واقع ومستقبل، القاهرة، مركز الدراسات السودانية،ط1، 2001م.

_ حسن عبد الله الترابي : نظرات في الفقه السياسي، الخرطوم، الشركة العالمية لخدمة الاعلام، 1988م

_ حسين بن محسن بن علي جابر:الطريق الى جماعة المسلمين،مصر،دار الوفاء للطباعة والنشر،ط4، 1990م.

_ حميد احمد شحرة : مصرع الابتسامة سقوط مشروع الدولة الاسلامية في اليمن "1938-1948"، المركز اليمني للدراسات الاستراتيجية،ط1، 1998م.

_ جورج انطونيوس : يقظة العرب [تاريخ حركة العرب القومية]، ترجمة : د. ناصر الدين الاسد واخر، بيروت، دار العلم للملايين،ط5، 1987م.

_ خير الدين التونسي : اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك، تحليل النص وتحقيق مع جداول وملحقات وفهارس للمنصف الشنوفي، ط2، (تونس : الدار التونسية للنشر، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب)، 1972م.

_ ب.ف.سكنير: تكنولوجيا السلوك الانساني، ترجمة : د. عبد القادر يوسف، سلسلة عالم المعرفة، العدد (32)، رمضان، 1400هـ.

_ توفيق الشاوي : فقه الشورى والاستشارة، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورية، ط1، 1992م.

_ توبي، اهف : فجر العلم الحديث، الاسلام - الصين - الغرب (ترجمة : د. محمد عصفور)، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، عدد (260)، ط1، اغسطس، 2000م.

_ راشد البراوي : اليمن والانقلاب الاخير، القاهرة، مكتبة النهضة، 1948م.

_ راشد الغنوشي : الحريات العامة في الدولة الاسلامية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1993م.
_ ريتشارد هرير دكمجيان : الاصولية في العالم العربي، (ترجمة : عبد الوارث سعيد)، القاهرة، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط3، 1992م.
_ ريتشارد نيكسون : الفرصة الاخيرة، (ترجمة : احمد صدقي مراد)، القاهرة، دار الهلال 1992م.
_ ريتشارد ب. ميتشل : الاخوان المسلمون، ترجمة : (محمود ابو السعود)، (د.م – د.ت).
_ رفاعة رافع الطهطاوي : تخليص الابريز في تلخيص باريز، الاعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي، دراسة وتحقيق (د. محمد عمارة)، 4ج، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر (1973 -1977)، ج2.
_ رفعت سيد احمد : النبي المسلح (الرافضون)، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط1، 1991م –النبي المسلح (الثائرون)، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط1، 1991م.
_ روح الله الخميني: الحكومة الاسلامية، بيروت، (ط.ت)، بدون.
_ زكريا سليمان البيومي : الاخوان المسلمون والجماعات الاسلامية في الحياة السياسية المصرية، "1928-1948"، القاهرة، مكتبة وهبة، ط1، 1979م.
_ سعيد حوى : المدخل الى دعوة الاخوان المسلمين، بمناسبة مرور خمسين عاما على تاسيسها، ط2، عمان، دار الارقم، 1979م.
_ سليمان موسى : الحركة العربية، المرحلة الاولى للنهضة العربية الحديثة (1908-1924)، بيروت، دار النهار للنشر، ط2، 1977م.
_ طارق البشري : الديمقراطية ونظام 23 يوليو (1952-1970)، بيروت، مؤسسة الابحاث العربية،1987م.
_ طه جابر العلواني : ادب الاختلاف في الاسلام (سلسلة كتاب الامة)، عدد 9، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية – قطر، ط1، جمادي الاولى، 1405هـ.
_ عبد الرحمن الرافعي : عصر اسماعيل، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 2ج، 1932م.
_ عبد الحليم خفاجي : حوار مع الشيوعيين في اقبية السجون، الكويت، دار القلم، ط1، 1974م.
_ عبد السلام ياسين : الشورى والديمقراطية، الدار البيضاء، مطبوعات الامن، 1996م.
_ عبد الله الذيفاني : الاتجاه القومي في حركة الاحرار اليمنيين 1918-1948، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني،ط1، 1999م.
_عبد الوهاب خلاف : السياسة الشرعية او نظام الدولة الاسلامية في الشؤون الدستورية الخارجية والمالية، القاهرة، المطبعة السلفية، 1931م.
_ عبد الاله بلقزيز : الدولة في الفكر الاسلامي المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،ط1،2002م.
_ علاء الفاسي : مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها، الدار البيضاء، مكتبة الوحدة العربية، 1993م.
_ علي عبد الرزاق : الاسلام واصول الحكم، القاهرة، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، ط1، 1993م.
_ علي عشماوي : مذكرات في (التاريخ السري لجماعة الاخوان المسلمين، القاهرة، دار الهلال، 1993).
_ فتحي يكن : مشكلات الدعوة والداعية، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1974م.
_ كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة : نبيه امين فارس ومنير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1965م.
_ فيليب فونداس: دراسة عن الاسلام في افريقية السوداء (ت.ط) بدون.
_ لويس عوض : تاريخ الفكر المصري الحديث، 2ج (القاهرة، دار الهلال، 1969).
_ لوتسكي : تاريخ الاقطار العربية الحديثة، بيروت، دار الفارابي،ط7، 1980م.

_ محمد الغزالي : السنة النبوية بين اهل الفقه واهل الحديث، القاهرة، دار الشروق، ط2، 1989م.
_ الحق المر، ج2، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1989.
_ مشكلات في طريق الحياة الاسلامية [كتاب الامة]، العدد الاول (سلسلة فصلة تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر)، ط3، جمادي الاخر، 1402ه.
_ نحو تفسير موضوعي لسور القران الكريم، الاجزاء العشرة الاولى، القاهرة، دار الشروق، ط2، 1992م.
_ محمد حسنين هيكل : حرب الخليج اوهام القوة والنصر، القاهرة، الاهرام، ط1، 1992م.
_ مدافع اية الله، قصة ايران والثورة، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1982م.
_ محمد البهي : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، بيروت، دار الفكر، ط5، 1970م.
_ : الدين والدولة من توجيه القران الكريم، مصر، دار الفكر، 1971م.
_ محمد عبد الرحمن المقرمي: التجمع اليمني للاصلاح، الرؤية والمسار، دارسة النشاة والتطور، من(90-98)م، صنعاء، دار المجد للطباعة والنشر.
_ محمد متولي الشعرواي : على مائدة الفكر الاسلامي، دار العودة، بيروت (ط) بدون.
_ كيف نفهم الاسلام، دار العودة، بيروت، (م.ط) بدون.
_ محمد عابد الجابري : العقل السياسي العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، 1995.
_ محمد عمارة : الاسلام وفلسفة الحكم، القاهرة، دار الشروق، ط1، 1989م.
_ فجر اليقظة القومية، القاهرة، دار الثقافة العربية،ط2، 1975م.
_ محمد انيس : الدولة العثمانية والشرق العربي (1514-1914)، القاهرة، مكتبة سعيد رافت، 1977م.
_ مصطفى كمال وصفي : النظام الدستوري في الاسلام، مقارنا بالنظم العصرية، القاهرة، مكتبة وهبة، ط2، 1994م.
_ مليوفان دجيلاس: الطبقة الجديدة، بيروت، دار الكاتب العربي (ت.ط) بدون.
_ فهمي هويدي: ايران من الداخل، القاهرة، مؤسسة الاهرام للطباعة والنشر، ط3، 1988م.
_ هالة مصطفى : الاسلام السياسي في مصر من حركة الاصلاح الى جماعات العنف، الاهرام، مركز الدراسات الاستراتيجية، ط1، 1992م.
_ هلنز كلسن : الديمقراطية، طبيعتها وقيمتها، تعريب (علي الحمامصي)، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، (ط.ت)بدون.
_ وحيد الدين خان : التفسير السياسي للدين، القاهرة، دار الرسالة الربانية، ط1، 1991م.
_ نيفين عبد الخالق مصطفى : المعارضة في الفكر السياسي الاسلامي، القاهرة، مكتبة الملك فيصل الاسلامية، ط1، 1985م.
_ مجموعة رسائل الامام الشيهد حسن البنا، بيروت، لبنان، دار القلم (ت.ط) بدون.
_ يوسف القرضاوي : الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف (كتاب الامة)، ط3، شوال، 1402هـ
_ الاسلام والعلمانية وجها لوجه، القاهرة، دار الصحوة للنشر، ط1، 1987م.
_ اولويات الحركة الاسلامية في المرحلة القادمة، القاهرة، مكتبة وهبة، ط1، 1991م.
_ من فقه الدولة في الاسلام، القاهرة، دار الشروق، 1997م.

* * *

رابعا : المراجع والدوريات الاجنبية:

1- Ling, Dwightl. Tunisiau from protectorate to Republic.

2- F. Bugat, L, Lslamisme a u Maghreb (paris: Karthala, 1988).

3- The Middle East Contemporary Sugvey, Holmes and Meier Publishers, New york.

4- The attaw Journal (Canada), I. December 1972.

5- Devolt Agoinst Reason.

6- Saad Eddin ibrahim: Islamic Militancy as a social Movement, the case of two groups in Egyptian Ali Hillal Dessouki (ed) Islamic Resutgence in the Arab world.

الفهرس

مقدمـة 9
تمهيد الاوضاع السياسية في الوطن العربي والاسلامي 1798-1928م 17
اطلالة على القرن 19م والدولة العثمانية: 24
حركة التتريك والتوجه القومي العربي: 30
جمال الدين الافغاني ودوره السياسي : 34
عوامل ضعف الدولة العثمانية.. مقدمات ونتائج: 36
الدولة العثمانية.. والحرب العالمية الاولـى: 51
دور العرب في الحرب العالمية الاولـى: 61
نتائج الحرب العالمية الاولـى في المناطق العربية: 69
الفصل الاول التكوين الحركي للجماعات الاسلامية 1928-1981 73
جمعية الاخوان المسلميـن: 77
الاطار التنظيمي لجمعية الاخوان المسلميـن: 82
الاخوان المسلمون وبداية الصراع مع السلطة: 88
الصراع السياسي بيـن الاخوان والسلطة في عهد عبد الناصر: 95
المتغيرات السياسية والفكرية في مصر(1971-1992م): 106
الفصل الثاني الغـرب والعالم الاسلامي 1979 – 1992 123
سقوط المعسكر الاشتراكي: 127
الثورة الاسلامية الايرانية عام 1979م: 139
حكومة الامام الخميني : 149
النار تشتعل في الخليج (1980-1992م): 156
(ا) الحرب الايرانية العراقية (1980-1988م): 158
(ب) الحرب العراقية الكويتية (1990-1992م): 159
التحالف الاستراتيجي الاوربي في مواجهة الاسلام: 171
تصادم العقل الوافد مع الواقع الاسلامي: 178

الفصل الثالث اشكاليات التوجهات النخبوية للجماعات الاسلامية 187
التباين الفكري في الاتجاهات الدعوية: 190
ازمة الحوار بين الجماعات الاسلامية: 204
الاختلاف في استنباط الاحكام بين الجماعات الاسلامية: 207
الموقف من الديمقراطية: 217
ما هي الديمقراطية التي اثارت جدلا بين التيارات الاسلامية؟ 221
الموقف السياسي من الشورى في الفقه الاسلامي: 229
مفهوم الشورى في الاسلام: 231
متى تكون الشورى ضرورية؟ 234
هل الشورى ضرورة حتمية لمواجهة الديمقراطية: 238
الفصل الرابع الملامح الجديدة لمشروع النهضة الاسلامية 249
تطور الفكر الحركي الاسلامي في اليمن: 252
الحركة الاسلامية في الجزيرة العربية والخليج: 271
الاحزاب الاسلامية السياسية في شمال افريقيا: 283
الجزائر: 293
التيارات الاسلامية في المغرب: 303
الدور الحركي للجبهة الاسلامية القومية في السودان: 305
الخاتمة 315
المراجع العربية والاجنبية 323
الفهرس 329

* * *

بدأ مشروع الإسلام السياسي الحديث على يد الأفغاني وعبده ومفكرين آخرين، علماً أن الاستخدام السياسي للدين الإسلامي استمر منذ صدر الإسلام حتى تاريخنا المعاصر .

يتعمق الكتاب في تكوين الجماعات الإسلامية ولعل أبرزها حركة الإخوان المسلمين ويبين تاريخها وصراعاتها التي خاضتها مع أنظمة الحكم المختلفة في الأقطار العربية .

اختص الفصل الثاني من الكتاب في توضيح أثر المتغيرات العالمية على الإسلام السياسي ولعل أهم هذه المتغيرات سقوط المعسكر الإشتراكي والثورة الإسلامية في إيران والتحالف الإستراتيجي الغربي في مواجهة الإسلام .

تعمّق الفصل الثالث في بحث أزمة الحوار بين الجماعات الإسلامية، وتبيان اختلافها في استنباط الأحكام ومواقفها المتباينة اتجاه القضايا المعاصرة، كما حاول الباحث إيجاد مقاربة بين مفهومي الشورى والديمقراطية.

تم اختتام البحث بإبراز الملامح المستجدة لمشروع النهضة الإسلامية مع إظهار التيارات الإسلامية الأساسية في الساحة السياسية العربية.



هاتف : ٥٦٢٧٠٦٠ - فاكس : ٥٦٣٢٨٦٠